



مَجَلَّةُ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ

مجلة علمية دورية محكمة

عناوين الأبحاث:

- جهود الدعوة في إصلاح ذات البين
- منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية
- التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي "الأسباب، الآثار، العلاج"
- أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة
- منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية

<https://dawa.center>



المركز العربي للبحوث والدراسات
وزارة التعليم
جامعة الامم المتحدة
المعهد السعودي للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات السعودية مجلة علمية دورية محكمة

العدد العاشر
رمضان ١٤٣٩ هـ

② جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ردمك: ٣٨٨٤ - ١٦٥٨

رقم الإيداع ٩٢٤ / ١٤٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرف العام

د. أحمد بن علي بن عبدالله الخليفي

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سلطان بن عمر الحصين

أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطويل

أ. د. سليمان بن قاسم العيد

أ. د. علي بن أحمد الأحمد

أمين المجلة

د. وليد بن عبدالله بن علي العثمان

المراسلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥١٣٢

بريد للجمعية الإلكتروني:

Bsserah1@gmail.com

قواعد النشر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

- ١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.
- ٢- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- ٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.
- ٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.
- ٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.
- ٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.
- ٨- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- ٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال:
معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف السديلمي ط ١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

- ١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.
- ٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين (العربية- والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم

خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ Traditional Arabic.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤.٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (٢٠×١٢) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠) ألفي ريال في حساب الجمعية).

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، وإرساله بالبريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.

تنبية: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

مقدمة العدد

الحمد لله حمدا يليق بجلال الله وعظيمته، وأصلي وأسلم على أشرف أنبيائه
ورسله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الدعوة الإسلامية تقوم على أصول رئيسة منبثقة من القرآن الكريم والسنة
النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة، سواء ما تعلق بأركانها أو بسمات العاملين فيها
أو بشروطها وآدابها، وكلما تمسكت الدعوة في إطارها وفي تطبيقاتها بما ثبت عن الله
عز وجل وعن رسوله الكريم ﷺ فإنها تكون ناجحة لأنها على النهج المستقيم،
ولذلك فضل الله الأمة المحمدية وشرفها على غيرها لقيامها بواجب الدعوة إلى الله،
كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

ومن هذا المنطلق فإن الأبحاث العلمية الدعوية ينبغي أن يكون مدارها على هذا
المنهج العلمي الرصين المعتمد على الكتاب والسنة.
وإن مجلة الدراسات الدعوية التابعة للجمعية السعودية للدراسات الدعوية أخذت
على عاتقها السير في هذا الاتجاه بأبحاثها المحكمة مراعية النشر وفق أصول البحث
العلمي.

وقد اشتمل هذا العدد (العاشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

١. جهود الدعوة في إصلاح ذات البين.
٢. منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.
٣. التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي "الأسباب، الآثار، العلاج".

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٤. أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة.

٥. منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية.
 نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.
 وبهذه المناسبة فإننا نثيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد المجلة الإلكتروني bsserah1@gmail.com، وتقدم الجديد النافع،،، و على طريق العلم والبحث والفضل نتواصى و نتواصل ...

رئيس هيئة التحرير

أ.د. حمد بن ناصر العمار

البحث رقم (١)

جهود الدعوة في إصلاح ذات البين

إعداد

د. عبدالله بن ناصر بن محمد العطني

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح، جامعة المجمعة

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد:
إن الأمور المهمة التي يحرص عليها الدعاة إلى الله تعالى إصلاح ذات البين، حيث
إنه يعمل على تأليف القلوب، وشيوع المودة والمحبة، وإنهاء القطيعة والخصومة بين
المسلمين.

والإصلاح مصدر صلح "والصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف
الفساد يقال صلح الشيء يصلح صلاحاً، ويقال صلح بفتح اللام" (١).
وقال ابن منظور رحمه الله: "والإصلاح: نقيض الإفساد. والمصلحة: الصلاح.
والمصلحة واحدة المصالح. والاستصلاح: نقيض الاستفساد. وأصلح الشيء بعد
فساده: أقامه. وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت، والصلح: تصالح القوم بينهم.
والصلح: السلم" (٢).

والإصلاح كلمة محببة إلى النفس "فمعنى الصلح دالّ على حسنه الذّاتيّ، وكم من
فساد انقلب به إلى الصّلاح بحسنه؛ ولهذا أمر الله تعالى به عند حصول الفساد، والفتن
بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (٣). وقال
تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (٤). قالوا: معناه جنس الصلح خير،

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،
ط/ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٣/٣٠٣.

(٢) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي
(المتوفى: ٧١١هـ)، ط/٣، دار صادر، ١٤١٤هـ، ٢/٥١٧.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

فيعلم بهذا أنّ جميع أنواع الصلح حسنة؛ لأنّ فيه إطفاء الثائرة بين الناس، ورفع المنازعات الموبقات عنهم" (١).

والبين بالفتح من الأضداد "يطلق على الوصل، وعلى الفرقة، ومنه ذات البين للعداوة والبغضاء وقولهم لإصلاح ذات البين أي لإصلاح الفساد بين القوم، والمراد إسكان الثائرة. وكلمة [بين] ظرف مبهم لا يتبين معناه إلا بإضافته إلى اثنين فصاعداً أو ما يقوم مقام ذلك" (٢).

والبين المأمور بإصلاحه والسعي فيه يأتي في كلام العرب على وجهين متضادين: "فيأتي بمعنى الفراق والفرقة، ويأتي بمعنى الوصل. وإصلاح ذات البين على المعنى الأوّل: يكون بمعنى إصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين، وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتسامح والعفو، أو بالتراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحلّ عقدة الفرقة. أمّا إصلاح ذات البين على المعنى الثّاني، فيكون بمعنى إصلاح صاحبة الوصل والتحاب والتآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدّع منها، وإزالة الفساد الذي دبّ إليها بسبب الخصام والتنازع على أمر من أمور الدّنيا" (٣).

ويمكن لنا أن نتبين جهود الدعوة في إصلاح ذات البين من خلال عدد من العناصر التي سنتحدث عنها من خلال هذا البحث، أسأل الله سبحانه أن يرزقنا العلم والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تبين الحقائق شرح كثر الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ، ٢٩ / ٥، ٣٠.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفى: نحو ٧٧٠ هـ)، ط/ المكتبة العلمية، ١ / ٧٠.

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/٢، دار القلم، دمشق: ٢٠١٠م، ٢ / ٢٣٠.

المبحث الأول

حث الدعاة إلى الله على إصلاح ذات البين وبيان فضله

إن الدعاة إلى الله تعالى يعتنون دائماً بإصلاح ذات البين، وذلك لعظيم فضله، وعلو مكانته، وكثرة الدعوة إليه والحث عليه، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

ففي الآية بيان عظيم الأجر والثواب لمن يصلح بين الناس، ويؤلف بين قلوبهم المتنافرة، ويجمع كلمتهم المتفرقة، وأن هذا الإصلاح هو الخير بعينه، والمأمور بفعله والقيام به.

قال الطبري رحمته الله: "لا خير في كثير من نجوى الناس جميعاً" إلا من أمر بصدقة أو معروف، و"المعروف"، هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، "أو إصلاح بين الناس"، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما، ليراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به. ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك فقال: "ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً"، يقول: ومن يأمر بصدقة أو معروف من الأمر، أو يصلح بين الناس "ابتغاء مرضاة الله"، يعني: طلب رضى الله بفعله ذلك "فسوف نؤتيه أجراً عظيماً"، يقول: فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك عظيماً، ولا حدَّ لمبلغ ما سمي الله "عظيماً" يعلمه سواه (٢).

وما من شك أن المعروف يدخل فيه الإصلاح بين الناس؛ لكن لأهميته جاء النص

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق:

أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ٩/٢٠١.

عليه كما قال ابن عطية رحمه الله: "و«المعروف»: لفظ يعم الصدقة والإصلاح، ولكن خصًا بالذكر اهتماما بهما، إذ هما عظيمتا الغناء في مصالح العباد، ثم وعد تعالى «بالأجر العظيم» على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضا الله تعالى" (١).

وقال الألويسي رحمه الله في بيان ذلك أيضاً: "وخص الصدقة والإصلاح بين الناس بالذكر من بين ما شمله هذا العام إيذاناً بالاعتناء بهما لما في الأول من بذل المال الذي هو شقيق الروح وما في الثاني من إزالة فساد ذات البين وهي الحالقة للدين، وقدم الصدقة على الإصلاح لما أن الأمر بها أشق لما فيه من تكليف بذل المحبوب والنفس تنفر عنم يكلفها ذلك ولا كذلك الأمر بالإصلاح، والمراد من الإصلاح بين الناس التأليف بينهم بالمودة إذا تفاسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف نعم أسيح الكذب لذلك" (٢).

ومما يحفز الدعاء إلى الله على الاهتمام بإصلاح ذات البين أن الأمر به جاء بعد الأمر بتقوى الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣). فعندما وقع الخلاف جاء التذكير بتقوى الله، وتذكير المسلمين بأهمية إصلاح ذات البين للمسارة إليه والقيام به كشرط لتحقيق الإيمان بالله تعالى.

قال الزمخشري رحمه الله: "وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته، ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط/١، دار الكتب العلمية:

١٤٢٢هـ، ١١٢/٢.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألويسي، ١٤٤/٥

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١.

عليها. ومعنى قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم كاملين الإيمان" (١).

وقال السعدي رحمه الله: "أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابير، بالتوادد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويذول ما يحصل - بسبب التقاطع - من التخاصم، والتشاجر والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات السببين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابير، والأمر الجامع لذلك كله قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله، كما أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن، ومن نقصت طاعته لله ورسوله، فذلك لنقص إيمانه" (٢).

وجاءت الدعوة إلى إصلاح ذات البين عند التفرق والتنازع بين جماعات المؤمنين، لرد البغي والعدوان من إحدى الطائفتين على الأخرى؛ فعند وقوع القتال يأتي واجب الدعاة على الله تعالى في تقريب وجهات النظر ومنع الاقتتال والتنازع، ومن موجبات إصلاح ذات البين التذكير بإخوة الإيمان كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَلَبَا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢﴾﴾ (٣).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد،

الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط/٣، دار الكتاب العربي: ١٤٠٧ هـ، ٢ / ١٩٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى:

١٣٧٦هـ)، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويح، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت:

١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م، ص ٣١٥.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٩، ١٠.

قال ابن العربي رحمه الله: "هذا صحيح فإن العدل قوام الدين والدنيا. ومن العدل في صلحهم ألا يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال فإنه تلف على تأويل وفي طلبهم له تنفير لهم عن الصلح واستشراء في البغي وهذا أصل في المصلحة" (١).

وقال القاسمي رحمه الله: "الاقتتال لا يكون إلا للميل إلى الدنيا، والركون إلى الهوى، والانجذاب إلى الجهة السفلية، والتوجه إلى المطالب الجزئية. والإصلاح إنما يكون من لزوم العدالة في النفس التي هي ظل المحبة، التي هي ظل الوحدة. فلذلك أمر المؤمنون الموحدون بالإصلاح بينهما، على تقدير بغيهما. والقتال مع الباغية على تقدير بغىي إحداهما، حتى ترجع. لكون الباغية مضادة للحق، دافعة له" (٢).

ويبين القاسمي رحمه الله ارتباط إصلاح ذات البين بإخوة الإيمان فيقول: "وتسمية المشاركة في الإيمان أخوة تشبيه بليغ، أو استعارة شبه المشاركة فيه بالمشاركة في أصل التوالد، لأن كلا منهما أصل للبقاء، إذ التوالد منشأ الحياة، والإيمان منشأ البقاء الأبدي في الجنان. ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ أي إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله، وحكم رسوله.

وبين تعالى أن الإيمان الذي أقل مرتبته التوحيد والعمل، يقتضي الأخوة الحقيقية بين المؤمنين، للمناسبة الأصلية، والقراية الفطرية، التي تزيد على القراية الصورية، والنسبة الولادية، بما لا يقاس، لإقضائه المحبة القلبية، لا المحبة النفسانية، المسببة عن التناسب في اللحمية. فلا أقل من الإصلاح الذي هو من لوازم العدالة، وأحد خصالها،

(١) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م، ١٥٢/٤.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨ هـ، ٥٢٧/٨.

فوجب على أهل الصفاء، بمقتضى الرحمة والرأفة والشفقة اللازمة للأخوة الحقيقية، الإصلاح بينهما، وإعادتهما إلى الصفاء" (١).

وقال ابن عاشور رحمته الله في تفسير هذه الآية: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى الحال بينهم، فالجملة موقعها موقع العلة، وقد بني هذا التعليل على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة.

وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين لأن شأن إنما أن تجيء الخبر لا يجمله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما يترل مترلة ذلك؛ فلذلك كان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مفيد أن معنى الأخوة بينهم معلوم مقرر. وقد تقرر ذلك في تضاعيف كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم (٢).

وما من شك أن إصلاح ذات البين قاعدة عامة محكمة لصيانة المجتمع الإسلامي من التفكك والتفرق. ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح. والركون في هذا كله إلى تقوى الله ورجاء رحمته بإقرار العدل والصلاح. ولقد دلت الكثير من الأحاديث النبوية على أهمية ممارسة إصلاح ذات البين، والسعي في تحصيله والقيام به بكل سبيل، حيث رغب النبي صلى الله عليه وسلم في الإصلاح بين الناس، وجعله أفضل من كثير من ألوان العبادات فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أَلَا أُنبِئُكُمْ بِدَرَجَةٍ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟) قالوا: بلى قال: (صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ)) (٣). أي "إنها لا تبقى شيئاً من الحسنات حتى لا تذهب بها كما يذهب الحلق

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي، ٥٢٩ / ٨.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:

١٣٩٣هـ)، ط/الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ هـ، ٢٦ / ٢٤٣.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: منه، رقم ٢٥٠٩ وقال الألباني: صحيح.

بالشعر من الرأس ويتركه عارياً تستأصل الدين كما يستأصل الموسيقى الشعر" (١).
قال المناوي رحمه الله: "إصلاح الفساد بين القوم وإزالة الفتنة وإسكان النائرة النائرة المستلزم إحياء النفوس غالباً وهي من حيث عموم نفعها أفضل من صدقة نفعها قاصر ومن ذلك ما لو كانت بين طائفتين فتنة فتحمل رجل مالا ليصلح بينهم أو أخذ من المياسير لذلك" (٢).

((فإن فساد ذات البين هي الخالقة)) أي الخصلة التي شأها أن تخلق "أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسيقى الشعر أو المراد المزيلة لمن وقع فيها لما يترتب عليه من الفساد والضغائن وذلك لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير حتى أبيض فيه الكذب وكثرة ما يندفع من المضرة في الدنيا والدين بتشتت القلوب ووهن الأديان من العداوات وتسليط الأعداء وشماتة الحساد فلذلك صارت أفضل الصدقات" (٣).

وهي (الماحية والمزيلة للمثوبات والخيرات، والمعنى يمنعه شؤم هذا الفعل عن تحصيل الطاعات والعبادات، وقيل: المهلكة من حلق بعضهم بعضاً أي قتل مأخوذ من حلق الشعر) (٤).

وقال الطيبي رحمه الله: "فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين،

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (المتوفى:

٩١١هـ)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٨٩/١٣٦٩هـ، ٢/٢١١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٥٦هـ، ٢/٣٩.

(٣) المرجع السابق، ٣/١٠٦.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني،

ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٩/٢٤٠.

وفساد ذات البين ثلثة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله [الصائم] القائم المشتغل بخويصة نفسه، فعلى هذا ينبغي أن يحمل الصلاة والصيام على الإطلاق والحالقة على ما يحتاج إليه أمر الدين" (١).

كما جعله ﷺ سببا لدخول الجنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((والذي نفسِي بيده لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُسَلِّمُوا، وَلَا تُسَلِّمُوا حَتَّى تَحَابُّوا، وَأَفْشُوا السَّلَامَ تَحَابُّوا، وَإِيَّاكُمْ وَبُغْضَةَ، فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ لَكُمْ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ)) (٢).

بل يصل الأمر إلى أن يجوز النبي ﷺ من الكذب رجاء الإصلاح، وكذلك ينفي أن يكون الساعي بالإصلاح كذابا فإن مفسدة الكذب - كثيرا - ما تكون أقل بمراحل من فساد ذات البين فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لا يحل الكذب إلا في ثلاث تحدثه الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس)) (٣).

وعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا)) (٤).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ٤١٥/١.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: التحاب بين الناس، رقم ٢٦٠، وقال الألباني: حسن لغيره (التعليق الرغيب ٢٢٦/٣، ١٢/٤).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: إصلاح ذات البين، ١٩٣٩ وقال الألباني: صحيح دون قوله ليرضيها.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، رقم الحديث ٢٦٩٢، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب: تحريم الكذب وبيان المباح منه رقم ٢٦٠٥.

قال النووي رحمته الله: "ومعناه ليس الكذاب المذموم الذي يصلح بين الناس بل هذا محسن" (١).

قال بدر الدين العيني رحمته الله: "أو المراد: (ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، لأن فيه دفع المفسدة، وقمع الشرور ومعناه: أن هذا الكذب لا يعد كذباً بسبب الإصلاح، مع أنه ليخرج من حقيقته" (٢).

وكما ورد الحث على الإصلاح بين الناس في كلام النبي صلى الله عليه وسلم قولاً ورد عملاً فقد قام بنفسه ليصلح بين الناس.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه ((أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: (اذهبوا بنا نصلح بينهم)) (٣).

قال البدر العيني رحمته الله: "فيه: خروج الإمام مع أصحابه للإصلاح بين الناس عند تفاقم أمورهم وشدة تنازعهم. وفيه: ما كان صلى الله عليه وسلم من التواضع والخضوع والحرص على قطع الخلاف وحسم دواعي الفرقة عن أمته، كما وصفه الله تعالى (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها إلى

(١) شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ، ١٥٧/١٦.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ٢٦٨ / ١٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح، رقم الحديث ٢٦٩٣.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ٢٧٠/١٣.

الصلاة صدقة ويميط الأذى عن الطريق صدقة)) (١).

قال النووي رحمه الله: "يعدل بين الاثنين أي يصلح بينهما بالعدل" (٢).

ومن أمثلة إصلاحه بين الناس في الخصومات ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع

الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ﷺ

فقال: (أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟) فقال: أنا يا رسول الله، فله أي ذلك

(أحب)) (٣).

ومعنى "يستوضعه": يسأله أن يضع عنه بعض دينه. "ويسترفقه": يسأله الرفق

"والتألي": الخالف" (٤).

ويكفي الدعاة فخراً وشرفاً وحثاً لهم على ممارسة إصلاح ذات البين، وبذل الجهد

فيه أن النبي ﷺ أخبر أن الله جل شأنه يصلح بين المسلمين.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى

بدت ثناياه، فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: ((رجلان

من أممي حثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا ربّ خذ لي مظمتي من أخي.

فقال الله - تبارك وتعالى - للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: فضل الإصلاح بين الناس، والعدل بينهم، رقم

الحديث ٢٧٠٧، وأخرجه مسلم في الزكاة باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من

المعروف رقم ١٠٠٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، ٩٥/٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: هل يشير الإمام بالصلح برقم ٢٧٠٥، وأخرجه

مسلم في المساقاة باب: استحباب الوضع من الدين رقم ١٥٥٧.

(٤) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، يحيى بن شرف النووي، ط/ دار الفكر، بيروت:

١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م، ص ٤١.

قال: يا ربّ فليحمل من أوزاري». قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثمّ قال: «إنّ ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم. فقال الله تعالى للطّالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان. فرفع رأسه فقال: يا ربّ أرى مدائن من ذهب وقصورا من ذهب مكلّلة باللؤلؤ لأيّ نبيّ هذا؟ أو لأيّ صديق هذا؟ أو لأيّ شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن. قال: يا ربّ ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه. قال: بماذا؟.

قال: بعفوك عن أخيك. قال يا ربّ فأني قد عفوت عنه. قال الله - عزّ وجلّ -
 فخذ بيد أخيك فأدخله الجنّة. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: اتقوا الله وأصلحوا
 ذات بينكم، فإنّ الله تعالى يصلح بين المسلمين)) (١).

إن من أعظم الأمور التي حث عليها الشارع الحكيم قضية إصلاح ذات البين؛ فإنّ الإصلاح مصدر الطمأنينة والهدوء، ومبعث الاستقرار والأمن، وينبوع الألفة والمحبة، إنه راحة النفوس وانسراح الصدور، ونصوص الشريعة كما ظهر وافرة كثيرة في فضل الإصلاح بين الناس، والبعد عن الشحناء والبغضاء، وهي تدل على أن الإصلاح من أفضل العبادات التي تقرب إلى الله سبحانه، فقد قال الأوزاعي رحمته الله: "ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار. وقال محمد بن المنكدر: تنازع رجلان في ناحية المسجد فملت إليهما، فلم أزل بما حتى اصطلحا" (٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/ ٥٧٦) واللفظ له، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والمندري في الترغيب ٣/ ٣٠٩ وأشار إلى تصحيح الحاكم وقال: أخرجه البيهقي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين

القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوي وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب

المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ٥ / ٣٨٥.

وعن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: كنت جالسا مع محمد بن كعب القرظي، فأتاه رجل فقال له القوم: أين كنت؟ فقال: أصلحت بين قوم، فقال محمد بن كعب: أصبت. لك مثل أجر المجاهدين" (١).

إن الذي لا يقبل الصلح ولا يسعى فيه هو ممن قست قلوبهم، وفسدت بواطنهم، وخبثت نياتهم، حتى كأنهم لا يحبون إلا الشر، ولا يسعون إلا في الفساد، ولا ينجحون إلا إلى الظلم؛ فالإصلاح عبادة جليلة وخلق جميل يحبه الله ورسوله ﷺ، وهو خير كله، وبالإصلاح تكون الأمة وحدة متماسكة، يعز فيها الضعف ويندر فيها الخلل ويقوى رباطها ويسعى بعضها في إصلاح بعض، وبالإصلاح يصلح المجتمع وتأتلف القلوب وتجتمع الكلمة وينبذ الخلاف وترزع الحجة والمودة.

والدعاة إلى الله تعالى في ضوء هذه النصوص الشرعية هم أول من يبادر إلى إصلاح ذات البين، ويحرص على تطبيقه، والسعي فيه كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ١/١٠٩ - ١١٠.

المبحث الثاني

حِرْصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ

لقد اهتمَّ الإسلامُ بالإصلاحِ اهتماماً بالغاً، وخاصَّةً فيما يتعلَّق بِذَاتِ بَيْنِ المسلمين، فكان في حدِّ ذاته مقصداً من مقاصده الكبرى، وغايةً من غاياته المثلى، جسَّدَ هذا الإصلاحُ النبيَّ ﷺ في واقع حياته، وبِهَدْيِهِ الْقَوْلِيِّ وَالْعَمَلِيِّ، مع الصَّحَابَةِ الكرامِ رضي اللهُ عنهم فحرص كلُّ الحرصِ على إيصالِ كلِّ نفعٍ حسيٍّ ومعنويٍّ لهم، ودفع كلِّ ضررٍ وأذى عنهم، فنهاهم عن الاختلافِ والتَّفَرُّقِ والتَّشْتِيتِ، وأمرهم بالبعدِ عن كلِّ أسبابِ الخصومةِ والعداوةِ والبغضاءِ، وقَطَعَ دابرَ المجرانِ والكفرانِ، بأنواعِ شتى وطرقٍ متنوِّعةٍ فاضتْ بها السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْعَطِرَةُ، وذلك كُلهُ رحمةٍ منه ﷺ ورأفةً بالخلقِ، واستجابةً للخالقِ جلَّ وعلا الأمرِ بالاجتماعِ والوفاقِ.

وإذا كان النبي ﷺ هو قدوةُ الدعاةِ إلى الله وإمامهم، يتمثلون هديه ودله؛ فلقد كان ﷺ في المواقفِ المختلفةِ حريصاً كلَّ الحرصِ على إصلاحِ ذاتِ البين، ومن أمثلة ذلك:

أ/ الإصلاح بين متخاصمين في دين: روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن كعب رضي الله عنه: أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ (١). دَبَّيْنَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمَا، حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ (٢). حُجْرَتِهِ، فَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، فَقَالَ: ((يَا كَعْبُ!))، فَقَالَ: لَبَّيْكَ

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن أبي حدرد، واسمه سلامة، وقيل: عبيد بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن سنان بن الحارث بن عبس بن هوازن بن أسلم بن أفضى الأسلمي، أبو محمد، له ولأبيه صحبة، مات سنة إحدى وسبعين، وله إحدى وثمانون سنة، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٥٤/٤.

(٢) سحف: بكسر المهملة، وسكون الجيم، وحكي فتح أوله، وهو الستر، وقيل: أحد طرفي الستر المفرج، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦٥٨/١.

يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَسَارَ بِيَدِهِ: أَنْ ضَعَّ الشَّطْرَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((قُمْ، فَأَقْضِهِ)) (١).

في هذا الحديث مثال للإصلاح بين دائن ومدين، حيث أمر الدائن بوضع شطر حقه، وأمر المدين بالمبادرة بالوفاء، وهذا من الصلح الجائز؛ لأن فيه مصلحة للطرفين.

ب/الإصلاح بين متبايعين: وذلك ببحث البائع على الرفق والخط من الحق الذي

له، روى البخاري ومسلم عن عمرة بنت عبد الرحمن (٢). قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصَوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ (٣). الْآخَرَ وَيَسْتَرْفُقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أَيْنَ الْمُتَأَلِّي (٤). عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟))، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ)) (٥).

في هذا الحديث الكريم الإشارة بالصلح، وإن كان الحق قد اتجه لأحد الخصمين،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٣٦٦/٥) ح (٢٧١٠)، ومسلم في صحيحه (١١٩٢/٣) ح (١٥٥٨)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٢/١٤٥) ح (١٠٠٤).

(٢) هي: عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة بن عدس، من بني النجار، سيدة نساء التابعين، فقيهة، عالمة بالحديث ثقة، من أهل المدينة، صحبت عائشة أم المؤمنين، وأخذت الحديث عنها. ماتت سنة (٩٨) هـ، انظر: تقريب التهذيب (١٣٦٥)، والإعلام (٧٢/٥).

(٣) أي يطلب منه أن يضع عنه من حقه، ويسترفقه: أي يطلب منه الرفق به في ذلك، انظر: فتح الباري (٣٦٢/٥).

(٤) المتألي، بضم الميم، وفتح المثناة والهمزة، وتشديد اللام المكسورة، أي: الخالف المبالغ في اليمين، مأخوذ من الألية، بفتح الهمزة، وكسر اللام، وتشديد التحتانية -: وهي اليمين. انظر: فتح الباري (٣٦٢/٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري، ابن حجر (٣٦٢/٥) ح (٢٧٠٥)، ومسلم في صحيحه (١١٩٢/٣) ح (١٥٥٧)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٢/١٤٥) ح (١٠٠٣).

وليس هذا من قبيل الصلح المنوع، ولهذا ترجم البخاري في صحيحه في كتاب الصلح على هذا الحديث: «باب: هل يشير الإمام بالصلح؟»، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أشار بهذه الترجمة إلى الخلاف؛ فإن الجمهور استحباوا للحاكم أن يشير بالصلح، وإن اتجه الحق لأحد الخصمين، ومنع من ذلك بعضهم، وهو عن المالكية» (١).

وقد جاء عند ابن حبان ما يبين سبب الخصومة، فقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: بأبي وأمي، إني ابتعت أنا وابني من فلان ثمر ماله، فأحصيناه، لا والذي أكرمك بما أكرمك به، ما أحصينا منه شيئا إلا شيئا نأكله في بطوننا، أو نطعم مسكيننا رجاء البركة، وجئنا نستوضعه، ما نقصنا، فحلف بالله لا يضع لنا شيئا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((تألى لا يصنع خيرا)) ثلاث مرات، قالت: فبلغ ذلك صاحب الثمر، فقال: بأبي وأمي، إن شئت وضعت ما نقصوا، وإن شئت من رأس المال، فوضع ما نقصوا)) (٢).

ج/ الإصلاح بين فئتين من المسلمين وحقن دمائهم، سبق أن مر معنا قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين)) (٣). وهو علم من أعلام النبوة، حيث تحقق ذلك عام الجماعة عام واحد وأربعين للهجرة (٤). حيث جمع الله فيه شمل الأمة، وحقن دماءها، فله الفضل والمنة، وقد بين ذلك البخاري، فيما رواه عن الحسن البصري، قال: «استقبل - والله - الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو ابن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر (٣٦٢/٥).

(٢) صحيح ابن حبان (٤٠٨/١١) ح (٥٠٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. انظر: فتح الباري، ابن حجر ٣٦١/٥ ح (٢٧٠٤).

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك ٩٣/٦، والبداية والنهاية ١٨/٨، والكامل في التاريخ ٢٧١/٣.

قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة (١). وعبد الله بن عامر بن كريز (٢). فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما، وقالوا له فطلبنا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالوا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكره يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: ((إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) (٣).

د/ إصلاح بين مزارعين في سقي الماء، روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير، أن الزبير كان يحدث: «أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرًا، إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة (٤). كانا يسقيان به كلاهما، فقال رسول الله ﷺ

(١) هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي، أبو سعيد: صحابي، من القادة الولاة، أسلم يوم فتح مكة، وسكن البصرة، وافتتح سجستان وكابل وغيرهما، وولي سجستان، وغزا خراسان ففتح بها فتوحًا، ثم عاد إلى البصرة، فتوفي فيها سنة (٥٠) هـ، انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١٥٧)، والأعلام للزركلي ٣/ ٣٠٧.

(٢) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبد الرحمن، أمير، فاتح، ولد بمكة، وولي البصرة في أيام عثمان سنة ٢٩ هـ، فوجه جيشاً إلى سجستان، فافتتحها صلحاً، وشهد وقعة الجمل مع عائشة، ولم يحضر وقعة صفين، مات بمكة، ودفن بعرفات سنة (٥٩) هـ، انظر: الأعلام، الزركلي ٤/ ٩٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. انظر: فتح الباري، ابن حجر ٥/ ٣٦١ ح (٢٧٠٤).

(٤) شراج الحرة بكسر المعجمة، وبالجميم: جمع شرح بفتح أوله، وسكون الراء، مثل بحر وبجار- ويجمع على شروج أيضاً، وحكى ابن دريد: شرح بفتح الراء، وحكى القرطبي شرحه، والمراد بها هنا: مسيل الماء، انظر: فتح الباري (٥/ ٤٤).

للزبير: ((اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك))، فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: ((اسق، ثم احبس حتى يبلغ الجدر(١). فاستوعى(٢). رسول الله ﷺ حينئذ حقه للزبير، وكان رسول الله ﷺ - قبل ذلك- أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ(٣). الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم، قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١٥) (٤). (٥).

وفي هذا الحديث أراد النبي ﷺ أن يصلح بين الزبير وخصمه بأن يسقي الزبير زرعه ولا يستوفي حقه، بل يرسل الماء لأخيه الأنصاري، فلما لم يرض بذلك أمر النبي ﷺ الزبير باستيفاء حقه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أمره - أولاً- أن يسامح ببعض حقه على سبيل الصلح، وبهذا ترجم البخاري في الصلح إذا أشار الإمام بالمصلحة، فلما لم يرض

(١) الجدر: بفتح الجيم وسكون الدال المهملة هو المسناة، وهو ما وضع بين شربات النخل كالجدار، وقيل: المراد الحواجز التي تحبس الماء، وحزم به السهيلي، ويروي: الجدر بضم الدال حكاة أبو موسى، وهو جمع جدار، وقال ابن التين: ضبط في أكثر الروايات بفتح الدال، وفي بعضها بالسكون، وهو الذي في اللغة، وهو أصل الحائط، انظر: فتح الباري ٤/٥.

(٢) أي: استوفي، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤٧/٥.

(٣) أي: أغضبه، انظر: المرجع السابق ٤٧/٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٤٢/٥) ح (٢٣٥٩، ٢٣٦٠)، ومسلم في صحيحه (٤/١٨٢٩) ح (٢٣٥٧)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٣/١١١) ح (١٥١٩).

الأنصاري بذلك استقصى الحكم وحكم به...»، ثم قال أيضاً: «وفيه أن للحاكم أن يشير بالصلح بين الخصمين، ويأمر به، ويرشد إليه، ولا يلزمه به إلا إذا رضي" (١).
 ووجه دلالة الحديث على إصلاح ذات البين أن النبي ﷺ بدأ به قبل غيره، وهذا يدل على فضله، ورغبة الشارع فيه، وتطلعه إليه.

هـ/ الإصلاح بين الجماعات والقبائل، روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه: ((أنا أناساً من بني عمرو بن عوفٍ كان بينهم شيءٌ، فخرج إليهم النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه يصلح بينهم...)) (٢).

دلّ هذا الحديث على أن النبي ﷺ لما علم باختلاف أصحابه بادر بالخروج إليهم من أجل الإصلاح، فحصل ذلك، وهذا يدل على فضل الإصلاح والمبادرة إليه، حتى لا يزيد الشقاق والاختلاف بين المسلمين.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: "وفي هذا الحديث: فضل الإصلاح بين الناس، وجمع كلمة القبيلة، وحسم مادة القطيعة، وتوجه الإمام بنفسه إلى بعض رعيته لذلك، وتقديم مثل ذلك على مصلحة الإمامة بنفسه" (٣).

وقال ابن المنير رحمته الله: "فقه الترجمة: التنبيه على جواز مباشرة الحاكم الصلح بين الخصوم، ولا يعد ذلك تصحيفاً في الحكم" (٤).

و/ الإصلاح بين المسلمين والكفار، روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: ((لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية كتب علي بينهم كتاباً، فكتب

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤٨/٥، ٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٣٥٠/٥) ح (٢٦٩٠)، ومسلم في صحيحه

(٣١٦/١) ح (٤٢١)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٨٨/١) ح (٢٤٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٩٨/٢.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٩٤/١٣.



محمد ﷺ، فقال المشركون: لا تكتب «محمد رسول الله»، لو كنت رسولا لم نقاتلك، فقال لعلي: ((امحه))، فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده، وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح، فسألوه: ما جلبان السلاح؟ فقال: القراب (١). بما فيه (٢).

في هذا الحديث دليل على جواز مصالحة المسلمين للكفار إذا كان في ذلك مصلحة ترجع عليهم، ولذا بوب البخاري في كتاب الصلح من صحيحه: «باب الصلح مع المشركين»، وأورد هذا الحديث.

إن كل التطبيقات العملية من النبي ﷺ في إصلاح ذات البين؛ لتؤكد للدعاة إلى الله تعالى أن الأمر من الأهمية بمكان، وأنهم لا يتحقق اقتداؤهم بالنبي ﷺ إلا إذا قاموا بإصلاح ذات البين، وبذلوا الجهد الجهد في سبيل تحقيق ذلك، ولقد قال ربنا جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣).

(١) القراب: شبه الجراب من الأدم يوضع فيه السيف مغموداً، وي طرح فيه للراكب سوطه وأداته،

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٢/١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٣٥٧/٥) ح (٢٦٩٨)، ومسلم في صحيحه

(٣) ح (١٤٠٩/٣) ح (١٧٨٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

المبحث الثالث

مبادئ إصلاح ذات البين ومجالاته التي يقوم بها الدعاة

إن ميدان إصلاح ذات البين واسع عريض، في الأفراد والجماعات والمجتمعات، والأزواج والزوجات، والكفار والمسلمين، والفئات الباغية والعادلة، في الأموال والدماء، والتراعات والخصومات، وهذا يجعل على الدعاة إلى الله تعالى مسؤولية كبيرة في استيعاب هذه المجالات والميادين، وعدم الغفلة عن واحد منها. ومن أبرز مبادئ إصلاح ذات البين ومجالاته التي يقوم بها الدعاة إلى الله تعالى استجابة لأمر ربهم، واقتداء بفعل نبيهم ﷺ:

أ/ الإصلاح بين الزوجين: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٨﴾﴾ (١).

قال القاضي بن عطية رحمته الله: "وقوله ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظ عام مطلق بمقتضى أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق ويندرج تحت هذا العموم أن صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة" (٢).

وقال الزمخشري رحمته الله: "وَالصُّلْحُ خَيْرٌ" من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة. أو هو خير من الخصومة في كل شيء. أو الصلح خير من الخيور، كما أن الخصومة شر من الشرور" (٣).

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

(٢) الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٢/١٢٠.

(٣) الكشف عن حقائق غوامض الترتيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ١/٥٧١.

وقال بن عاشور رحمته الله: "فالمراد الصلح بمعنى إصلاح ذات البين، والأشهر فيه أن يقال الإصلاح. والمقصود الأمر بأسباب الصلح، وهي: الإغضاء عن الهفوات، ومقابلة الغلظة باللين، وهذا أنسب وأليق بما يرد بعده" (١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٣٥) (٢).

قال ابن عباس ومجاهد: "هما الحكمان إذا أرادا الإصلاح وفق الله بينهما وذلك إذا أمرهما الله سبحانه بتوفيقه فقد صلح أمرهما وأمر الزوجين فكل ما كان بعد ذلك فهو خير والأصل هي النية فإذا صلحت صلحت الحال كلها واستقامت الأفعال وقبلت" (٣).

ولقد جاء رسول الله ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: ((أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَعَاظِبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: انظُرْ أَيْنَ هُوَ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ)) (٤).

ب/ الإصلاح بين الناس في الخصومات المالية:

ومن أعظم ميادين إصلاح ذات البين التدخل لإزالة الخصومات المالية التي تقع بين

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٥ / ٢١٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٣) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، ١ / ٥٤٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: نوم الرجل في المسجد، رقم ٤٤١، وأخرجه مسلم

في فضائل الصحابة باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقم ٢٤٠٩.

الناس فإن المال مظنة المشاحة وكم سفكت بسببه الدماء وهتكت له الأعراض والتدخل لإصلاح ما يقع بين الناس بسببه عمل قدره الشرع ويسر له ما لم يسر لغيره.

فَعَنْ قَبِيصَةَ بِنِ مَخَارِقِ الْهَلَالِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ((تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ «أَقِمَّ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا» . قَالَ ثُمَّ قَالَ « يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ تَحْمَلُ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاكَ مَالُهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةَ مِنْ ذَوِي الْجِحَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سَحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سَحْتًا)) (١).

و"تحملت حمالة بفتح الحاء ما يتحملة الإنسان عن غيره من دية أو غرامة أي تكفلت مالا لإصلاح ذات البين، قال الخطابي رحمه الله: هي أن يقع بين القوم التشاجر في الدماء والأموال ويخاف من ذلك الفتن العظيمة فيتوسط الرجل فيما بينهم يسعى في ذات البين ويضمن لهم ما يترضاهم بذلك حتى يسكن الفتنة" (٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: ((أَيْنَ الْمُتَالِي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة، رقم ١٠٤٤.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي، نور الدين بن عبدالمهدي أبو الحسن السندي، تحقيق:

عبدالفتاح أبو غدة، ط/٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب:

١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م | ٨٩/٥.

المَعْرُوف؟))، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ)) (١).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه: أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمَا، حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، فَقَالَ: ((يَا كَعْبُ))، فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ: أَنْ ضَعِ الشُّطْرَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((قُمْ، فَاقْضِهِ)) (٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَتَبِعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، فَقَالَ الَّذِي اشْتَرَى الْأَرْضَ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، قَالَ: فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ قَالَ أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا)) (٣).

إن جهود الدعاة إلى الله تظهر في مثل هذه المواطن التي تترع فتيل الخصام والتقاطع بسبب المال، وتجمع كلمة المسلمين من خلال المسامحة والتيسير على الآخرين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٣٦٢/٥) ح (٢٧٠٥)، ومسلم في صحيحه (١١٩٢/٣) ح (١٥٥٧)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١٤٥/٢) ح (١٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري (٣٦٦/٥) ح (٢٧١٠)، ومسلم في صحيحه (١١٩٢/٣) ح (١٥٥٨)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١٤٥/٢) ح (١٠٠٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الأقضية، باب: استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، رقم الحديث

ج/ الإصلاح بين الطوائف المتناحرة من المسلمين:

ومن ميادين إصلاح ذات البين المهمة التي يقوم بها الدعاة إلى الله تعالى إصلاح ما يقع بين طوائف المسلمين المتناحرة وقد صدر الأمر بذلك صريحاً في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبْغِيَ إِلَىٰ آلِ الْأُمِّ الرَّحْمَةِ فَإِن تَفَافَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (١).

قال الشوكاني رحمه الله: "والمعنى أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه كان على المسلمين يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيتها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للأخرى ثم أمر سبحانه المسلمين أن يعدلوا في كل أمورهم بعد أمرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتلتين، أي أعدلوا إن الله يحب العادلين ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم بأحسن الجزاء، وجملة (إنما المؤمنون إخوة) مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإصلاح والمعنى أنهم راجعون إلى أصل واحد وهو الإيمان قال الزجاج الدين يجمعهم فهم إخوة إذا كانوا مستفيين في دينهم فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب لأنهم لآدم وحواء (فأصلحو بين أخويكم) يعنى كل مسلمين تحاصماً وتقاتلاً وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما

(١) سورة الحجرات، الآيات: ٩، ١٠.

فوقهما بطريق الأول" (١).

وكذلك ورد الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١﴾ (٢).

"أي واتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم، ولا تظالموا، ولا تخصصوا، ولا تشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تخصصون بسببه" (٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي فأنطلق إليه النبي ﷺ وركب جماراً فأنطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني والله لقد آذاني نثن جمارك. فقال رجل من الأنصار منهم: والله لجمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل واحدٍ منهما أصحابه فكان بينهما ضربٌ بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ٤﴾ (٤). (٥).

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/١، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، (٤/٤٢٦).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م، ٢/٢٨٦.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٥) رواه البخاري، كتاب: الصلح، باب: ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، رقم الحديث ٢٦٩١، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب: في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصره على أذى المنافقين رقم ١٧٩٩.

وبالجملة فإنه مما يدل على فضيلة الإصلاح وأهميته في ممارسات وتطبيقات الدعاة إلى الله تعالى اتساع ميادينه ورحابة مجالاته؛ فبقدر ما تكثر بين الناس المنازعات، وترتفع في مجالسهم الخصومات، ويتهدد بناء الأسر والبيوتات، وتساء علاقات الأفراد والجماعات، بقدر ما تكثر ميادين الإصلاح وتتسع حلوله وتتعدّد أساليبه وطرقه حتى إنه ليسع الناس في دمايهم وأموالهم وأقوالهم وأفعالهم وكل ما يقع فيه الإفساد والاعوجاج وتطول يد البغي والإجرام.

إنه إصلاح شامل وعادل يجمع بين متخصصين، ويقرب بين متباعدين، ويمحو شحناء المتعادين، يبدأ من الأهل وذوي الأرحام، ليعم الأنساب والجيران والخلائن والإخوان إلى أن ينتهي بعموم الناس على اختلاف مشاربهم وطبائعهم بلا تخاذل أو تماون، ودون تعلل أو تسويغ. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١). أي لا تتعللوا بالأيمان لتتركوا البر والتقوى والإصلاح بين الناس.

وللإصلاح في الأسرة وبيت الزوجية دور في الحفاظ على كيانها وأفرادها قبل استعصاء الحلول وتفاقم المشكلات. قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِيهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صِدْقًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.

اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ (١).

وله بين أصحاب الحقوق في الوصايا والأوقاف والولايات إسهام في حفظ عقودهم ومعاملاتهم ورعاية شؤونهم وصونها من الجور والانحراف، ومن تعرضها للإهمال والضياع. قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (٢). وقال في شأن اليتامى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٩﴾ (٣).

وأما في نطاق جماعة المؤمنين وطوائف المسلمين فله سلطان الحكم عليهم وإلزامهم بما يحفظ عليهم وئامهم ويقوي أواصرهم ويدفعهم إلى تقوى الله وطاعته كما في قوله في مطلع سورة الأنفال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ (٤).

وحتى في الحالات الشاذة التي قد يصل فيها الأمر إلى التقاطع والتدابير؛ بل إلى التقاتل والتناحر، فإن الله ندب إلى الإصلاح لما فيه من قطع السبيل على الأعداء، وحفظ الأموال وحقن الدماء، فقال جل ذكره: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴿٥﴾ (٥).

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ٩.

وإذا كان إفسادُ ذاتِ البينِ يَحْلِقُ الدِّينَ، ويُذَكِّي العَدَوَاتِ ويفرِّقُ بينَ الأَحْبَابِ
 ويزيلُ وُدَّ الأَصْحَابِ، فإنَّ إِصْلَاحَ ذاتِ البينِ يُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ، وَيُلْمُ الشَّمْلَ، وَيَعِيدُ
 الوَثَامَ وَيُصْلِحُ مَا فَسَدَ عَلَى مَرِّ الأَيَّامِ؛ فَهُوَ لِهَذَا مَبْعَثُ الأَمْنِ وَالاسْتِقْرَارِ، وَمَنْبَعُ الأُلْفَةِ
 وَالْمَحَبَّةِ، وَمَصْدَرُ الهُدُوءِ وَالإِطْمِنَانِ، وَأَيَّةُ الإِتِّحَادِ وَالتَّكَاتُفِ، وَدَلِيلُ الأَخُوَّةِ وَبِرْهَانُ
 الإِيمَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ﴾ (١).

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

المبحث الرابع

فقه إصلاح ذات البين

إن إصلاح ذات البين ليس بالأمر بالهين ولا باليسير، ولا يقوى عليه إلا من استجمع شروطاً وفقهاً حتى يقع إصلاحه على الوجه الشرعي المطلوب، ويحقق الغايات النبيلة من إصلاح ذات البين

إن تحقيق إصلاح ذات البين يحتاج إلى عزيمة راشدة، ونية خيرة، وإرادة مصلحة، وتجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية، فإذا تحقق الإخلاص حل التوفيق، وجرى التوافق، وصفت النفوس، وساد الحب والوئام، ونال المصلح كرامة الأجر العظيم.

إن إصلاح ذات البين، هو جهدٌ وعملٌ لا غنى لجماعة المسلمين عنه، فحاجتهم إليه وإلى من يقوم به من المخلصين، شيءٌ يُدرِكُه من يعلم مقدار الثلم الذي يحدثه الفساد والإفساد بين المسلمين، ويعلم مقدار الشرخ الكائن في الأمة بسبب الأدواء والأهواء المفرقة لها، والقاضية عليها وعلى وحدتها، من أسباب التنازع ومورثات الفشل وذهاب الهيبة، مما يوهن أمر الأمة في الداخل، ويوهن شأنها في الخارج مع غيرها من الأمم الأخرى، قال الله جلّ وعلا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١).

والمخلص من المصلحين والدعاة إلى الله تعالى يمتثلُ أمر الله ورسوله في إصلاحه للمجتمع، وإصلاح ذات بين المسلمين، لا يخرج عن سنن التغيير الشرعية، ويوظف ما في يده من وسائل دعوية لهذا المقصد النبيل، ويستحضر معية الله الخاصة لعباده الصابرين على المأمور والمحظور والمقدور، فهي معية متضمنة إعانة الله جلّ وعلا لمن حقق طاعته وطاعة رسوله ﷺ. ونيل درجة الصلاة والصيام والصدقة بإصلاح ذات البين، مشروطٌ فيه قيامه على العلم والعدل المصحوبين بالقصد الحسن.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

قال ابن القيم رحمه الله: "فالصلحُ الجائزُ بين المسلمين هو الذي يُعتمدُ فيه رضى الله سبحانه ورضى الخصمين، فهذا أعدلُ الصلحِ وأحقُّه، وهو يُعتمدُ العلمَ والعدلَ، فيكونُ المصلحُ علماً بالوقائع، عارفاً بالواجبِ، قاصداً للعدلِ، فدرجةُ هذا أفضلُ من درجةِ الصائمِ القائمِ..." (١).

وهذا سيرٌ بديعٌ في فقه الإصلاح؛ فإن إصلاح ذات البين عزيمة راشدة، ونية خيرة، وإرادة مصلحة، والأمة تحتاج إلى إصلاح يدخل الرضا على المتخاصمين، ويعيد الوثام إلى المتنازعين، إصلاح تسكن به النفوس، وتأتلف به القلوب، ولا يقوم به إلا عصبية خيرة من خلق الله، شرفت أقدارهم، وكرمت أخلاقهم، وطابت منابتهم، ولذا فإن للإصلاح فقه ومسالك دلت عليها نصوص الشرع وسار عليها المصلحون المخلصون من الدعاة إلى الله تعالى، ومنها:

١. استحضر النية الصالحة وابتغاء مرضاة الرب جل وعلا كما قال جل وعلا:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٤) (٢).

قال الرازي رحمه الله: "والمعنى أن هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة إلا أن الإنسان إنما ينتفع بها إذا أتى بها لوجه الله ولطلب مرضاته، فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصار من أعظم المفاسد، وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان

(١) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ١٠٩/١ - ١١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

الله تعالى" (١).

وقال أبو حيان رحمه الله: "وفي قوله: ابتغاء مرضاة الله دليل على أنه لا يجزي من الأعمال إلا ما كان فيه رضا الله تعالى، وخلصه لله دون رياء ولا سمعة" (٢).
إنه عمل عظيم وله - في نظر الشارع - مقام جليل؛ فاحتساب ذلك على الله عز وجل يبعث الهمم، ويقود إلى المسارعة والمسابقة في ذلك السبيل، ويمد القائم به بالصبر، والروح، والطمأنينة.

٢. تجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية فهي مما يعيق التوفيق في تحقيق الهدف المنشود، والدعاة في قيامهم بإصلاح ذات البين لا يحكمون بهواهم، ولا يبحثون عن منافع دنيوية، بل ينتغون وجه الله عز وجل.

٣. لزوم العدل والتقوى في الصلح، لأن الصلح إذا صدر عن هيئة اجتماعية معروفة بالعدالة والتقوى وجب على الجميع الالتزام به، والتقيد بأحكامه إذعاناً للحق وإرضاءً للضمائر الحية كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾﴾ (٣).

(١) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ، ٢١٨/١١.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط/١، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٤/٦٦.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ - ١٠.

٤. أن يكون المصلح عاقلاً حكيماً منصفاً في إيصال كل ذي حق إلى حقه مدركا للأمور متمتعاً بسعة الصدر وبعُد النظر مضيقاً شقّة الخلاف والعداوة، محلاً للحبّة والسلام.

٥. سلوك مسلك السر والتجوى، ولئن كان كثير من التجوى مذموماً إلا أنه في هذا الموطن محموداً كما قال جل وعلا: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

٦. الحذر من فشو الأحاديث وتسرب الأخبار والتشويش على الفهوم مما يفسد الأمور المبرمة والاتفاقيات الخيرة، لأن من الناس من يتأذى من نشر مشاكله أمام الناس، وكلما ضاق نطاق الخلاف كان من السهل القضاء عليه. وهذا فقه في الإصلاح دقيق؛ لأن فشل كثير من مساعي الصلح فيسبب تسرب الأخبار وفشو الأحاديث وتشويش الفهوم مما يعكر أجواء الاتصال، ويقضي على روح المبادرة والامتثال. وبالجملة فإن المحافظة على أسرار المتخاصمين من الأخلاق التي يجب على المصلح أن يأخذ بها، وألا يسمح لنفسه بالتفريط في شأنها. أما إذا احتاج إلى إفشاء شيء من ذلك لمن يعينه الأمر، أو لمن يمكن الإفادة من رأيه، فذلك داخل في الإصلاح.

٧. اختيار الوقت المناسب للصلح بين المتخاصمين حتى يؤدي الصلح ثماره ويكون أوقع في النفوس.

٨. أن يكون الصلح مبنياً على علم شرعي يخرج المتخاصمين من الشقاق إلى الألفة ومن البغضاء إلى الحبة.

٩. التلطف في العبارة واختيار أحسن الكلم في الصلح، ولقد جاء رسول الله

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

يَبْتَ فَاظْمَةً فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: ((أَيُّنَ ابْنُ عَمِّكَ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَعَاظَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: انظُرْ أَيُّنَ هُوَ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ)) (١). وفيه دليل على الاستعطاف بذكر القرابة.

١٠. استحباب الرفق في الصلح وترك المعاتبة إبقاء للمودة، لأن العتاب يجلب الحقد ويوغر الصدور، وقد كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري (رد الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن) (٢).

١١. البدء بالجلسات الفردية بين المتخاصمين لتلين قلوبهما إلى قبول الصلح مع الثناء على لسان أحدهما للآخر. فاللقاء الفردي بكل واحد من الأطراف ربما يحسن في بعض الأحيان؛ حتى لا يحصل الصراع والعراك في بداية الأمر؛ فيتعذر الإصلاح. فإذا حصل اللقاء الفردي كان ذلك سبباً لأن يقف المصلح على حقيقة الأمر، وما يريده كل طرف من الآخر.

١٢ - أن يتصف بروح المبادرة، والحرص على نشر الخير من تلقاء نفسه، وعدم انتظار دعوة للتوسط، وليكن قدوته رسول الله ﷺ حين علم بخصومة بين أهالي قباء قال: (اذهبوا بنا نصلح بينهم). فعن سهل بن سعد ﷺ ((أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: (اذهبوا بنا نصلح بينهم)) (٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: نوم الرجل في المسجد، رقم الحديث ٤٤١، وأخرجه

مسلم في فضائل الصحابة باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقم ٢٤٠٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ٣٨٤/٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح، رقم الحديث

١٣- أن يتحلى بالحلم وسعة البال والصبر والتأني وعدم العجلة. لأنه سيدخل بين أطراف متخاصمين والخصومة مظنة الظلم والاعتداء وطيش العقل وفتان اللسان وليعلم أن مهمته مرهقة فليوطن نفسه على التحمل وسعة الصدر ولين الجانب ومقابلة الإساءة بالإحسان واحتمال ما يصدر من سفه وتجاوز وترديد كلام. "إن المصلح - في الأغلب - سيدخل بين أطراف يقل عندها العدل والعقل، ويفشو فيها الظلم والجهل؛ فيحتاج - إذاً - إلى ضبط النفس، وسعة الصدر، واحتمال ما يصدر من سفه، وتجاوز، وترديد كلام، وإطالة في المقدمات. فلا يحسن به أن يكون ضيق الصدر، قليل الصبر. وليعلم أن مهمته مرهقة؛ فليوطن نفسه على عقبات الطريق، وليداوِ كل سوم النفوس بالهدوء، وسعة الصدر، ولين الجانب، ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ فإن تلك الصفات رقية النفوس الشرسة، وبلسم الجراح الغائرة"^(١).

١٤- أن يكون ذا علم شرعي عالم بما يحل ويحرم والشروط والأحكام خاصة في مجال الخصومة. وخبيراً في مجال النزاع عالماً بالوقائع محيطة بالقضية وملابسها باحثاً عن مسبباتها عارفاً بطرق معالجة المشكلات ووضع الحلول والتسويات العادلة المقترحة سواء كانت في مجال المشاكل الزوجية أو العقار أو الديون.

١٥- أن يكون لطيفاً مع الناس وأن يحرص على استعمال الأسلوب الحسن والحكمة والبصيرة. والبعد عن العبارات الجارحة حتى مع العصاة فالتوبيخ والتعيير بالذنب مذموم والقصد من التلطف هو إصلاح العوج، وسد الخلل، وبيان الصواب و القيام بواجب الإصلاح من غير أذى.

١٦- أن يكون المصلح محايداً "وهذه من أهم الصفات وأكثرها تأثيراً في عملية الإصلاح لذا وجب أن يحرص على أن ينظر إليه الطرفان بوصفه شخص محايد لا يميل مع أيهما حتى لو كان احدهما قريباً أو صديقاً أو ذا علاقة معه وإذا كانت لك علاقة

(١) معالم في إصلاح ذات البين، محمد بن إبراهيم الحمد، بدون ذكر تاريخ ودار النشر، ص ٥.

مع احدهما فيجب أن يوضح من البداية أن هذه العلاقة لا دخل لها ولا تأثير في هذا النزاع ويجب أن تسعى إلى ترسيخ هذا المفهوم لان الميل يفقدك الفاعلية والقدرة على الإقناع والتأثير" (١).

ولقد قامت مجموعة من علماء النفس بإجراء دراسة حول تأثير الوسيط المحايد في عملية الوساطة، وكان من بين النقاط التي تعرضت لها المجموعة " ذلك الأثر الكبير الذي يمكن أن يحدث إن نظر أحد الأطراف إلى الوسيط بوصفه غير محايد" (٢).

١٧- أن يتحرى العدل قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَقَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ (٣).

وذلك لأن كثيرا من الناس لا يعتمد العدل في الصلح بل يصلح صلحا جائرا ظالما فيصلح بين القادر المعتدي والخصم الضعيف المظلوم بما يرضى به القادر صاحب الجاه ويكون له فيه الحظ ويكون الإغماض والحيف على الضعيف ويظن أنه بهذا قد أصلح.

١٨- الدعاء وسؤال الله التوفيق: فمهما بلغ الإنسان من الكياسة والفتنة، والسياسة، وحسن التصرف - فإنه لا يستغني عن توفيق الله ولطفه، وإعانتة؛ فليلجأ المصلح إلى ربه وليسأله التوفيق، والتسديد، واللطف، فإنه عز وجل يجب من دعاه، ويعين من استعان به كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ (٤).

(١) فن الإصلاح بين الناس، فهد بن فريج المعلا البلوي، بدون ذكر تاريخ أو دار النشر، ص ٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) سورة الحجرات، الآيات: ٩-١٠.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

١٩- الحذر من اليأس: "فربما حاولت المحاولة الأولى، وبذلت وسعك في معالجة المشكلة - فأخفقت؛ فإن كنت قصير النَّفس، ضيق العطن أيست من العلاج، وتركت المحاولة إلى غير رجعة. أما إذا أخذت بسياسة النفس الطويل، وتدرجت في مراحل العلاج مرحلة مرحلة - أو شككت أن تصل إلى مبتغاك؛ فاحذر -إذاً- من اليأس، وإن أعيتك حيلة فالجأ إلى أخرى، وإذا انسدت عليك طريق - فاسلك غيرها"(١).

٢٠- الوضوح ولزوم الصدق والصراحة: والمقصود بالصراحة ههنا ألا يساير أحداً من الخصمين على باطل، وألا يَعدَّ أحداً منهما وعداً وهو غير قادر على إنفاذه، إلى غير ذلك مما يستلزم الوضوح والصدق. وليس من شرط ذلك أن يشتد المصلح، أو أن يواجه الخصوم بما يكرهون بحجة أنه صريح، بل يحرص على أن تكون صراحته مغلقة بالأدب واللياقة، وأن تكون كلماته خفيفة الوقع على أسماع المتخاصمين. كما لا ينافي الصراحة والصدق تنمية الخير، واستعمال المعاريض، والعبارات الواسعة التي تصلح وتقرب.

ويحسن بالمصلح أن يُذكر الأطراف المتخاصمة بالعاقبة؛ فيذكرهم بعاقبة الخصومة، وما تجلبه من الشقاق، وتوارث العداوات، واشتغال القلوب، وغفلتها عن مصالحها. ويذكرهم - كذلك- بالعاقبة الحميدة للمصلح في الدنيا والآخرة، ويسوق لهم الآثار الواردة في ذلك ويسوق لهم قصصاً لأناس عفوا، فحصل لهم من العز، والخير ما حصل. وهكذا... فذلك يبعث النفوس إلى الإقصار عن التمادي في الخصام.(٢).

ولقد سئل سماحة العلامة ابن باز رحمته الله عن الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يقوم بإصلاح ذات البين فقال: "ينبغي أن يكون ذا حلم وتقوى لله وعمل صالح وإنصاف للنفس من النفس حتى يتوسط بين الناس بما أعطاه الله من العلم والبصيرة

(١) معالم في إصلاح ذات البين، محمد بن إبراهيم الحمد، بدون ذكر تاريخ ودار النشر، ص ٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٧.

والإنصاف والتواضع حتى يتوسط بين من زين لهم الشيطان الاختلاف والفرقة. ومن صفاته أن يكون جواداً كريماً سخياً يستطيع أن يبذل المال في الإصلاح بين الناس، فالمصلح من صفاته الخلق الحسن والتواضع والجود والكرم وطيب الكلام وحسن الكلام وعدم سوء الكلام. ويتوسط بكلام طيب وأسلوب حسن ورفق وجود وكرم، إذا دعت الحاجة إلى وليمة أو مساعدة بذل حتى يتمكن من الصلح، ومما يتعلق بالصلح أيضاً بذل المال ولو بطريق السلفة والقرض، يتحمل حمالة يقترض من بعض إخوانه ليصلح بين المتنازعين والمختلفين من قبيلتين أو قرابتين أو أخوين أو ما أشبه ذلك، قد يحتاج إلى بذل المال ولو بالاقتراض ويعطى من الزكاة إذا تحمل للإصلاح، فالمصلح بين الناس جدير بأن يساعد ويعان حتى ولو من الزكاة" (١).

وفي الحديث الصحيح عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: ((أَقِمَّ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَأَمْرٌ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاَحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةَ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فَلَانًا فَاقَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنْ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا)) (٢).

ومن المهم أحياناً أن يدرك الداعية أن مهمته السعي في إصلاح ذات البين أما نيل التوفيق والنجاح في ذلك فمرده إلى الله تعالى؛ فما عليك أيها الداعية سوى بذل الوسع، واستنفاد الطاقة، ثم بعد ذلك وطن نفسك على أن محاولاتك ربما لا تفلح؛ فلا

(١) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله <http://www.binbaz.org.sa>

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة، رقم الحديث ١٠٤٤.

يكبر عليك ذلك، وأعلم بأنك مأجور مثاب، وليس من شرط الإصلاح إدراك النجاح، وليكن شعارك: ﴿قَالَ يَقْوَمُ أَرَاءَ يَتَمَّ إِن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ الْفَكْرَ إِلَىٰ مَا أَنهَلَكَمَّ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١).

وفي بيان فقه إصلاح ذات البين يجدر بنا أن نشير إلى قول ابن القيم رحمه الله عندما قال: "الصلح نوعان: الأول: الصلح الحائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه ورضى الخصمين، فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالماً بالوقائع، عارفاً بالواجب، قاصداً للعدل، فدرجة هذا المصلح أفضل من درجة الصائم القائم.

والثاني: الصلح الذي يحل الحرام ويحرم الحلال، كالصلح الذي يتضمن تحريم بضع حلال، أو إحلال بضع حرام، أو إرفاق حر، أو نقل نسب أو ولاء عن محل إلى محل، أو أكل ربا، أو إسقاط واجب، أو تعطيل حد، أو ظلم ثالث وما أشبه ذلك، فكل هذا صلح جائر مردود" (٢).

ويدل على تحريم هذا الصلح جملة من الأدلة، منها:

١ - قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

﴾ (٩) (٣). فقد أمر الله أن يكون الصلح بالعدل لا بالجور، وأمر بالقسط في ذلك، وأخبر عن محبته للمقسطين العادلين في أحكامهم.

٢ - روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، وعمرو بن

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) إعلام الموقعين، ابن القيم ١/١٠٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

عوف المزني رضي الله عنه (١). أن رسول الله ﷺ قال: ((الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما)) (٢).

دل هذا الحديث العظيم أن الأصل في الصلح الجواز، إلا إذا تضمن تحريم حلال أو تحليل حرام؛ فإنه لا يجوز ويكون من الصلح المحرم.

وعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما (٣). أنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر - وهو أقره منه-: نعم، فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لي، فقال ﷺ: ((قل))، قال: إن ابني كان عسيفاً (٤). على هذا، فزني بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة (٥). فسألت أهل العلم، فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال ﷺ: ((والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها)) فعدا عليها، فاعترفت، فرجمها (٦).

- (١) هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عمرو بن عوف بن زيد بن ملحمة - بكسر أوله ومهملته- بن بكر بن أفرك بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة، أبو عبد الله المزني، صحابي، مات في ولاية معاوية، انظر: تهذيب الكمال (١٧٣/٢٢)، وتقريب التهذيب ١/٧٤٢.
- (٢) أخرجه من حديث أبي هريرة: أبو داود في سننه (٣٠٤/٣) ح (٣٥٩٤)، والحاكم في المستدرک (٢٠١/٤) ح (٧١٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٤/٦) ح (١١١٣٢).
- (٣) هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، زيد بن خالد الجهني المدني، صحابي، شهد الخديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، له ٨١ حديثاً، توفي في المدينة سنة (٧٨) هـ عن ٨٥ سنة، انظر: الأعلام للزركلي (٥٨/٣).
- (٤) العسيف: هو الأجير، فتح الباري (١٥٦/١).
- (٥) هي: الجارية والأمة المملوكة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٢٥/٥).
- (٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٥٩/٢) ح (٢٥٤٩)، ومسلم في صحيحه (١٢١/٥) ح (٤٥٣١)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٥٢٩/١).

وهذا الصلح من الجور، كما ترجم عليه البخاري في كتاب «الصلح» من صحيحه: «باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود».

ووجه الشاهد من هذا الحديث: أنه لما اصطلح هذان الرجلان على إبطال الحدِّ في حق الزانين رده رسول الله ﷺ، وحكم بينهما بكتاب الله، فجلد البكر منهما وغربه، ورجم المحسن وهي المرأة.

فيجب على من سعى بالصلح بين المسلمين أن يحرص على أن يكون صلحه بالعدل وأن يحذر من الجور، والظلم في الصلح، ومن تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فلا يراعي أحداً لجأه أو ماله أو مكانته على حساب خصمه، حتى ينال الأجر العظيم الذي أعدّه الشارع على الإصلاح.

وما ذكره ابن القيم في النوع الأول - وهو الصلح الجائر المشروع - قد قسمه العلماء إلى خمسة أنواع:

النوع الأول: الصلح بين المسلمين وأهل الحرب، كما في صلح الحديبية بين النبي ﷺ وأصحابه وبين كفار قريش.

النوع الثاني: صلح بين أهل العدل وأهل البغي من المسلمين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣﴾ (١).

النوع الثالث: صلح بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٢٥) (٢).

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ٩-١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.

النوع الرابع: إصلاح بين متخاصمين في غير المال، كإصلاح النبي ﷺ بين أناس من بني عمرو بن عوف في خصومة كانت بينهم.

النوع الخامس: إصلاح بين متخاصمين في الأموال، كإصلاحه بين المتخاصمين في الدين بأن يضع أحدهما نصفه ويوفيه الآخر حقه (١).

ومن شك أنه إذا التزم الدعاة إلى الله تعالى بفقهِه الإصلاح أثمر ذلك الثمرات والنتائج الطيبة والإيجابية والمحمودة.

(١) شرح الزركشي، على الخرقى ١٠٣/٥، المبدع في شرح المقنع ٢٧٨/٤، وحاشية السروض المربع شرح زاد المستنقع ١٢٩/٥.

المبحث الخامس

أثر جهود الدعوة في إصلاح ذات البين

إن التنازع مفسد للبيوت والأسر، مهلك للشعوب والأمم، سافك للدماء، ممدد للشروات، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١).

فبالخصوصيات والمشاحنات تنتهك حرمت الدين، ويعم الشر القريب والبعيد، ومن أجل ذلك سمي رسول الله ﷺ فساد ذات البين بالحالفة التي تحلق الدين، فعن الزبير بن العوام، قال: قال رسول الله ﷺ: ((دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبُغْضَاءُ، وَالْبُغْضَاءُ هِيَ: الْحَالِفَةُ، حَالِفَةُ الدِّينِ لَا حَالِفَةَ الشَّعْرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)) (٢).

إن الأمة تحتاج إلى إصلاح يدخل الرضا إلى المتخاصمين، ويعيد الوئام إلى المتنازعين، إصلاح تسكن به النفوس، وتأتلف به القلوب، إصلاح يقوم به عصبه خيرون، شرفت أقدارهم، وكرمت أخلاقهم، وطابت منابهم.

وإصلاح ذات البين، يقتضي - في كثير من الأحيان - تنازلاً من المرء، فيما ليس بواجب ديانة، مطاوعة منه لإخوانه، مع سعة صدرٍ وحسن ظنٍّ، ليرى ثمرة إصلاحه في الدنيا قبل الآخرة، ومن أعظم ثمراتها السؤددُ بحقٍّ، إذ السؤددُ والرِّفعةُ إنما تكون بالعلم والعمل والتَّعليم والإصلاح والصبر والثبات.

ولهذا كان إصلاح ذات بين المسلمين وصلاً حالهم، أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، وذلك لما فيه من حسن المعاشرة والمناصحة والتعاون على البرِّ

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده، برقم ١٤١٢، وقال محققه: إسناده ضعيف لانقطاعه، ٢٩/٣.

والتَّقْوَى، وكان من أفضلِ الصَّدَقَاتِ التي يحبُّ اللهُ ورسولُهُ ﷺ مَوْضِعَهَا، ومن أنفعِ التَّجَارَةِ بين العبدِ وربِّه.

وصِلَةُ النَّاسِ بعضهم ببعضٍ إذا تَفَاسَدُوا، والتَّقَرُّبُ بينهم - بالشَّرْعِ الحَنِيفِ - إذا تَبَاعَدُوا، يَسْتَدْعِي وجودَ قَصدٍ سليمٍ، وثَبَّةٍ صالِحَةٍ صادِقَةٍ، إذ لا يُوفِّقُ للإصلاحِ بين النَّاسِ إلاَّ من صَفَتْ سِرِّيَّتُهُ، وحَسُنَتْ طَوَيْتُهُ، قال اللهُ جلَّ وعلا في الصُّلْحِ بين الزَّوْجَيْنِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١).

فإِصلاحُ ذاتِ بَيْنِ المسلمين أكبرُ عندَ اللهِ، وأعظمُ حرمةً من الإِصلاحِ بين الزَّوْجَيْنِ؛ لأنَّ الإِصلاحَ سببٌ للإعتصامِ بحبلِ اللهِ وعدمِ التَّفَرُّقِ بين المسلمين، كما أنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ تُلْمَةُ في الدِّينِ، قد سَمَّاهُ النبيُّ ﷺ الحالِقَةَ التي تَحْلِقُ الدِّينَ، فعَنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى؛ قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ؛ فَإِنَّ فِسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ» (٢).

قال صاحب "عون المعبود" رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أي: أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال ألفة ومحبة، وقيل: المراد بذات البين المخاصمة والمهاجرة بين اثنين بحيث يحصل بينهما بين، أي: فرقة، والبين من الأضداد الوصل والفرق. و"فساد ذات البين الحالقة" أي: هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل موسى الشعر. وفي الحديث: حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها، لأن

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في إصلاح ذات البين، رقم الحديث ٤٩١٩، وقال محققه: إسناده صحيح.

الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلثة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها، نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه" (١).

قال الباجي رحمه الله: "قال الأخفش: أصل الحَالِقَةِ من حَلَقَ الشَّعْرَ، وَإِذَا وَقَعَ الفَسَادُ بَيْنَ قَوْمٍ مِنْ حَرْبٍ أَوْ تَبَاغُضٍ حَلَقَهُمْ عَنِ الْبِلَادِ؛ أَي: أَجَلْتَهُمْ وَفَرَقْتَهُمْ حَتَّى يُخْلُوَهَا، وَيُحْتَمَلُ عِنْدِي أَنْ يُرِيدَ أَنَّهَا لَا تُبْقِي شَيْئًا مِنَ الحَسَنَاتِ حَتَّى يَذْهَبَ بِهَا كَمَا يَذْهَبُ الحَلْقُ بِالشَّعْرِ مِنَ الرَّأْسِ حَتَّى يَتْرُكَهُ عَارِيًا" (٢).

فَعَلِمَ مِنَ الحَدِيثِ أَنَّ فسادَ ذاتِ الدِّينِ تحلِقُ الدِّينَ وتَهْلِكُكِهِ، وتَسْتَأْصِلُهُ كَمَا يَسْتَأْصِلُ المَوْسَى الشَّعْرَ، وذلك لكثرة ما يترتب عليه من الفساد والضغائن، وكثرة ما يسبب من العداوات، وتشثيث القلوب ووهن الأديان، وتسليط الأعداء وشماتة الحساد، فلذلك صار مقابله - إصلاح ذات البين - أفضل الصدقات.

والإصلاح سبب من أسباب رحمة الله ومغفرته. قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَصَلِحُوا

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣).

وإصلاح ذات البين يزيل الشحنة والبغضاء كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، ط/٢، دار الكتب العلمية: ١٤١٥هـ، ١٣/١٧٨.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ٢١٣/٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١.

يفصل الشيخ السعدي رحمه الله بعض الشيء ليوضح أثر الإصلاح على جمع الكلمة فيقول: (أصلحوا ما بينكم من التشاحن، والتقاطع، والتدابير، بالتوادد، والتحاب، والتواصل. فبذلك تجتمع كلمتكم، ويذول ما يحصل بسبب التقاطع من التخاصم، والتشاجر والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات البين، تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء، والتدابير" (١).

ويقول النسفي رحمه الله: (وقوله: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال لألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أي فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به) (٢).

والسعي في الإصلاح والاستجابة له من علامات نضج الأخوة بين المؤمنين فبعد أن أمر تعالى بالإصلاح في قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَأْتِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾﴾ (٣). نسوه بأخوة المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي، ص ٣١٥.

(٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود

حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه

وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط/١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م،

٥٤/٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ (١). (يعني أنهم إخوة في الدين كقوله تعالى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (٢). وفي ذلك دليل على جواز إطلاق لفظ الأخوة بين المؤمنين من جهة الدين وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣). يدل على أن من رجا صلاح ما بين متعادين من المؤمنين أن عليه الإصلاح بينهما) (٤).

والدعاة الهداة إلى الله تعالى يحرصون كل الحرص، ويبدلون كل الجهد لتحقيق هذه الثمار والآثار الحميدة من إصلاح ذات البين، مع مراعاة فقهاها، وآدابها، مقتدين في ذلك ومهتدين بنبيهم ﷺ.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٤) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق:

عبد السلام محمد علي شاهين، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م،

٢٨٥/٥.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُسَيتي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٣. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٤. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٥. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني، ط/٢، دار القلم، دمشق: ٢٠١٠م.
٦. الأدب المفرد بالتعليقات، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، ط/١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٧. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ.
٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٩. الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ط/١٥، دار العلم للملايين، بيروت: ٢٠٠٢ م.
١٠. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠هـ.
١١. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ط/٢، دار التراث، بيروت: ١٣٨٧هـ.
١٢. تبين الحقائق شرح كتر الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر السدين الزليعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣هـ)، ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ.
١٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ط/الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤هـ.
١٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م.
١٥. تفسير النسفي (مدارك الترتيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط/١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م.
١٦. تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، ط/١، دار الرشيد، سوريا: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ م.

١٧. تنوير الحوائك شرح موطأ مالك، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
١٨. تهذيب الكمال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبو محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٠. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٢٢. حاشية السندي على سنن النسائي، أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط/٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)
٢٤. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، يحيى بن شرف النووي، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ).

٢٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٢٧. شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.
٢٨. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.
٢٩. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٣١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ.
٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.
٣٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/١، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٣٤. فن الإصلاح بين الناس، فهد بن فريج المعلا البلوي، بدون ذكر تاريخ أو دار النشر.

٣٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ—)، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٥٦هـ.

٣٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جبار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ—)، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٧هـ.

٣٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ—)، ط/٣، دار صادر، بيروت: ١٤١٤هـ.

٣٨. المبدع في شرح المقنع، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، (المتوفى: ٨٨٤هـ—)، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ—)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ.

٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ—)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ.

٤١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٢. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.

٤٥. معالم في إصلاح ذات البين، محمد بن إبراهيم الحمد، بدون كر تاريخ ودار النشر.

٤٦. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤٧. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي السرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.

٤٨. المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التحيي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٩. الموقع الرسمي لسماحة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله
/http://www.binbaz.org.sa

٥٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

البحث رقم (٤)

منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية

إعداد

د. لولوة بنت سليمان بن محمد الغنام

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد أمر الله سبحانه نبيه الكريم والداعي الأول ﷺ بالدعوة إليه، وفق منهج وسطي في كل شيء؛ فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، فكلا الطرفين مذمومين، ولا يمكن أن تكون الدعوة إلى الله مخالفة لمقاصد الشريعة وركائزها، فإن أي وصف لوسطية الدعوة لا يتوافق مع الشريعة الإسلامية هو تغيير أو تحريف لمبادئها وأسسها.

فوسطية الدعوة تتجلى في عقيدتها وأحكامها وأخلاقها، وما تشمله من جوانب الحياة في كل زمان ومكان؛ إذ أن مبعث هذه الوسطية هو: كتاب الله سبحانه وسنة نبيه ﷺ، فتطبيقه كما جاء عن الله عز وجل يحقق الغاية التي من أجلها أنزل، وهذا ما كان عليه سلف الأمة من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهو منهج أهل السنة والجماعة في فهمهم لحقيقة مراد الله جل شأنه في الدعوة إليه، وبهذا المنهج المعتدل كانت الدعوة تؤتي أكلها في كل حين، وهو ما يجب أن يظهره الإعلام للناس أجمع، ويأتي الإعلام الدعوي ليحقق هذا الهدف.

فالإعلام الدعوي يقوم على أسس راسخة وقواعد متينة لقيامه على الكتاب والسنة؛ فمنهما يستقي موضوعاته ومنهجه في بث الرؤية الإسلامية الحقة، وخاصة في وقتنا الحاضر مع الانفتاح الإعلامي بشتى قنواته المسموعة والمرئية والمقروءة، مع ما يصاحبه من قوة في التأثير بالجمهير، وهو في الوقت ذاته يمتلك القدرة على حل جميع المشكلات في أي جانب من جوانب الحياة، لأنه يحترم العقل ويؤثر في العاطفة في تناغم يجذب أصحاب الفطرة السليمة الباحثة عن الحق.

ويعد هذه البحث وسيلة مساعدة يخدم الإعلام الدعوي وفق أسس علمية، يقوم على بيان أهمية الإعلام المنضبط بأسس الشريعة في بيان منهج الوسطية.

مشكلة البحث وأهميتها:

إن مشكلة البحث تتجلى في عدم وضوح المنهج الصحيح للإعلام بشكل عام عند تعزيز الوسطية؛ لذا يأتي هذا البحث لتحلية منهج الإعلام الدعوي في بيان المنهج الوسطي الذي يقوم عليه الإسلام، فقد انتشر الإسلام بشريعته السمحة سريعاً وبصورة كبيرة جراء وضوح مبادئه وموافقته للفطرة، واستغل المناوؤن للإسلام هذه الصورة الحسنة له فألصقوا به ما ليس منه؛ لأطماع سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ولذا لما ظهرت كثير من الدعوات الدينية المنحرفة على مر التاريخ تصدى لها العلماء الربانيون بكشف ضلالها وزيفها حتى لاتضل العوام بشعارتها ودعاويها.

وفي العصر الحاضر كثرت الدعوات المشبوهة وسهل عليها ترويج أفكارها المخالفة لمنهج الوسطية في الدعوة مع وسائل الإعلام الجديد كشبكة المعلومات الإلكترونية التي تعطي مجالاً للتخفي وراء شعارات براقية لا يكشف حقيقتها إلا من لديه حظ وافر من العلم والفقه بالأمر الشرعية، وقد جرّت هذه الدعوات على المسلمين كثيراً من المشكلات التي أضافت عبئاً على أهل العلم جراء السعي لكشف أمرها والتغلب على أثار إفسادها في مجتمعات العالم أجمع، ولهذا يأتي هذا البحث لبيان أهمية الإعلام الدعوي المنضبط بضوابط الشريعة ودوره في بيان وسطية هذا الدين العظيم وفق رؤية شرعية دقيقة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى مايلي:

١- بيان أهمية الإعلام الدعوي، وأهدافه.

٢- بيان أهمية منهج الوسطية، وأثاره.

٣- التعرف على منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

٤- بيان أساليب ووسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

تساؤلات البحث:

سيجيب هذا البحث - بمشيئة الله - عن التساؤلات التالية:

١- ما أهمية الإعلام الدعوي، وما أهدافه؟

٢- ما أهمية منهج الوسطية، وما آثاره؟

٣- ما منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية؟

٤- ما أساليب ووسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية؟

المصطلحات والمفاهيم:

- الإعلام:

يأتي معنى الإعلام في اللغة من مصدر الفعل الرباعي أعلم، يقال: أعلمَ يُعلمُ إعلاماً.. وأعلمته بالأمر: أبلغته إياه، وأطلعته عليه، واستعلم لي خير فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمني الخير فأعلمته إياه.

والإعلام في الاصطلاح هو: "نشر للحقائق والأخبار والأفكار والآراء بوسائل الإعلام المختلفة" (١).

- الدعوة:

الدعوة في اللغة: للدعوة في اللغة عدة معانٍ تدور كلها حول: الاستمالة، والتمني، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والنداء، والدعوة إلى الطعام، والأذان، والطلب، والحث، والاستعانة (٢).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢ / ٤١٨.

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ١ / ١٩٤، وأيضاً: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٣٨ / ٤٦، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ١٢٨٢، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، ص ٢٨٦.

فالفعل "دعو": "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك" (١).

وأما الدعوة في الاصطلاح فهي: "قيام من عنده أهلية النصح الرشيد، والتوجيه السديد من المسلمين، في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة" (٢).

– الوسطية:

الوسطية لغة: مأخوذة من مادة وسط، وهي كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية والنصف والتوسط بين الطرفين. فوسط الشيء وأوسطه: أعدله، ووسط الشيء: ما بين طرفيه (٣).

أما اصطلاحاً فتأتي بنحو هذا: العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، وفي هذا المعنى قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (٤).

قال الإمام الطبري رحمته الله (ت ٣١٠هـ) في معنى الوسط هنا: "الخيار.. و" جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدوهم" (٥). ويمكن تعريف منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية اجرائياً بأنه: الأسس والقواعد التي يقوم عليها الإعلام الدعوي وطرقه في بيان ونشر المنهج الوسطي بين الناس.

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢ / ٢٧٩.

(٢) الدعوة إلى الله، خصائصها ومقوماتها ومناهجها، د. أبو المجد السيد نوفل، ص ١٨.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٧ / ٤٢٦ - ٤٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٣ / ١٤١، ١٤٢.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في قواعد المعلومات تبين للباحثة: أن هذا الموضوع لم يطرح سابقاً؛ فغالب الدراسات تحدثت عن الإعلام بشكل عام أو عن وسطية الإسلام؛ إلا أن أهمها فيما وقفت عليه في هذا الموضوع مايلي:

- الإعلام الدعوي ودور وسائل الاتصال الحديثة في الدعوة الإسلامية، د. ياسر يوسف عوض الكريم.

تحدث الباحث في قرابة ٢٥ صفحة عن الإعلام الدعوي، والمنهج النبوي في البلاغ، وأهداف الإعلام الدعوي وضوابطه، وعن المسلمين والتقنية، وهو بهذا يختلف عن موضوعي كونه عاماً وهذا البحث عن منهج الإعلام في تعزيز منهج الوسطية على نحو خاص.

- الإعلام الحديث في المنظور الإسلامي؛ سالم السالم الوراق^(١).

تحدثت هذه الرسالة عن الإعلام بشكل عام والإعلام الإسلامي بشكل خاص، فبين الباحث أسس الإعلام الإسلامي وخصائصه، كما تناول واقع الإعلام الحديث ومؤثراته وأهدافه وآثار الإعلام الجديد في المجتمعات المسلمة، ثم وضع الباحث الموقف من الإعلام الحديث، وهي بهذا تختلف عن هذا البحث الذي يأتي لبيان منهج الإعلام في تعزيز الوسطية تحديداً.

- مفهوم التفاعل الدعوي عبر الإعلام الجديد. معاذ إبراهيم عتيبي، محمد فيصل أشعري^(٢).

(١) رسالة دكتوراه، المعهد العالي لأصول الدين بجامعة الزيتونة، ١٤٢٢هـ.

(٢) بحث منشور في مجلة "بحوث إسلامية واجتماعية متقدمة"، ص ٢٦٧، المجلد ٢، العدد ٣،

٢٠١٢م. ومنشور في موقع: <http://www.academia.edu/٥٨٩٣٤٦٧>

يتحدث البحث عن أسس التفاعل الدعوي من خلال الإنترنت والشبكات الاجتماعية خصوصاً، والتي تقوم على: الإقناع، والجاذبية، والثقة، والاستيعاب. والتي عند تطبيقها يتمكن الداعية من استثمار التفاعل في تحقيق أهداف الدعوة إلى الله تعالى من خلال الاتصال عبر الشبكات الاجتماعية. وبهذا تختلف عن هذا البحث الذي يبين منهج وسائل الإعلام بشكل عام في بيان وتعزيز منهج الوسطية.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج الاستقرائي وهو: "الحكم على الكلي بما يوجد في جزئياته جميعاً.. فالاستقراء يدرس بعض الجزئيات والظواهر بغية الكشف عن العلل والعلاقات التي تجمع بينها لنصل بهذا إلى معرفة القوانين العامة أو القضايا الكلية"^(١). والمنهج الاستدلالي الاستنباطي؛ وهو: "المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومسلم بها، إلى قضايا أخرى تتضمنها، وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة، ويتم هذا بواسطة القول أو بواسطة الحساب"^(٢). وستقوم الباحثة - بمشيئة الله - باستقراء نصوص الشرع وتطبيقاته فيما يتعلق بوسطية الدعوة، مع استنباط ما يتعلق بمنهج الإعلام في بيان ذلك وتعزيزه عند الناس.

تقسيمات البحث:

سيأتي هذا البحث - بمشيئة الله - في تمهيد ومبحثين، كما يلي:

(١) مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، د. فرج الله عبدالباري، ص ٤٦.
 (٢) مناهج البحث، غازي بن حسين عناية، ص ٨١، ومناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ص ١٨.

التمهيد:

المطلب الأول: الإعلام الدعوي، أهميته، وأهدافه.

المطلب الثاني: منهج الوسطية، أهميته، وأثاره.

المبحث الأول: منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المطلب الأول: أسس الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المطلب الثاني: المنهج الشرعي للإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المبحث الثاني: أساليب ووسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المطلب الأول: أساليب الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

المطلب الثاني: وسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية.

ثم خاتمة تحوي نتائج البحث، وأهم توصياته.

تمهيد

المطلب الأول: الإعلام الدعوي، أهميته، وأهدافه:

إن مفهوم الإعلام الدعوي يقوم على قاعدة بيّنة ثابتة وفق الأمر الإلهي للنبي ﷺ بالتبليغ، فأساس الإعلام الدعوي قائم على تبليغ الدين الإسلامي وما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فالدعوة والإعلام مرتبطان ببعضهما لا ينفكان بأي حال من الأحوال لارتباطهما بعالمية الرسالة ووجوب نشرها وتبليغها، لذا فأهمية الإعلام الدعوي تنبع من أهمية الرسالة الإلهية التي أمر النبي ﷺ بإبلاغها في قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الْمَدَنِيُّ (١) قُرْآنًا ذَرًّا (٢)﴾ (١)، قال السعدي رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ): "وأمره هنا بإعلان الدعوة، والصدع بالإنذار، فقال: قُمْ (أي) بجد ونشاط فَأَنْذِرْ الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركة" (٢).

وقد كان الإعلام الدعوي في صدر الإسلام يقوم على ما يمكن توظيفه لتبليغ الدعوة من الوسائل والأساليب المتاحة؛ فاستخدم النبي ﷺ القول نثرًا، والفعل قدوة ومنهجًا، من خلال الخطابة والحوار والمناظرة وكتابة الرسائل وإرسال الرسل وغشيان الندوات والأسواق واغتنام المواسم كموسم الحج، وغير ذلك مما يحقق مغزى الإعلام بالرسالة التي كلف بحملها ونشرها (٣).

وفي وقتنا الحاضر ومع تطور وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، واتساع

(١) سورة المدثر، الآيتان: ١-٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي ص ٨٩٥.

(٣) للاستزادة انظر: الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة.

مجالات استخدامها، وقوة إمكاناتها، وكثرة جماهيرها، واتساع نطاقها الجغرافي، أصبح توظيف هذه الوسيلة من الأهمية بمكان تبعاً لعمق تأثيرها، ومن هنا ظهر مصطلح الإعلام الإسلامي أو الدعوي الذي يمكن بيان مفهومه بأنه: "استخدام منهج إسلامي بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عاملون بدينهم متفقهون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة مستخدمون تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المختصرة والأخبار الحديثة والقيم والمبادئ والمثل للمسلمين ولغير المسلمين في كل زمان ومكان في إطار الموضوعية التامة بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد لإحداث التأثير المطلوب"^(١).

ومن خلال هذا التعريف يتبين أن الإعلام الدعوي يراعي سلامة المنهج والأسلوب، والشخص الإعلامي المؤهل، والرسالة الإعلامية القيمة، والهدف السامي البين الواضح؛ فهو إعلام ملتزم بالتصور الإسلامي تجاه الكون والفرد. ويتفق خبراء الإعلام على أن الإعلام إنما هو رسالة بما ينطوي عليه هذا التعبير من شعب مترابطة:

- ١- جهة البث والإرسال.
- ٢- جهة التلقي والاستقبال.
- ٣- موضوع البث أو محتوى الرسالة.
- ٤- حامل الرسالة.

والإسلام بطبيعته وبمقياس هذا المفهوم المتفق عليه رسالة إعلامية بالمعنى العلمي

(١) انظر: صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم "دراسة في التفسير الموضوعي"، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، ص ٣٥، نقلاً عن: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عبدالوهاب كحيل، ص ٢٩.

للتعبير، فالله سبحانه وتعالى هو المرسل ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (١)، والناس هم جهة التلقي والإرسال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، والحق هو مضمون الرسالة ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣)، وحامل الرسالة هو رسول الله ﷺ ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤)، وبهذا تكتمل أركان الإعلام الدعوي (٥).

كما أن مما يبين أهمية الإعلام الدعوي في الوقت الحاضر ظهور عدد من وسائل الاتصال ذات سمات إعلامية غير مسبوقة؛ من سهولة الاستخدام والمجانبة والعالمية، كما أنها في الوقت ذاته تكفل سقفاً من الحرية غير المحدودة؛ مما ساهم في نشر عدد من الأفكار المنحرفة والمشوهة التي تستلزم بيانها وكشفها والرد عليها، خاصة مع بُعد بعض أبناء الأمة عن العلم الشرعي وسهولة تغييرهم بها.

إن الإعلام الدعوي ينبغي أن يواجه الإعلام الباطل الذي لا يألو جهداً في بث ونشر كل ماهو غث مما لاينفع أمة ولايني جيلاً، والمجتمعات المسلمة بحاجة ماسة للتوجيه الدعوي القائم على أسلوب فني واعي مبني على الحكمة وفهم الواقع. ولما سبق ذكره من الأهمية يتضح أن أهداف الإعلام الدعوي كثيرة ومتنوعة ولكن يمكن جمعها إجمالاً في قاعدة: أن "كل ما يؤدي إلى الخير العام للإنسانية

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٥) الإعلام الإسلامي "دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص"، د. محمد موسى البر، ص ٣٠١.

وتحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه ومراده في هذه الأرض والحياة؛ من العمارة والاستخلاف فهو أحد أهداف الإعلام الإسلامي في الدعوة إليه".

أما على وجه التفصيل فإن أبرز أهداف الإعلام الدعوي ما يلي:

- القيام بمهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بتعبيد الناس لله وحده لاشريك؛ بالدعوة للتوحيد وتصحيح العقيدة وبناء جوانبها بدون شائبة أو تشويه ببدعة أو غلو أو تفریط.
- بيان أركان الشريعة الإسلامية وأسسها ببرامج عملية واقعية قائمة على ربط مصادر الشريعة بممارسات المسلم اليومية.
- نشر الفضائل ومحاربة الرذائل؛ صيانة للأخلاق أن تمتهن وتضمحل مقابل زخم الإعلام السليبي.
- حماية المجتمعات من الجهل وأثاره؛ شرعياً ومعرفياً وأخلاقياً وفكرياً وأمنياً، والسعي في البناء المجتمعي القائم على توظيف إمكانات المسلم وفق المنهج الإلهي.
- معالجة القضايا المستجدة وفق رؤية شرعية واضحة وثابتة؛ انطلاقاً من فقه الواقع وبأساليب دعوية جذابة.
- استشراف المستقبل ببرامج تبني الجيل الجديد وتدرّك حجم التحديات التي يواجهها أبناء المسلمين في ظل الظروف الإسلامية المعاصرة.
- التصدي لحمات تشويه الدين الإسلامي؛ ببيان ثوابته ومصادره وإبراز رموزه وقضاياها، مع حسن توظيف ما ثبت من التاريخ الإسلامي في الواقع.
- تكوين قاعدة جماهيرية تثق بمصداقية الإعلام الدعوي تجاه الأخبار والأحداث، بناء على قيامه على التجرد والصدق عند عرض الحقائق.
- الرد على المضامين العدائية لبعض وسائل الإعلام الخارجية تجاه قضايا المسلمين ومشكلاتهم.

المطلب الثاني: منهج الوسطية، أهميته، وأثاره:

الوسطية: "سلوك محمود - مادي أو معنوي - يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين مُتقابلين - غالباً- أو مُتفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي" (١).

فالتوسط خيار عدل يعصم المسلم من الزلل والانحراف عن جادة الصواب، وتتضح أهميته من خلال ما يلي:

- اختصت الشريعة الإسلامية بأنها وسط في كل شيء؛ فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، فكلا الطريقتين مذمومين، لذا فمنهج الوسطية سمة تميزت بها الشريعة الإسلامية عن باقي الشرائع، فكل مخالفة لمنهج النبي ﷺ وسنته إفراطاً وتفريطاً هو مشابهة لمنهج اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ (٢).

قال الإمام الرازي رحمه الله (ت ٦٠٦هـ) في تفسير الآية: "يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم، أي: لا تفرطوا في تعظيم المسيح، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح، وهؤلاء النصارى يبالغون في

(١) الوسطية: مفهوماً ودلالة، د. محمد ويلاي، بحث منشور على موقع الألوكة. انظر:

<http://www.alukah.net/culture/./٤٣٤١/#ixzz٤TAVg٧VQu>

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

تعظيمه، وكلا طرفي قصدهم ذميم" (١).

- أمر المسلم بسؤال الله الهداية للصرط المستقيم في صلاته يومياً بتكرار أم الكتاب في كل ركعة من ركعات الصلاة مما يبين أهمية هذا المنهج وأثره في الاعتدال بين الإفراط والتفريط، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ②﴾ (٢).

قال أبو جعفر الطبري رحمته الله (ت. ٣١٠هـ): "أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن (الصرط المستقيم)، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه" (٣).

- الأمر بالاستقامة على الطريق القويم؛ كما قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً

﴿فَأَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④﴾

﴿١١٢﴾ (٤)، فأمره بالبقاء على طريق الاستقامة والنبات عليه دون طغيان وهو أن يجاوز المقدار (٥).

- الوسطية تحقق التوازن بين الأمور بقدر يكفل الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة؛

وفي هذا قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ⑤ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ⑥ وَلَا تَتَّبِعْ أَفْسَادَ فِي الْأَرْضِ ⑦ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ⑧﴾ (٦).

(١) مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، الرازي، ٢٧١/١١.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٧٠/١.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، الرازي، ٤٠٧/١٨.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧٧.

يقول الإمام ابن كثير رحمته الله (ت ٧٧٤هـ) في تفسير هذه الآية: "أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة. ولا تنس نصيبك من الدنيا أي: مما أباح الله فيها من المأكل والمشرب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً" (١).

- بين النبي صلوات الله عليه أن الغلو سبب للهلاك؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلوات الله عليه قال: ((يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)).

فيستفاد منه تحريم الغلو من وجهين الوجه الأول تحذيره صلوات الله عليه، والتحذير نهي وزيادة والوجه الثاني أنه سبب لإهلاك الأمم كما من قبلنا، وما كان سبباً للهلاك كان محرماً

والغلو له أقسام كثيرة؛ منها الغلو في العقيدة، ومنها الغلو في العبادة، ومنها الغلو في المعاملة، ومنها الغلو في العادات، والناس فيها طرفان ووسط فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وكون الإنسان معتدلاً لا يميل إلى هذا ولا إلى هذا، هذا هو الواجب؛ فلا يجوز التشدد في الدين والمبالغة، ولا التهاون وعدم المبالاة، بل يكون وسطاً بين هذا وهذا.

- المسلم مأمور بعبادة الله وفق ما شرع؛ ففيها البشارة والنجاة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣)، قال ابن كثير رحمته الله (ت ٧٧٤هـ):

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/٢٥٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

"أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم" (١).

وعلى هذا المنهج المعتدل كان يسير السلف الصالح، فهم وسط بين أهل الفرق والأهواء، قال الإمام الشاطبي رحمته الله (ت ٧٩٠هـ): "إن الحمل على التوسط هو الموافق لقصد الشارع، وهو الذي كان عليه السلف الصالح" (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله (ت ٧٢٨هـ) في تفضيل طريق أهل السنة والجماعة: "وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط، لأنه متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان" (٣).

- في الوسطية مخالفة لطريق الشيطان؛ قال ابن القيم رحمته الله (ت: ٧٥١هـ):
"وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط
وغلو. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين" (٤).

وإذ تبينت أهمية الوسطية، وأن الشرع والعقل يدلان عليها، ظهرت آثارها العظمى والتي من أبرزها ما يلي:

- موافقة مراد الله جل شأنه، وهو المقصود من خلق الإنسان بعبادته سبحانه كما أمر دون زيادة ولا نقصان، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٥).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٧٥/٧.

(٢) الموافقات، الشاطبي، ٢٨٠/٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣٧٥/٣.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، ص ١٤.

(٥) سورة هود، الآية: ١١٢.

- إبراز سماحة الإسلام ويسره؛ وهذه من أبرز أثار الوسطية؛ فالدين الإسلامي بشريته السمحة يقدم للبشرية منهجاً تطبيقاً يقوم على اليسر وفق إمكانات الإنسان ومعطيات الواقع في كل زمان ومكان في توازن مرن حكيم يقدر المصالح والمفاسد وفق أسس الشريعة ومركزاتها، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨) (١).

فقد حط سبحانه ما فيه مشقة من التكاليف على عباده، إما بإسقاطها من الأصل وعدم التكاليف بها كما كلف بها غيرهم، أو بالتخفيف وتجويز العدول إلى بدل لا مشقة فيه، أو بمشروعية التخلص عن الذنب بالوجه الذي شرعه الله، وما أنفع هذه الآية وأجل موقعها وأعظم فائدتها (٢).

فاتباع الوسطية منهج رباني أمر الله به وأثنى على أهله، وذم الغالين في مناهجهم وطرائقهم إفراطاً وتفريطاً، والمسلم يتعبد لله بطاعته فيما أمر وباجتناب ما نهى عنه، وباختيار الوسطية منهجاً تحصل موافقة المنهج القائم على التيسير الذي أراده الله وبيّنه رسوله الكريم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ (٣).

قال الشوكاني رحمه الله (ت ١٢٥٠هـ): "وقوله: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فيه أن هذا مقصد من مقاصد الرب سبحانه، ومراد من مراداته في جميع أمور الدين" (٤).

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٥٥٧/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) المرجع السابق، ٢١٠/١.

- بناء الشخصية الإسلامية المعتدلة؛ فالوسطية تكفل للمجتمعات المسلمة أفراداً معتدلين بسمات تقوم على الثبات على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وتسعى في عمارة الأرض وبناءها وتحول دون إفسادها؛ مما يحقق الأمن المجتمعي الذي كفلته الشريعة الإسلامية لأبناءها.

- إصابة الحق والبعد عن الزلل؛ فالوسطية هي الخيار الحق الذي لا يحيد عنه، وماسواه باطل منهجا وفكرا وسلوكا، وكل تأويل لنصوص الشريعة يخالف هذا المنهج الوسطي لاحجة له، ولا يؤخذ به، فالحق في فهم الشريعة وفق مرادها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مَّنْ يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ (١).

والإلحاد هنا: وضع الكلام في غير مواضعه (٢).

- السلامة من أثار الغلو؛ فإن من أثار إتباع الوسطية ما يستلزمه ذلك من البعد عن الغلو؛ وما يتبعه من التشديد تنطعا ومن التكفير واستباحة الدماء وما إلى ذلك مما ظهرت بعض صورته في الوقت الحاضر، وهذا يتطلب فهما وعلمًا بمقتضيات الوسطية ومستلزماتها في الشريعة، من أجل الوصول للتصور الشرعي الصحيح في قضايا الأمة ومشكلاتها.

- السلامة من الجهل واتباع الهوى والابتداع، وما يقتضيه التفريط في جنب الله - تساهلا بحجة التيسير والتخفيف، ومن هنا ظهرت بعض المخالفات الشرعية بدعوى رفع الحرج جهلا أو تماونا.

هذه بعض أثار منهج الوسطية، وهي غيظ من فيض لما يحتويه هذا المنهج القويم من الخير العميم.

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/١٨٣.

المبحث الأول

منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية

يقوم الإعلام الدعوي بدور كبير في نشر الوعي والعلم الشرعي في موضوعات شتى، ولأهمية المنهج الوسطي في الشريعة الإسلامية جاءت العناية به وفق أسس ثابتة ومنهج شرعي بين واضح؛ وذلك كما يأتي.

المطلب الأول: أسس الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية:

يقوم الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية على أسس وقواعد ثابتة تحفظ حدوده وتمنعه من الزلل، وهي تأتي كميّار ثابت لكل مسلم يمثل الإعلام الدعوي بصفة مؤسسية أو فردية من خلال قنوات الإعلام المختلفة كالفضائيات أو الصحف أو وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك كما يلي:

أ- وحدة مصدر التلقي:

لكل إعلام مصادره التي يتلقى منها مضمونه العلمي ومنهجيته التي يسير عليها؛ وهي بمثابة المعيار الذي يلتزم به ولا يحيد عنه بقدر درجة مصداقية هذا المصدر ومدى موثوقيته، وفي هذا الجانب يأتي الإعلام الدعوي قائماً على الكتاب والسنة باعتبارهما المصدرين الأساسيين بما يحتويان من أحكام وتشريعات صالحة لكل زمان ومكان، ولا توجد مصدرية أخرى تفوقهما قوة وموثوقية وشمولية على الإطلاق.

ولأن الإعلام الدعوي في سعيه لتعزيز منهج الوسطية يخاطب الإنسان المسلم وغير المسلم، فإن الكتاب والسنة أعظم مصدرين شاملين لما يحتاجه هذا الإنسان على اختلاف معتقداته وتوجهاته الفكرية، وهما مع اعتبار ماتفرع عنهما من الإجماع والقياس أفضل ما يمكن أن يركز عليه الإعلام لشمولهما كل ما يحتاجه البشر لاستخلافهم في هذه الأرض.

وهذا يجعل مصدرية التلقي الإعلامي واحدة عند كل مسلم، ويحقق الاجتماع

على أسس ومبادئ واحدة، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١).

ذكر المفسرون أن حبل الله هو: القرآن (٢).

فالقرآن الكريم يمثل المنهج الوسطي القويم بتشريعاته وتوجيهاته التي تؤدي بالمسلم

للكمال والهداية، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٣).

قال السعدي رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ): "أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال

والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في

جميع أموره" (٤).

وتأتي السنة مصدرا ثانيا للوسطية لاتنفك عن كتاب الله لتلازمهما في التشريع،

قال تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾ (٥).

قال الشاطبي رحمه الله (ت ٧٩٠هـ): "السنة راجعة في معناها إلى الكتاب؛ فهي

تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره، وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل

عليه قوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٧/٧٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٥٤.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٧.

﴿٤٤﴾ (١)، فلا تجد في السنة أمراً إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية" (٢).

فإذا التزم الإعلام الدعوي بهذه المصدرية في تعزيز منهج الوسطية تحقق له من الخير والتوفيق ما وعد الله به عباده المؤمنين، وبهما يستغني عن كل مصدر وضعي تتنازعه أهواء البشر وميوههم، كما أن وحدة مصدر التلقي تأتي بمثابة الميثاق الذي يجمع كل الإعلاميين المسلمين في أي زمان ومكان، ومن خلال أي قناة إعلامية قديمة كانت أو حديثة؛ ولاشك أن هذا يقلل من التخبط والتعثر الذي ينتج عن تعدد المصادر واضطرابها، كما أنه في الوقت نفسه يجمعهم على قواعد ثابتة يرجعون إليها حال النزاع للوصول للحق؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣).

إن جميع الأفكار والممارسات المفرطة في الغلو لا أصل لها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فكل ماجاء فيهما وسطي لا إفراط فيه ولا تفريط، وذلك في الجانب الإيماني والإنساني على حد سواء، فضلاً عن النصوص الصريحة التي تحذر من هذا التوجه، وتبني عليه عقوبات تشريعية في الدنيا والآخرة؛ لما يفضي إليه من الإفساد في الأرض.

ب- قيامه على الحججة والبيان:

يقوم الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية على الحججة والبيان؛ إذ أن التوجهات الفكرية الموغلة في التطرف إفراطاً وتفريطاً لاتنهاوى إلا بالحججة الصادعة،

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) الموافقات، الشاطبي، ٤/٣١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

فالفكر يجابه بالفكر؛ وبالحجة الواضحة التي لا لبس فيها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ شَيْئًا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنُونَا ۖ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ (١).

قال البغوي رحمته الله (ت ٥١٠هـ): "بسلطان مبین: حجة بينة على صحة دعواكم" (٢).

وقال السعدي رحمته الله (ت ١٣٧٦هـ): "أي بحجة وبينة ظاهرة" (٣).

فالحجة البينة تنقطع بما الشبهات بأقل الكلمات، قال ابن حزم رحمته الله (٤٥٦هـ): "ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تهزم العساكر الكبار والحجة الصحيحة لا تغلب أبداً، فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجملة" (٤).

وأعظم حجة أمر الله بها وأنزلها على عباده ماجاء في كتابه الكريم وسنة نبيه صلوات الله عليه؛ فالقرآن والسنة حجة ودليل بين واضح إذا صح الفهم وفق مراد الله، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ (٥).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٣/٣٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي ص ٤٢٢.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ١/٢٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

والإعلام الدعوي يرتكز عليهما في مصدريته وحجته؛ وذلك فيما يبثه من رسائل وتوجيهات في تعزيز منهج الوسطية، ولا ينبغي للمدعو أن يتجاوزهما إلى غيرهما، قال أبو محمد بن حزم رحمته الله: "فلم يسع مسلماً يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ، ولا أن يأبى عما وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق، وأما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما، وموجبا لطاعة أحد دونهما فهو كافر لا شك عندنا في ذلك" (١).

كما جاء الإسلام وسط في احترام العقل فأعطاه مكانته اللائقة به في التمييز بين الحق والباطل ولم يجعله في الوقت ذاته مهيمنا على الوحي لقصوره عن إدراك الغيبات؛ لذا فإن العقل الصريح يوافق النقل الصحيح، والاحتجاج به ينفع عند دعوة المعتدين بعقولهم ممن لا يؤمن بالكتاب والسنة من غير المسلمين أو ممن سقمت أفهامهم عن فهم مراد النقل من أبناء المسلمين، وهو مما يقوي الحجة الإعلامية في بث الرسالة الوسطية التي تعتمد التوازن بين النقل والعقل في ترسيخ المفاهيم العقدية والفكرية.

وفي قبول المدعو للحجة النقلية والعقلية سبب لسلامة الحال والمآل، فقد قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢).

قال السعدي رحمته الله (١٣٧٦هـ): "فنفوا عن أنفسهم طرق الهدى، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه على حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبه ذميمة، فلا سمع ﴿لهم﴾ ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيّدوا إيمانهم

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ١/٩٩.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٠.

بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله، علمسا ومعرفة وعملا، والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم - في الإيمان - بحسب ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول" (١).

ولاشك أن الإعلام الذي يتبنى هذا التوجه المبني على الحجة إعلام يرتكز على أساس متين لا يمكن زعزحته بالشبهات أو الشبهوات؛ وهذا أدعى لثباته واستمراره في خضم الزخم الإعلامي المفتوح في واقعنا المعاصر.

ج- الموازنة بين الهدف الشرعي والرؤية الإعلامية:

يرتكز الهدف الشرعي للإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية على ما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة؛ وهو يسعى لتحقيق هذا الهدف وفق رؤية إعلامية منضبطة بضوابط هذه الشريعة؛ فكلاهما يحقق الأخر في منظومة متكاملة واضحة المعالم.

إن من أهداف الإعلام الدعوي إبراز وسطية هذا الدين في كافة مجالاته الشرعية والإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك، وفق خطاب إعلامي يناسب كافة أصناف المدعوين، ويلامس احتياجاتهم وواقعهم، مع مراعاة أساليب الإعلام المؤثر وأسس وتوجهاته المعاصرة وفق ثوابت الشرع، فإن غالب استخدامات وسائل الإعلام في صدر الإسلام جاءت انطلاقاً من التوجيهات القرآنية، بل إن كتاب الله جل شأنه رسالة إعلامية ووسيلة إعلامية وهدف إعلامي في الوقت ذاته؛ لذا فإن الموازنة بين الهدف والرؤية الإعلامية ليست جديدة، بل هي أساس يجب أن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلل اللويحي ص ٨٧٥.

يبني عليه الإعلام الدعوي لتحقيق التكامل بين الرؤية والأهداف.

لذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً ﷺ دعاة إلى اليمن، قال: ((يسرا ولا تعسرا،

وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا))^(١).

وهذا منهج دعوي نبوي يبرز وسطية هذا الدين القائم على اليسر والبشر والاجتماع ونبذ الاختلاف، كما أنه ﷺ قدم لهما توجيهها واضحا في كيفية تبليغ هذا الدين، وهي الرؤية الإعلامية التي نحتاجها اليوم؛ فوضوح الهدف الشرعي عند تعزيز الوسطية لدى القائمين على الإعلام والمتلقين له على حد سواء من الأهمية بمكان؛ كونه يحدد طرق تحقيقه والمنهجية التي يسير عليها، ويجنب الجهة الإعلامية اتهامها بسوء القصد حال غموض الرؤية.

ولهذا ينبغي أن يكون الإعلام الدعوي على قدر كبير من المسؤولية لعظم الهدف الذي يسعى إليه، فلا ينبغي أن يتأثر بالحراك الجماهيري دون دليل؛ فما يسمى بالرأي العام يخضع لميزان الشرع قبل تبنيه توجهها إعلاميا، وفي مقابل ذلك ينبغي أن يأتي مؤثرا بوسطيته لا متأثرا بالمغريات المادية أو الأفكار المتطرفة وإن سعى معتنقوها لشرعتها بحججهم الواهية.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، ح(٣٠٣٨).

المطلب الثاني: المنهج الشرعي للإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية:

يسير الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية على منهج شرعي ثابت متوازن بين الأصالة والتجديد، وذلك كما يلي:

أ- بيان مفهوم ومجالات الوسطية في ضوء القواعد الفقهية والمقاصد الشرعية: إن مفهوم الوسطية يتسع ليشمل الاعتدال والتوسط في العقيدة والشريعة وماتفرع عنهما من تطبيقات وممارسات وصور سابقة ومعاصرة في القول والعمل.

ولاشك أن هذه الوسطية تركز على النصوص الشرعية الدالة عليها من الكتاب والسنة، وهي أساس يقوم عليه الإعلام الدعوي؛ إلا أن المنهج الشرعي للإعلام الدعوي في سعيه لتعزيز الوسطية عند الناس يضيف لذلك مراعاة قواعد الشريعة الكلية ومقاصدها الكبرى فيما استجد من صور وتطبيقات وخاصة فيما لانص فيه أو فيما اختلف فيه من الأدلة؛ فمن خصائص هذه الشريعة الإسلامية شمولها وكما لها؛ ويتأتى هذا بمراعاة مقاصدها، وتخريج الجزئيات على الكليات، فمفهوم القاعدة الفقهية يبين أهما: "قضية كلية يدخل تحتها جزئيات كثيرة، وتحيط بالفروع والمسائل من الأبواب المتفرقة"^(١).

لذا فإن ضبط القواعد الفقهية يساعد على تخريج أي مسألة مستجدة عليها؛ قال ابن رجب رحمه الله (ت ٧٩٥هـ) في أهميتها للفقيه: "وتنظم له منشور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد وتقرب عليه كل متباعد"^(٢).

لقد بدأت الحركة الفقهية بعد وفاة النبي ﷺ؛ فإذا حدث أمر، أو طرأت حادثة، أو أثرت قضية، أو وقع نزاع، أو استجد بحث، رجع الناس والحكام إلى

(١) القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، أ. د. وهبة الزحيلي، ٢٢/١.

(٢) القواعد، ابن رجب، ص ٣.

العلماء والفقهاء والمجتهدين لمعرفة حكم الله تعالى في ذلك، وأحسن العلماء بواجبهم نحو هذه الأمانة والمسؤولية الملقاة على عاتقهم، فنظروا في كتاب الله، فإن وجدوا فيه نصاً صريحاً بينوه للناس، وإن لم يجدوا رجعوا إلى السنة دراسة وبجثا وسؤالا، فإن وجدوا فيها ضالتهم المنشودة أعلنوها ووقفوا عندها، وإن لم يجدوا نصاً في كتاب ولا سنة شرعوا في الاجتهاد وبذل الجهد والنظر في الكتاب والسنة وما يتضمنان من قواعد مجملّة، ومبادئ عامة، وأحكام أصيلة، ومن إحالة صريحة أو ضمنية إلى المصادر الشرعية الأخرى، ويعملون عقولهم في فهم النصوص وتفسيرها، وتحقيق مقاصد الشريعة، وأهدافها العامة، ليصلوا من وراء ذلك إلى استنباط الأحكام الفقهية وبيان الحلال والحرام، ومعرفة حكم الله تعالى، وتكون من عملهم مجموعة ضخمة من الأحكام الشرعية والفروع الفقهية، التي ساهمت في تنظيم حياة الفرد والمجتمع والدولة، لتبقى مستظلة بالأحكام الشرعية في كل صغيرة أو كبيرة^(١).

لذا فإن مراعاة الإعلام الدعوي لهذا المنهج من الأهمية بمكان؛ لما يلي:

- أن الوسطية سمة لهذا الدين العظيم؛ ومسائلها وأحكامها متجددة، وربما أسئ فهم الشريعة عند الجهل بقواعدها ومقاصدها، وقصور فهم دلالات نصوصها؛ لذا فإن مراعاة هذا المنهج مما يسهم في إبراز معنى الوسطية الحقّة عند إدراك جميع فروعها.

- أن الإعلام الدعوي إعلام ذو مسئولية كبرى، وحاجته للفقهاء المتمكنين أشد من حاجته للإعلامي وإن كان حاذقاً في صنعته؛ وذلك لأن هدف الإعلام الدعوي شرعي بالمقام الأول، ورغم أهمية الجانب الفني للإعلام إلا أنه لا يقارن بأهمية قيامه على محتوى علمي دقيق، وذلك لكونه مبلغاً عن الله، ولاشك أن التكامل بين الجانبين هو ما يثمر إعلاماً متميزاً ومؤثراً.

(١) انظر: القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، أ. د. وهبة الزحيلي، ١٩/١.

وربما تؤثر إيجابا الرسالة الدعوية التي تقوم على فقه شرعي متكامل وإن صاحبها قصور في الجانب الإعلامي؛ في حين أن ضرر الرسالة الدعوية التي بنيت على جهل أشد ضراوة على الدين والنفس وإن عرضت بقالب إعلامي إبداعي.

ب- معالجة معطيات الواقع ومشكلاته وفق ثوابت الشرع:

إن واقعية الشريعة من أبرز خصائصها التي تميزت بها، وهي تحقق في الوقت ذاته مفهوم الوسطية في كون الأحكام والتشريعات وسط بين قدرات الإنسان وواقعه ومتطلبات عبوديته لله جل شأنه، فالمنهج الشرعي للإعلام ينبغي أن يراعي واقعية الفرد وواقعية الدين، ويعالج مشكلات الواقع بما كفله الشرع من أحكام دون تغيير أو تحريف، وهذا سبيل تعزيز الوسطية.

كما ينبغي للإعلامي أن يكون ملما بالواقع، ومشكلاته، فقيها بواقع الجمهور وآمالهم وآلامهم، فينتقي الرسالة الإعلامية المناسبة لكل مجتمع وفق معطيات واقعه، في حين أن تجاهل الواقع يورث الجمود والانغلاق، ويجعل الخطاب الدعوي بعيدا عن حاجات الناس وتطلعاتهم.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله (ت ١٤٢٠هـ): "... كثيرا من العلماء قد نصوا على أنه ينبغي على من يتولون توجيه الأمة ووضع الأجوبة لحل مشاكلهم: أن يكونوا عالمين وعارفين بواقعهم لذلك كان من مشهور كلماتهم: (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة (الواقع) المحيط بالمسألة المراد بحثها وهذا من قواعد الفتيا بخاصة وأصول العلم بعامة" (١).

ولذلك فإن العناصر الأساسية لهذا المنهج تشمل الآتي:

- الارتباط الوثيق بين فقه الواقع وفقه الشرع والموائمة بينهما؛ مما يورث منهاجا

(١) سؤال وجواب حول فقه الواقع، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ص ٢٩.

وسطيا معتدلا مؤثرا، ولا يمكن فهم الواقع بشكل سليم دون فقه ثوابت الدين التي تحفظ الشريعة من التحريف والتشويه؛ كما أن من الخطأ القول بالتجديد مسايرة للواقع - ويقصد به تغيير الدين - فإن من الخطأ كذلك الأخذ بالتشديد عند قراءة الأحداث وتحليلها وإنزال الأحكام عليها.

- تعزيز الوساطة من خلال علاج كثير من المشكلات في واقعنا المعاصر، وعندما يكون الإعلام الدعوي بصيرا بهذا الجانب فإنه يسهم في بناء المنهج الشرعي اللازم لمواجهة دعاة الغلو والتطرف، كما أنه يقدم أنموذجا للتصور الإسلامي للكون والحياة، فتجاهل الإعلام الدعوي للمشكلات الحديثة وخاصة ما يتعلق بالفكر والعقيدة يفاقم ضررها ويجول دون علاجها، وبسبب الغياب عن الواقع ربما تجرأ غير المختص لتقديم حلول بعيدة عن مقاصد الشريعة فتزداد المشكلة عمقا وضررا.

ج- مراعاة أخلاقيات المهنة الإعلامية:

يتميز الإعلام الدعوي بالالتزام بالأخلاق العالية انطلاقا من الثوابت الشرعية التي يقوم عليها؛ فالصدق والأمانة والتثبت والبحث عن المصلحة وسمو الهدف أسس منهجية وأخلاقية لا محيد عنها؛ والإعلام الفاضل يأخذ من المهنة أسمى ما فيها من مبادئ وقيم من أجل رسالة إعلامية مؤثرة، في حين أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة من مساوئ الإعلام كالبحث عن الشهرة أو المكاسب المالية دون مراعاة لقاعدة المصالح والمفاسد مثلا، ويمكن إجمال أبرز هذه الأخلاقيات فيما يلي:

- الالتزام بالدقة والتثبت شرعيا وإعلاميا؛ فالإعلام سلاح ذو حدين ويمكن للرسالة الإعلامية المبنية على الشائعات والأكاذيب أن تؤثر سلبا على المجتمع بالفرقة والتنازع وإثارة الفتن؛ كما يمكن أن تؤثر في تغيير توجهات الناس وأراؤهم حول قضية معينة؛ والمسلم مأمور بالتثبت والتأني في شأنه كله ويتأكد ذلك عندما يكون الخطاب موجها لجماهير الناس لعظم حجم التأثير وخطره في استقرار المجتمعات وبنائها.

إن المنهج الشرعي للإعلام الدعوي يقوم على ثوابت شرعية دقيقة مستمدة من الكتاب والسنة وتبعا لذلك ينبغي أن تكون وسيلة تبليغها قائمة على البيان والتثبت؛ فلا ترويج للشائعات ولا بث للأحاديث المكذوبة أو الضعيفة ولا اعتماد على مصادر إعلامية مشبوهة، وضابط ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهًا مِنْ بَنِيهَا فَسَيَبُوءُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَلَةٍ فَضُضِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١).

إن الإفراط في نقل أخبار الواقع السيئ للمسلمين مثلا وتضخيم أثرها والمبالغة في وصف مشكلاتهم دون تقديم حلول لها قد يسهم في بناء نظرة تشاؤمية مفعمة باليأس مما قد يورث ردة فعل عنيفة أو مفرطة في الغلو، في حين أن تجاهل ذلك تفريط مذموم، فالمسلم مأمور بالوقوف على حاجات إخوانه والشعور بالأمهم والسعي في تفريج كرباتهم، لذا فالمنهج الوسط هنا يجب أن يكون قائما على الدقة في تحديد الرسالة الإعلامية التي يرجى نفعها بدون إفراط أو تفريط.

- ضمان الحرية الإعلامية وفق ثوابت الشرع، فالإعلام الحديث بشكل عام يقوم على حرية لا محدودة في التعبير عن الرأي قد تعتدي أحيانا على خصوصيات الناس أو حقوقهم أو تسيئ لمجتمعهم أو تضر بأمنهم؛ وذلك لقيامه على النظرة المادية القاصرة على هذه الحياة الدنيا. بمتطلباتها وغاياتها، في حين أن الإسلام كفل الحرية للإنسان وفق ما فطره الله عليه من عبودية خالصة له سبحانه دون تجاوز لما شرعه الله، إذ بذلك تستقيم الحياة وتستقر المجتمعات وتحفظ كرامة البشر، فقد حرر الإسلام الإنسان من عبودية الإنسان، وأعطاه حقه في التفكير للوصول للحقيقة، وكفل له حرية إبداء الرأي والتعبير عنه بالحوار والمجادلة والتي هي أحسن، وبين له طريق الحق فيما شرعه الله من أحكام، وتبعا لهذا فإن الحرية الإعلامية ينبغي أن تلتزم بمحدود

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

الشرعية عند توجيه الناس؛ فهي وسط في تحقيق مستوى عال من الحرية عند بث الرسالة الدعوية للجماهير دون تجاوز مراد الله ورسوله ﷺ.

- البحث عن الحق لا الشهرة، وهو هدف الإعلام الدعوي الذي ينبثق من إخلاص العمل لله جل شأنه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣٢) (١).

إذ أن مختلف الغايات الدنيوية للإعلام لاتعدو في الغالب أن تكون بحثا عن مكسب مالي، أو تحقيقا لتوجهات فكرية أو سلوكية يتم تحديدها سلفا، أو سعيا وراء شهرة يرجى من ورائها نفع مادي أو معنوي.

في حين أن الميزان العدل أن يكون العمل لله وحده قائما على الحق وإن قل ناصره أو مؤيدوه تحقيقا لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: ((من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس)) (٢).

إن السعي وراء الشهرة الشخصية للفرد خلل عقدي يخالف ما يقوم عليه السدين من الحث على خفاء العمل ونبد الرياء، وفي الإعلام يشتد ضرره عندما يسيس ليرضي أهواء الناس بحثا عن مزيد من المتابعين، وفي سبيل تحقيق الوسطية وتعزيزها فإن المنهج الشرعي للإعلام الدعوي يقوم على إشهار الحق والدعاية له دون البحث عن حظوظ النفس التي قد تميل بالمرء عن جادة الطريق، وهذا المنهج كفيلا بنيل ثقة الجماهير بالمحتوى الإعلامي للقناة.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٤١٤)، في كتاب: الزهد، باب: منه، ٦٠٩/٤، وهو

حديث صحيح.

- الموضوعية وعدم التحيز؛ ويقصد بالموضوعية بشكل عام تجرد الأفكار والأحكام من الترععات الشخصية، وعدم التحيز مسبقاً لأفكار، أو أشخاص معينين، فالهدف الأول والأخير هو التوصل إلى الحقيقة كما هي، مؤيدة بالأدلة والشواهد، بعيدة عن المؤثرات الشخصية والخارجية، التي من شأنها أن تغير الموازين^(١).

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ بِأَلْقَسَطٍ شَهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ؕ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (٢).

والموضوعية الإعلامية لا تخرج عن هذا في عرض الحقائق كما هي دون اختزال لبعضها دون بعض من أجل توجه شخصي معين؛ وإنما اتجه البعض للغلو بمثل هذه الاقصائية لبعض النصوص الشرعية التي تأمر بالوسطية في المنهج والفكر.

(١) انظر: كتابة البحث العلمي، صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، ص ٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

المبحث الثاني

أساليب ووسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية

إن أساليب ووسائل الإعلام الدعوي يجمعها نظام واحد يعتمد على ما قامت عليه الشريعة الإسلامية في منهجها لبناء الوسطية وتعزيزها في الفكر والسلوك الإنساني، وهي تشمل أبرز الأساليب والوسائل المؤثرة وأكثرها قربا من المدعويين.

وينبغي للإعلام الدعوي أن يراعي في أساليبه ووسائله أن تكون منضبطة بضوابط الشرع، ومتحددة وفق معطيات الواقع، وملائمة لأصناف المدعويين كما سيأتي بيانه.

المطلب الأول: أساليب الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية:

تتعدد الأساليب وتختلف استخداماتها باختلاف المدعويين إلا أنها في غالبها تأتي ضمن أبرز الأساليب الدعوية التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) (١).

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت ٧٥١هـ): "جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمتسجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن" (٢).

وسأذكر فيما يلي بعض تطبيقات ومحاور هذه الأساليب في تعزيز منهج الوسطية في الإعلام الدعوي:

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ١/١٥٣.

أ- استخدام أسلوب الحكمة في تعزيز منهج الوسطية في الإعلام الدعوي:

- يقوم أسلوب الحكمة على مبدأ الإقناع بالحجة والدليل، وهو مقتضى التربية القرآنية القائمة على إعمال العقل بالتدبر والتأمل، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣) (١).

فمن الحكمة أن يقترن الخطاب الإعلامي بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة وفق دلالة ثابتة ومباشرة على ما يطرح من قضايا تبين مجالات وسطية الإسلام عقيدة وشرعية، كما أن توظيف الحجة العقلية التي لاتعارض النص من الحكمة في تعزيز مفهوم الوسطية في أذهان الناس ووجدانهم.

- من الحكمة مراعاة الدقة عند اختيار الدعاة المختصين في الخطاب الدعوي الوسطي؛ وهم السائرون على منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، وينبغي تأهيلهم إعلاميا قبل ظهورهم للجماهير، وتزويدهم بما يحتاجونه في سبيل تعزيز الوسطية من العلم بأركان الدعوة وتطبيقاتها في الإعلام الحديث.

- من الحكمة مراعاة أصناف المدعوين؛ فتعزيز وبناء المنهج الوسطي عند الأطفال يختلف عن الخطاب الموجه للشباب أو لكبار السن أو للنساء أو للعلماء والسدعاة أو المربين أو غيرهم، فينبغي مخاطبة كل صنف بما يناسبه ويلامس اهتماماته واحتياجاته بما يبين وسطية هذا الدين.

- إن معرفة معوقات الإعلام الدعوي وإدراك سبل التغلب عليها، وخاصة فيما يتعلق ببناء منهج الوسطية في المجتمعات المسلمة من الحكمة التي ينبغي تعلمها والتدرب عليها؛ فإن من الحكمة ما يمكن إدراكه بالتعلم، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه كان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

عن الشر مخافة أن يدركني".

- لا يمكن حصر الميادين الإعلامية التي يمكن تعزيز منهج الوسطية من خلالها؛ لذا فإن من الحكمة معرفة أعظمها أثراً، وأكثرها جمهوراً، بهدف توظيفها في الدعوة إلى الله، فإن التخصص وتوحيد الجهود في ميدان واحد يثمر عملاً دعويًا متقناً، وخاصة إذا كان تحت مظلة العمل المؤسسي، في حين أن التشتت قد يؤدي بالدعوة إلى التعثر وربما التوقف ولو بعد حين.

- إن فقه الواقع وحسن توظيف معطياته ومعالجة مشكلاته فيما يتعلق بالوسطية من الأهمية بمكان، وهو رأس الحكمة الإعلامية بالوقوف على ماتشتد إليه الحاجة وترك ما سواه من المسائل التي لاتفيد المسلمين.

- إن من الحكمة إنشاء وسيلة إعلامية متخصصة في تعزيز المنهج الوسطي، أو دعم الوسائل الموجودة مادياً ومعنوياً.

ب- استخدام أسلوب الموعظة الحسنة في تعزيز منهج الوسطية في الإعلام

الدعوي:

- يعتمد أسلوب الموعظة الحسنة على كتاب الله جل شأنه؛ فهو المصدر الأول؛ كونه أنزل موعظة للناس، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، فمن القرآن الكريم يستمد الإعلام الدعوي موضوعات الموعظة وأحكامها وأساليبها، خاصة فيما يتعلق بتعزيز منهج الوسطية.

- تقوم الموعظة الحسنة على الترغيب والترهيب والموازنة بينهما؛ فهي وسط في ترغيب المرء بالثواب فلا يقنط، وترهيبه بالعقاب فلا يغتر، كما جاء السياق القرآني في

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١)﴾ (١) والإعلام الدعوي مأمور بأن يلتزم هذا المنهج عند استخدامه أسلوب الموعدة الحسنة، فلا إفراط ولا تفريط، فالخطاب الدعوي وسط بين التخفيف والتشديد وفق ما يقتضيه المقام.

- من مهام الإعلام الدعوي أن يقدم للناس دعاة وعاظا على علم وبينة، فلاتصح رواية الأحاديث المكذوبة، أو لي أعناق النصوص بهدف قوة التأثير، وهذا منهج السلف الصالح رحمهم الله فيمن يتصدر لتوجيه الناس، قال ابن الجوزي رحمته الله (ت ٧٥١هـ): "كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء" (٢).

- يراعي الإعلام الدعوي إلتزام السنة في تحري الوقت المناسب للوعظ والمباعدة بين أوقاته؛ وهو منهج الوسطية في التخفف من الوعد خشية الإملال، وفيه مراعاة ما قد يعتري النفس البشرية من الفتور، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ((يتخولنا بالموعدة في الأيام، كراهة السامة علينا)) (٣). قال ابن بطال رحمته الله: "وفي حديث عبد الله: ما كان عليه الصحابة من الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والمحافظة على استعمال سننه على حسب معانيتهن لها منه، وتجنب مخالفته لعلمهم بما في موافقته من عظيم الأجر، وما في مخالفته من شديد الوعيد والزجر" (٤).

- تظهر الوسطية في لغة الخطاب الإعلامي الدعوي بين التقعر والتشدد بالألفاظ

(١) سورة النازعات، الآية: ٣٧-٤١.

(٢) تلبس إبليس، ابن الجوزي، ص ١١١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعدة والعلم كي لا ينفروا ح (٦٨).

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ١/١٥٤.

وبين إستخدام الألفاظ العامية، فالأصل أن يكون الخطاب بليغا دون تكلف، وهو الأجدر بإيقاع التأثير المقصود من الموعظة، وقد قسم الجاحظ رحمته الله ٥٢٥٥ مراتب اللفظ من حيث الفصاحة إلى ثلاث مراتب: الغريب الوحشي، والفصيح، والسوقي المبتذل. وخيرها اللفظ الفصيح الذي يقع وسطا بين الغريب الوحشي والسوقي المبتذل.

ج- استخدام أسلوب الجدال والتي هي أحسن في تعزيز منهج الوسطية في الإعلام الدعوي:

- للإعلام الدعوي اتباع أسلوب المجادلة عند الحاجة إليها بشرط أن تكون بالحسنى؛ قال ابن كثير رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿... وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: "من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب" (١).

- يكثر في وسائل الإعلام الحديثة الجدل المذموم؛ والذي يكون إما بغير علم أو نصرة للباطل أو اتباعا لهوى أو إشغالا لدعاة أهل السنة والجماعة عن عملهم الدعوي؛ لذا تشتد الحاجة للحوار أو المجادلة بالحسنى في الإعلام الدعوي؛ ترسيخا لمفهوم الحوار المعتدل الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية.

- يحتاج دعاة الغلو والتطرف في الغالب لأسلوب الحوار والمجادلة بالحسنى لتنفيذ ما ابتلوا به من شبه فاسدة ولتكشفها أمام الناس، والإعلام الدعوي جدير بحمل هذه المسؤولية العظيمة، وخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي والتي تتيح قنوات مفتوحة لمثل ذلك.

- إن مفهوم الوسطية لايعني التخاذل أمام مغريات وهجمات الشرق والغرب من

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦١٣/٤.

الأمم الكافرة بدعوى الحوار والتقارب الديني؛ فالوسطية الحقبة والتي استحقت بها هذه الأمة خيريتها ومكانتها بين الأمم إنما جاءت من التوسط بين نقيضين مسن التساهل والتشديد، والمنهج المعتدل ماجاء عن الله جل شأنه وما بينته السنة النبوية بلا إفراط أو تفريط، وهذا أساس ومنطلق الحوار الإعلامي مع المخالف، وبه يتحقق المقصود من الدعوة إلى الله.

- تقوم المحادثة والمناظرة على الحجج والبراهين، ويسعى كل طرف إلى إثبات وجهة نظره بالحجة القاطعة، لذا فيجب أن يراعي الإعلام الدعوي شروط وآداب المحادثة والمناظرة؛ ومن ذلك: أن لا يقوم بما إلا المتمكن في معرفة منهج الوسطية وما يصادها من دعاوى الغلو والتطرف، فإن ضعف العلم بالحجة يضر بالدعوة ويظهر المخالف قوي الحجة مما قد يوقع الناس في الالتباس بين الحق والباطل.

- يقوم الإعلام الدعوي على تجاهل القضايا غير الهامة أو التي لافائدة منها أو التي لا يدركها جماهير الناس مما لا تبلغها أفهامهم، فلا يبرزها بالحوار أو الجدل، وفي المقابل يحرص على التوقف حال ظهور توجه المخالف نحو اللدد في الخصومة، وفي هذا حفظ للوقت والجهد، قال الأوزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت ١٨٢هـ): "إذا أراد الله عز وجل بقوم شرا فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل" (١).

- يقوم الإعلام الدعوي على تنظيم سلسلة من البرامج الإعلامية التي تتبنى ثقافة الحوار في موضوع الوسطية في كافة وسائل التواصل الحديثة؛ مع مراعاة خصوصية كل وسيلة وما يناسبها من الحوار أو المناظرة أو الجدل والتي هي أحسن. هذه أبرز التطبيقات والمحاور التي ينبغي مراعاتها في أساليب تعزيز منهج الوسطية، والتي يمكن أن تشمل ماتفرع عنها من أساليب تناسب مجال الإعلام الدعوي.

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، ٢٠٢/١.

المطلب الثاني: وسائل الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوساطية:

إن نشأة الإعلام الدعوي بدأ قديما في عهد النبي ﷺ، وقد استخدم عليه الصلاة والسلام كافة الوسائل المتاحة آنذاك لتبليغ الدعوة لكافة الناس، ومع تقدم الزمن وتطور التقنية ظهرت بعض الوسائل الحديثة جنبا إلى جنب مع الوسائل القديمة التي لازالت مؤثرة ومتجددة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أ- الخطبة:

من أوائل الوسائل الدعوية وأبرزها تأتي الخطب بأنواعها ومناسباتها قديما وحديثا؛ وأهمها خطبة الجمعة؛ كونها تتكرر أسبوعيا ويلزم الناس باستماعها وعدم التشاغل عنها ولو بمس الحصى، ولأنها تخاطب أعدادا كبرى من المدعوين فإن التعزيز الإعلامي للوساطية من خلالها من الأهمية بمكان، كما يمكن طرح جوانب عديدة للموضوع على مراحل متفاوتة مع الحرص على اغتنام الفرص بمعالجة ما يستجد من أحداث، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت ٧٥١هـ) عن هدي النبي ﷺ في الخطبة: "وكان مدار خطبه على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده، وتعليم قواعد الإسلام، وذكر الجنة والنار والمعاد، والأمر بتقوى الله، وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه... وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصالحتهم"^(١).

ويأتي التعزيز للوساطية من خلال الخطبة متمثلا في اختيار الموضوعات الدالة عليها وحسن عرضها والحكمة في مراعاة أحوال المدعوين وتفاوتهم، كما أن تمثل الخطيب الوساطية في عقيدته وفكره هو خير داعية لهذا المنهج القويم، بل حتى الموازنة بين التطويل والتقصير والتلميح والتصريح وما إلى ذلك إنما هو من التوسط الذي أمر به المسلم، ومن هنا جاء منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام في الموازنة بين البشارة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/١٨١.

والندارة؛ قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(١)، والموازنة بين المصالح والمفاسد؛ لأن الخطيب بحاجة إلى ذلك حتى يوازن بين مصلحة كلامه وما قد يترتب عليه، يقول العز بن عبد السلام رحمه الله (ت ٦٦٠هـ): "معظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها"^(٢).

لذا فإن العناية بالخطبة والإلمام بأدائها وشروطها يترك الأثر العميق على الأمة الإسلامية في معالجة قضاياها، ولهذا جعلها الله عبادة يؤديها المسلمون في بعض شعائرهم كالحج والعيدين والجمعة.

ب- الشعر:

لقد كان ولازال الشعر منظومة أدبية إعلامية مؤثرة؛ بدءا من المطولات والمعلقات وانتهاء بشعر الرجز السهل الحفظ والذي اشتهرت به المنظومات الشرعية، وفي وقتنا الحاضر يمكن للشعر أن يعزز مفهوم الوسطية بأبيات يسهل نشرها وتداولها بين الناس، فالأدب الإسلامي بغاياته السامية وقيمة العالية يسهم في بناء المجتمعات وتعزيز القيم وتصحيح المفاهيم وتفنيد الأفكار المنحرفة، لذا فهو وسيلة دعوية ينصرف حكمها إلى الضرورة أحيانا عند الحاجة للذب عن الإسلام وشعائره.

ج- الندوات والمؤتمرات:

تتميز الندوات والمؤتمرات بالمحتوى العلمي لها وبنوعية جمهورها المثقف، لذا فإن دورها الإعلامي يتركز على ضوابط وأسس علمية ومنهجية تراعي خصوصيتها. ويمكن للندوة والمؤتمر أن يعززا الوسطية وفق إطارها المشترك في حدود الطرح

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، ص ٨، وللاستزادة انظر: موضوعات خطبة الجمعة، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ص ٨٣.

والنقاش العلمي، فالندوة من خلال استضافة المختصين في موضوع الوساطة وأثارها من العلماء والدعاة وذوي الإختصاص الاجتماعي والنفسي والسياسي لمناقشة موضوع خطر الغلو والتطرف مثلا، وهذا مما يمكن بثه للجماهير خاصة عند معالجة الأحداث الطارئة والتي تستلزم كشف شبهاتها وبيان التصور الصحيح حيالها. أما المؤتمر فهو وسيلة إعلامية يمكن للجامعات العلمية ومن في حكمها تفعيلها باستقطاب العلماء والأكاديمين للمشاركة بأبحاثهم وفق أحد موضوعات الوساطة، مما يسهم في الحراك العلمي المؤصل والمبني على ضوابط علمية دقيقة، وفي هذا إثراء لا يخفى للمكتبة الإسلامية.

د- تأليف الكتب:

إن الواجب الدعوي للعلماء والدعاة يوجب تأصيل المنهج الوسطي من خلال تأليف الكتب العلمية في هذا الموضوع، وينبغي لعلماء الأمة ودعاتها أن ينبري منهم من يتصدى لهذا الباب بمؤلفات علمية أصيلة على منهج أهل السنة والجماعة، تستجلي بها الشبهات ويستبان بها الحق، وتكون مرجعا لكل من عصفت به الأهواء أن يتأمل أدلتها الشرعية وحججها العلمية فلا ينظر إلى غيرها.

وكتابة المصنفات والكتب العلمية وسيلة دعوية اتخذها علماء الأمة من سلفها الصالح، وهي في الوقت ذاته وسيلة إعلامية تناقلتها البلدان والأمصار بالحفظ والتدارس، وجدير بهذه الوسيلة أن تزداد العناية بها في الوقت الحاضر، فهي الطرح العلمي الأصيل الذي يجابه ما يثار في وسائل التواصل الحديثة من زوابع فكرية هشة لن تصمد طويلا أمامها.

ولأن موضوع الوساطة يهم عامة الناس، وغالب من اتسم بالغلو ممن تقل بضاعته بالعلم الشرعي فإن التأليف في هذا الجانب ينبغي أن يراعي أمورا مهمة، ذكر أبرزها السيوطي رحمته الله (٩١١ هـ) فقال: "وينبغي أن يتحرى في تصنيفه العبارات

الواضحة والموجزة، والاصطلاحات المستعملة، ولا يبالغ في الإيجاز بحيث يفضي إلى الاستغلاق، ولا في الإيضاح بحيث ينتهي إلى الركافة، وليكن اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر^(١).

هـ- القنوات الفضائية:

لقد حققت البرامج الدعوية في القنوات الفضائية نجاحا ملموسا في استقطاب جماهيرها من المشاهدين؛ وهي وسيلة دعوية جديدة بالرعاية والاهتمام؛ لما للقنوات الفضائية من انتشار واسع، فلا يخلو بيت من بعضها، ولأجل تنوعها واختلاف توجهاتها فإن الحاجة تزداد لبث برامج دعوية تعنى بالوسطية من خلالها، خاصة فيما يتعلق بكشف الشبهات المتعلقة بهذا الموضوع.

و- الشبكة العنكبوتية:

إن الإعلام الحديث المتمثل بالثورة التقنية والمعلوماتية المتبادلة من خلال الشبكة العالمية يمثل وسيلة دعوية واسعة الانتشار والتأثير تبعا للميدان الذي تنطلق منه، ويمكن القول أن هذه الوسيلة الحديثة حققت سبقا إعلاميا كبيرا بمميزاتها القائمة على السرعة وسهولة الاستخدام وسعة الانتشار، وتتيح هذه الشبكة التواصل مع الناس بمختلف توجهاتهم، وخاصة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، والتي تضم أصنافا شتى من المدعويين ممن يتفاوتون في سعة الفهم والإطلاع؛ لذا فإن تعزيز الوسطية يأتي بكل وسيلة تتيحها الشبكة العالمية من صوتيات ومرئيات وصور واتصالات مجانية وبث حي، كما يمكن معالجة الإنحرافات الفكرية من غلو وتطرف من خلال الحوار العلمي مع أصحابها في فضاء الانترنت.

إن عالمية الشبكة ساعدت على ظهور نمط جديد من الأفكار المشوهة التي تستند

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، ٦٠١/٢.

على فتاوى فردية من أشخاص مجهولين مما ساعد في ظهور ما يسمى بالتحريض الإلكتروني القائم على الغلو، والذي يجب أن يقابله جهد حثيث لتفنيده وكشف مساوئه أمام الناس، فالتغريب بالجهلة لا يمكنه الصمود أمام الحجج القاطعة، ودعاوى الفكر المتطرف التي تبث أفكارها السلبية في المنتديات والغرف الصوتية لشباب الأمة يجب أن يكشف زيفها و تبين آثارها على الفرد والمجتمع.

الخاتمة

الحمد لله حمد الشاكرين، في كل وقت وحين، حمدا يليق بعظمته وجلاله سبحانه، وأشكره جل شأنه على ما من به علي من تيسير هذا البحث حتى تم بناءه، والذي أرجو أن أكون قد وفقت في تجلية بعض جوانبه، ثم أنه يحسن في ختام هذا البحث أن أبين بعض ماخرجت به من نتائج، وهي كما يلي:

- الدعوة والإعلام مرتبطان ببعضهما لايفككان بأي حال من الأحوال لارتباطهما بعالمية الرسالة ووجوب نشرها وتبليغها.

- الوسطية تكفل للمجتمعات المسلمة أفرادا معتدلين بسمات تقوم على الثبات على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وتسعى في عمارة الأرض وبنائها وتحول دون إفسادها؛ مما يحقق الأمن المجتمعي الذي كفلته الشريعة الإسلامية لأبنائها.

- الإعلام الدعوي في سعيه لتعزيز منهج الوسطية يخاطب الإنسان المسلم وغير المسلم، لذا فإن الكتاب والسنة هما أعظم مصدرين شاملين لما يحتاجه هذا الإنسان على اختلاف معتقداته وتوجهاته الفكرية.

- إن التوجهات الفكرية الموغلة في التطرف إفراطا وتفریطا لاتتهاوى إلا بالحجة الصادقة.

- هدف الإعلام الدعوي شرعي بالمقام الأول، ورغم أهمية الجانب الفني للإعلام إلا أنه لا يقارن بأهمية قيامه على محتوى علمي دقيق؛ وذلك لكونه مبلغا عن الله، ولاشك أن التكامل بين الجانبين هو ما يثمر إعلاما متميزا ومؤثرا.

- إن معرفة معوقات الإعلام الدعوي وإدراك سبل التغلب عليها، وخاصة فيما يتعلق ببناء منهج الوسطية في المجتمعات المسلمة من الحكمة التي ينبغي تعلمها والتدرب عليها.

- تعزيز الوسطية يأتي بكل وسيلة تتيحها الشبكة العالمية من صوتيات ومرئيات

وصور واتصالات مجانية وبث حي، وهي ميدان واسع التأثير تتعدد فيه الأساليب الدعوية المؤثرة.

أما توصيات البحث فكما يلي:

- تكثيف الدراسات الإعلامية التي تعنى بمعالجة ظواهر الغلو والتطرف، وتعزيزها بدراسات ميدانية لأجل الوقوف على الواقع الدعوي الإعلامي وتحديد المشكلات والسعي لحلها، ثم تزويد المؤسسات المعنية بنتائج الدراسة للإفادة منها.
- أوصي أهل العلم والدعوة بالقرب من واقع الشباب ومحاورهم فكريا فيما يطرح في شبكات التواصل الاجتماعي من شبهات يجب كشفها قبل انتشارها.
- هذا وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، تقديم: أ. د. إحسان عباس، ط/ دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفرج، محمد بن مفلح بن محمد ، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي، ط/ عالم الكتب، بيروت.
٣. الإعلام الإسلامي "دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص"، محمد موسى البر، "بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية"، العدد العاشر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٤. الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة، عبد الله قاسم الوشلي، ط/٢، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا: ١٤١٤هـ.
٥. الإعلام في صدر الإسلام، د. عبداللطيف حمزة، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.
٦. البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، ط/ دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣هـ.
٧. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن مرتضى، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط/ دار الهداية.
٨. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط/ دار طيبة.
٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠. تليس إبليس، ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، ط/١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويح، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٣. الجامع الصحيح، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.
١٥. الدعوة إلى الله "خصائصها، ومقوماتها، ومناهجها"، د. أبو المجد السيد نوفل، ط/١، مكتبة الحضارة العربية، الفجالة: ١٣٩٧هـ.
١٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ط/٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
١٧. سنن ابن ماجة، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء الكتب العربية.
١٨. سؤال وجواب حول فقه الواقع، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/٢، المكتبة الإسلامية، عمان: ١٤٢٢هـ.

١٩. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط/٢، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٠. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم "دراسة في التفسير الموضوعي"، المتولي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، (رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية)، ماليزيا: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢١. فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، ط/١، دار ابن كثير، دمشق: ١٤١٤هـ.

٢٢. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط/٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٦هـ.

٢٣. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط/ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩١م.

٢٤. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، أ. د. محمد مصطفى الزحيلي، ط/١، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٥. القواعد، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. كتابة البحث العلمي "صياغة جديدة"، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، ط/٦، دار الشروق للنشر والتوزيع: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٧. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ط/٣، دار صادر، بيروت: ١٤١٤ م.

٢٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنور: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٩. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، ط/ دار الوطن، الرياض: ١٤١٣هـ.

٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.

٣١. معالم التتيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.

٣٢. المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم، وآخرون، ط/ دار الدعوة.

٣٣. معجم مقاييس اللغة، ابن زكريا، أبو حسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام بن محمد هارون، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٤. مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.

٣٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦. مناهج البحث العلمي، بدوي، عبد الرحمن، ط/٣، وكالة المطبوعات، الكويت: ١٩٧٧م.

٣٧. مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، د. فرج الله عبدالباري، ط/١، دار

الأفاق العربية، القاهرة: ٢٠٠٤م.

٣٨. مناهج البحث، غازي بن حسين عناية، ط/ مؤسسة شباب الجامعة،

الإسكندرية.

٣٩. الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، تحقيق:

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط/١، دار ابن عفان، الرياض:

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٤٠. موضوعات خطبة الجمعة، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، وزارة

الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤١٩هـ.

٤١. الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم

الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، ط/٣، دار الحديث، القاهرة: ١٩٩٩م.

٤٢. الوسطية: مفهوما ودلالة، د. محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة.

<http://www.alukah.net/culture/./٤٣٤١/#ixzz٤TAVg٦VQu>.

البحث رقم (٣)

التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي "الأسباب، الآثار، العلاج"

إعداد

د. طالب بن أحمد الهمامي

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب بشرورة، جامعة نجران

د. عبد الحافظ أحمد طه

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب بشرورة، جامعة نجران

المقدمة

الحمد لله، فالق الحب والنوى، هدي الناس النجدين، ففريقا هدي، وفريقا غوي، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيدنا محمد، الذي ما ترك شيئا يقربنا إلى الله إلا وأرشدنا إليه، ولا شيئا يبعدنا عن مرضاة الله إلا وحذرنا منه، فصلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه الأخيار البررة، ومن تبع نهجهم وسار على درهم إلى يوم الدين، وبعد،

فإن البحث قائم على دراسة الأفكار وانحرافها عن المنهج السوي الرباني، أو دنوها منه، والسبب: لأن الأفكار يتولد منها السلوك والقيم والأخلاق والأعمال، فما يُترجم إلى واقع عملي من الأفراد أو المجتمعات إنما هو في الأصل نتاج أفكارهم، وحصيلة نظرهم، وخلاصة آرائهم، التي قد تكون حقا أو باطلا، قريبة من المنهج الرباني أو منحرفة عنه.

ولهذا فالدراسات التي تُعني بالأفكار هي الأولى أن تُتجه إليها الأنظار، وتُقضي فيها الأوقات والأنفاس.

ووقع الاختيار على تأثير التحولات الفكرية في الدعوة، لأن الدعوة الإسلامية - بلا شك- تتأثر بتلك التحولات، سلبا أو إيجابا، فمن يتحول بفكره إلى سبيل الرشاد يضيئ في سماء الإسلام المتوهجة بالنجوم والكواكب، ويكون للدعاة في الإشادة به عوناً، لاسيما إن كان من أعلام الضلالة من قبل، ليغيظوا به الباطل وأهله، بل هو نفسه يتجه إلى محاربة الفكر الآثم الذي خرج منه، محاربة الواثق الذي يمتطي ذات الأسلحة ونفس الأدوات، وكما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١).

(١) سورة فاطر، الآية: ١٤.

أما من ينحرف بفكره إلى طريق الغي والضلالة فإنه يكون لشياطين الإنس ومنافقي الأمة هاديا وإماما، ومتنفسا ذا رائحة كريهة، يعطيهم مساحة للتقول على الإسلام بما هو منه برئ، لكنها النفوس المريضة، والقلوب التي ران عليها إثم المعصية، وبغي القول، ورجس الشيطان.

ومن ثم كانت الدراسة بعنوان (التحويلات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي).

الدراسات السابقة:

لم يتطرق أحد من الباحثين- بعد البحث والتدقيق- إلى الكتابة في موضوع التحويلات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي.

هذا مع العثور على دراستين سابقتين هامتين في مجال التحول الفكري بوجه عام.

الأولى بعنوان (التحويلات الفكرية للدكتور حسن بن محمد الأسمرى)(١)،

وتكونت دراسته من تمهيد وقسمين.

ففي التمهيد تحدث عن التأصيل النظري للمصطلح، وفي القسم الأول كان حديثه

عن أسباب الظاهرة، وذكر منها:

أولاً: ثنائية الجهل والعلم.

ثانياً: المشروعات الفكرية.

ثالثاً: الإعلام.

رابعاً: عولمة القلب.

خامساً: الأحداث الكبرى التي هزت العالم.

وفي القسم الثاني كان حديثه عن التقلبات- غير الحسنة- التي بسرزت في هذه

المرحلة وهي خمس بنظره.

١- من إسلامي إلى إنساني.

(١) طبعها مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط/١: ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٢- من التعبد إلى التخلق.

٣- من السنة إلى البدعة.

٤- من النشاط إلى الفتور.

٥- من المروءة إلى الإمعية.

أما عن علاج الظاهرة فإنه لم يفرد له قسما مستقلا خاصا به، وإنما جعل الحلول ضمن العرض، مشتبكة بالأسباب والظواهر.

وهذه الدراسة في مجملها تركز على التغيرات السلبية فقط، كما أشار إلى ذلك كاتبها^(١)، وكما هو واضح من حديثه في القسم الثاني عن التقلبات الخمسة. والثانية بعنوان (تحولات الإسلاميين من هيب سبتمبر إلى ربيع الثورات) للأستاذ وليد بن عبد الله الهويريني^(٢).

وتتكون الدراسة من مدخل وخمسة فصول.

وفي المدخل كان الحديث عن تحولات الإسلاميين من خلال مفهومها وأنواعها. وفي الفصل الأول تتحدث الدراسة عن الأحداث والأسباب التي مهدت لظاهرة تحولات الإسلاميين.

وفي الفصل الثاني: كان الحديث عن التحولات السلبية.

الفصل الثالث: التحولات الملتبسة.

الفصل الرابع: التحولات الإيجابية.

الفصل الخامس: أبعاد تحولات الإسلاميين واستشراف آثارها.

ثم تتحدث الدراسة أخيرا عن أن رياح التغيير تأتي قولبة الإصلاح.

(١) التحولات الفكرية ص ٢١.

(٢) طبعته مكتبة مجلة البيان، الرياض ط/١: ١٤٣٣هـ.

وهذه الدراسة هي عبارة عن تقديم رؤية تحليلية للتحويلات الفكرية التي عاشها الإسلاميون في السعودية الذين ينتسبون في منهجهم الشرعي ومنطلقاتهم الفكرية إلى المنهج السلفي، خلال الفترة الزمنية التي أعقبت ضربات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة وحتى ١٧ ديسمبر ٢٠١١م، وهو تاريخ اندلاع الثورة التونسية(١).

أسئلة البحث:

- يتجاذب البحث أسئلة متنوعة منها:
- ١- ما تعريف التحويلات الفكرية؟
 - ٢- هل توجد أسباب معينة للتحويل الفكري؟
 - ٣- من هم أهم العلماء(٢) الذين تحولوا فكريا من دائرة الضلالة إلى الهدى؟
 - ٤- ما آثار التحويل الفكري على الدعوة الإسلامية؟
 - ٥- كيف تتم معالجة التحويلات الفكرية السلبية في ضوء القرآن والسنة؟

منهج البحث:

لقد تم استعمال المنهج الاستقرائي والتحليلي لمناسبته لأمثال هذه الدراسات التي تهتم بالجانب النظري، وذلك حيث قام الباحثان بتجميع ما يدور حوله البحث من

(١) تحولات الإسلاميين من هيب سبتمبر إلى ربيع الثورات، ص ١٥.

(٢) قال ابن منظور: (والعلم نقيض الجهل، علم علما وعلم هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعا. قال سيبويه يقول علماء من لا يقول إلا علما، قال ابن جني: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابس صار كأنه غريزة ولم يكن على أول دخوله فيه ولو كان كذلك لكان متعلما لا علما فلما خرج بالغريزة إلى باب فعل صار عالم في المعنى كعليم فكسر تكسيره ثم حملوا عليه ضده فقالوا جهلاء كعلماء). انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، مادة علم ٤١٦/١٢، دار صادر بيروت، ط/١.

أسباب وآثار وسبل علاج ومقاومة هذه الظاهرة وتحليل الأدلة والشواهد واستنتاجاتها وذلك بهدف التوصل إلى السبل الحقيقية لرصد ظاهرة التحولات الفكرية في الشخصية الإنسانية.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:
المقدمة وتشمل الدراسات السابقة للبحث، وأسئلة البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث وتقسيمه.

التمهيد وفيه تحرير مفهوم مصطلحات عنوان البحث.

أولاً: معنى التحول.

ثانياً: معنى الفكر.

ثالثاً: معنى الأثر.

المبحث الأول: أسباب التحولات الفكرية في الشخصية الإنسانية وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: النشأة والتربية.

المطلب الثاني: البيئة والمجتمع.

المطلب الثالث: الخلل في منهج التلقي.

المطلب الرابع: وسائل الإعلام.

المبحث الثاني: آثار التحولات الفكرية على الدعوة الإسلامية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار التحولات الإيجابية على الدعوة الإسلامية وفيه النقاط الآتية:

أولاً: زيادة انتشار معتقد السلف في الأمصار الإسلامية.

ثانيا: تعزيز نقد التشيع على نطاق واسع.

ثالثا: تعزيز نقد الفكر الصوفي المنحرف على نطاق واسع.

المطلب الثاني: آثار التحويلات السلبية على الدعوة الإسلامية

وفيه النقاط الآتية:

أولا: تمزيق الأمة الإسلامية وتفرقتها.

ثانيا: الجدل والخصومات والمراء في الدين.

ثالثا: تقديس آراء الرجال لا تقديس الحق.

المبحث الثالث: سبل معالجة التحويلات الفكرية السلبية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: وحدة مصدر التلقي.

المطلب الثاني: مجانبة أهل الأهواء والبدع.

المطلب الثالث: الالتفاف حول المجامع الرسمية والحذر من المجامع الأهلية المشبوهة

والفتاوى الشاذة.

المطلب الرابع: المحافظة على الوحدة الفكرية.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته ومصادر البحث وفهارس موضوعاته.

هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل فمن أنفسنا

والشيطان، ونسأل الله تعالى أن يغفر لنا الزلات، ويغيبنا العثرات، ويتقبل منا

الصالحات، ويحفظ أوطاننا وأمتنا من كل سوء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد

أضحى تحرير مفهوم المصطلحات المبهمة في عنوان البحث أمراً في غاية الأهمية، لكي يتعرف القارئ على وجهة البحث وأهدافه، إثر السيل المعرفي المتدفق الذي يسير حولنا في سرعة جارفة، ولذا سنقوم بتعريف ثلاثة مصطلحات لأهميتها في وضوح فكرة البحث.

أولاً: معنى التحوُّل:

التحول يعني التنقل والتجدد والحدوث، وهو مصدر وليس فعلاً. قال الإمام ابن منظور: (قال الأزهري: والتحويل مصدر حقيقي من حَوَّلْت والحَوَّل اسم يقوم مقام المصدر قال الله عز وجل: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلاً﴾^(١)، أي تحوُّلاً، وحال الشيء حَوَّلاً وحُوْلاً وأحال الأخيرة عن ابن الأعرابي كلاهما تحوُّل. والتَّحَوُّل التَّنَقُّل من موضع إلى موضع^(٢)، أو من رأي إلى رأي.

ثانياً: الفكر:

يقال: (فكر) في الأمر فكراً، أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول.

و(التفكير) إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها^(٣)، أو هو مجموعة الأساليب التي يتبعها العقل لمعرفة السبب واكتشافه^(٤).

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٨.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة حول ١١/١٨٤ باختصار كبير، دار صادر، بيروت، ط/١ بدون تاريخ.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية مادة فكر ٢/٦٩٨، دار الدعوة.

(٤) فصول في التفكير الموضوعي "منطلقات ومواقف"، د. عبد الكريم بكار ص ١٣، دار القلم، دمشق، ط/٥: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

وعلي هذا فالتفكير عملية ذهنية عقلية يتم من خلالها التوصل لأمر ما، من خلال أساليب معينة، ومعطيات بعينها.

ثالثاً: الأثر:

الأثر له ثلاثة معان الأول. بمعنى النتيجة وهو الحاصل من شيء، والثاني. بمعنى العلامة، والثالث. بمعنى الجزء^(١).

والمعنى المقصود في البحث هو الأول.

والمقصود بالتحول الفكري في بحثنا هو: التغييرات الجذرية التي تعتري فكر الإنسان وعقله، نتيجة عوامل وبواعث، ويكون لها أثر واضح في سلوكه.

فهو أنماط من الاستدلالات العقلية التي قد تكون منطقية أو غير منطقية، فيتحول المرء بسببها من فكر إلى فكر، أو من اتجاه بعينه إلى آخر، أو من مذهب معين نشأ عليه إلى ما سواه.

وقد يكون التحول الفكري سلبياً لا إيجابياً، كما يقع لبعض الملحددين والعلمانيين والعقلانيين والحدائثيين الذين نسمع كلامهم الكريه ليلاً ونهاراً.

وربما كان الانتقال إيجابياً، مثل أن ينجح المرء من تيار ضال إلى منهج السلف، كما وقع لبعض العلماء والدعاة الذين كانوا على مذهب التصوف أو التشيع، وخلاف ذلك، فهداهم الله تعالى إلى منهج السلف رحمهم الله.

وسوف يتم في هذا البحث إيضاح أثر التحول على الدعوة الإسلامية، أيما كان الأثر وأيما كانت قبلة المتحولين.

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري ص ٢٣، دار الكتاب

العربي، بيروت، ط/١: ١٤٠٥هـ.

المبحث الأول

أسباب التحولات الفكرية في الشخصية الإنسانية

للتحولات الفكرية أسباب متعددة، وبواعت متشعبة، يتأثر بها المتحول فكريا سواء كان تأثره بالإيجاب أو بالسلب، وقد يعجز الأريب عن إحصائها عددا، ومن أمثلتها: التضليل الإعلامي وخاصة الفضائيات والإنترنت، ودعم جهات خارجية وقوى دولية- كما حدث فيما يسمى بالربيع العربي، والجهل، والصحبة، وعوامل سياسية واقتصادية ونفسية، وغير ذلك، لكن لعل جميعها تعود إلى أسباب رئيسة أربعة، نفضلها في المطالب الآتية.

المطلب الأول: النشأة والتربية:

إن تأثير النشأة في الانحراف لا ينكره أحد، ولا يماري فيه عاقل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)).(١)

فما المجتمع إلا مجموعة من الأسر التي تربط فيما بينهم مجموعة من المصالح المشتركة المتشعبة، فإن صلحت الأسر صلح المجتمع، وإن فسدت فسدت، لأنها كالقلب للجسد، بصلاحه يصلح، وعلي قدر عطبه يفسد.

وفي مقدمة البيئات وطلعتها التي تؤثر في سلوكيات الأولاد هي الأسرة، ولهذا فإن أنماط التربية لها آثارها الإيجابية أو السلبية على النشء، فالوالدان اللذان يقسوان على أولادهم القسوة الزائدة أو يدللهم التدليل المطغي، أو يهملان تبعات الأمانة التي وهبهم الله إياها، وهي توجيه الأولاد، وإرشادهم، وحياطتهم، والأخذ بأيديهم نحو

(١) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: معني كل مولود يولد على الفطرة، رقم ٢٦٥٨.

طريق الاستقامة، فهذا أو ذاك أو ذلك يُنبئ في الولد انحرافات في الفكر، واضطرابات في السلوك، فقد يقسو الولد على والديه أولاً ويتمرد عليهما، ثم ينمو هذا المرض فيكون بدايةً لشر أكبر وجُرم أشد، وهو كراهية المجتمع كافة، ووسمُ أفراده بالكفر، ووصف حكام الأمة بالخروج من الملة.

وكم من شاب تحول فكره إلى التطرف والتشدد واللاوعي بمجتمعه والنقمة عليه وبغضه، بسبب سوء التنشئة والتربية، من فقدته لمحبة أب، أو مداعبة أم، أو حنان أخ، أو تقصير في توجيحه، أو تفكك أسري، أو من جراء سوء معاملة زوج لزوجته، أو الجور وعدم العدل بين الأولاد، فيولد بينهم الشقاق والتراع.

إن الأولاد إن فقدوا النماذج المثلي في آبائهم والقسودات في أمهاتهم وفي ذوي القربى لهم ابتغوها في نماذج أخرى خارجية يرونها مثالية حية في نظرهم، لكنها نماذج ضالة مضلة، كاذبة جهولة، من مشايخ سوء يغرسون في نفوسهم التعصب والتطرف والانحراف وأفكار الشيطان.

يتسلل الولد إلى هذه البيئة الموبوءة فيلتف حوله أرباب الغواية، ومشايخ الضلالة، التفاف الأسد على فريسته، والسباع على الغنم، وقطاع الطرق على غنيمة باردة، فيغسلون عقله بما شذ من الآراء، وبطل من الأحكام، واندس من الروايات، ولأنه مسكين خاوي الوفاض تجده يقبل كل شيء، ويؤمن بكل رأي.

وتؤكد الإحصائيات الرسمية على أن كثيراً من المنحرفين فكرياً، وممن آمن بالأفكار التكفيرية، أو من انغمس في وبال التفجير كانت العوامل الأسرية لها علاقة وطيدة بذلك.

ونستأنس هنا بما قال الدكتور ماجد بن محمد المرسل^(١) عن الجذور التاريخية للانحرافات الفكرية وواقعها في مجتمع المملكة العربية السعودية: (إن الوزارة أجرت

(١) المستشار بوزارة الشؤون الإسلامية، المدير العام للإدارة العامة للتوعية العلمية والفكرية.

دراسة على ١٠٠ شاب شملت أبرز المنضمين إلى القوائم المعلنة من وزارة الداخلية، وبعد دراسة القائمة تبين أن أهم أسباب الانحراف الفكري لدي من شملتهم الدراسة كان الجهل حيث إن نسبة ٧٨% من هؤلاء المنحرفين متسربون من التعليم ومؤهلهم من الثانوية فما دون، ثم وجد أن صغر السن يشكل سبباً آخر مهماً حيث إن نسبة تصل إلى ٧٥% من هؤلاء الشباب تقل أعمارهم عن ٣٠ سنة، وكذلك حوادث الاستقامة أو التدبّن، حيث إن نسبة بلغت ٤٣% من هؤلاء الشباب هم ممن كانت لهم سوابق كالمخدرات وبمجرد أن يتوب أحدهم ويتدين يبيّن له قادة الفكر المنحرف ودعائه أن التكفير عن ذنوبه إنما يكون بالدخول في مثل هذه التنظيمات، وكذلك فإن نسبة كبيرة من هؤلاء الشباب لديهم عدم استقرار أسري إما باليتم أو انفصال الوالدين، أو غيره(١).

ورأي د. محمد الدغيم(٢) الذي أعد دراسة بعنوان (الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية)(٣) (أن التنشئة الاجتماعية التي تحتوي على مشكلات أسرية كالطلاق والغياب الطويل للأب عن المنزل وسوء معاملة الوالدين تجاه الأبناء والمعاناة الاقتصادية للأسرة، كلها عوامل لها علاقة في انحرافات الأبناء الفكرية والسلوكية، إذ تسين أن معظم المشاركين في أحداث التفجيرات في المملكة العربية السعودية والكويت هم ممن انفصلوا عن أهلهم وتمردوا عليهم وخرجوا من بيوتهم منذ فترة طويلة)(٤).

(١) أنخبار المدينة، الثلاثاء، ٢٣ مارس ٢٠١٠م.

(٢) أستاذ مساعد بقسم علم النفس، كلية التربية الأساسية، الكويت.

(٣) دراسته حازت علي جائزة مجلس التعاون لدول الخليج العربية للبحوث الأمنية عام ٢٠٠٥.

(٤) جريدة الرياض، السبت ٢٢ من ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥م.

مما يؤكد ذلك كله أهمية قيام الأسرة بواجبها الديني والوطني أمام الله تعالى والمجتمع، بأن تعزز روح الانتماء لله وحده ثم لولادة الأمر، وتغرس في نفوس أولادها قيم البناء والعطاء والمسئولية.

المطلب الثاني: البيئة والمجتمع:

قال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (٢).

يقول الطبري رحمه الله: (لم يصددها عن عبادة الله جهلها، وأنها لا تعقل، إنما صددها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم) (٣).

وعلى عهد الخليفة المأمون الذي استعمل قوة السلطان في نشر مسألة خلق القرآن فجعل المجتمع يتأثر برأيه طوعاً أو كرهاً.

ولم لا؟! وقد (أحاط به المعتزلة، وكان جل حاشيته من رجالهم، فأكرمهم وبالغ في إكرامهم).

والسبب في ميله إليهم أنه كان تلميذاً لأبي الهذيل العلاف، وأبو الهذيل من رؤوس المعتزلة (٤)، كما هو معلوم.

وعن امتحانه للعلماء في مسألة خلق القرآن قال الإمام الذهبي رحمه الله: (أما مسألة القرآن، فما رجع عنها، وصمم على امتحان العلماء في سنة ثمانٍ عشرة، وشدد

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر ١٩/٤٧٢، مؤسسة الرسالة ط/١: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

(٤) خلق أفعال العباد، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ص ١٦، دار عكاظ، جدة، ط/٢.

عليهم، فأخذه الله(١).

وأضاف الخليفة المأمون إلى فتنة خلق القرآن فتنة أخرى كما ذكر الإمام شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي وهي القول: بتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما(٢).

وعلي هذا فإن المربي الناجح هو الذي يتخير لناشئته البيئة الصالحة التي تعزز فيهم التزام أمر الله وتعين عليه، وتنفرهم من مخالفة أمره ولا تروج لباطل أهل الزيغ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسْ أَلْمَسِيرُ ﴿١٢٦﴾ (٣).

وأي أمنٍ أعظم من أن يعلو صوت التوحيد فلا يسمع صوت سواه، ولا يضر بعد ذلك أن يكون المكان ﴿غَيْرِ ذِي﴾ طالما أن كلمة التوحيد ظاهرة وبيئة التربية صافية نقية لا صولة للشيطان فيها ولا جولة. وإن الذي يقيم مع ناشئته في مجتمع تغشو فيه معالم الزيغ والضلالة والفسق والكفر ليس بذاك المربي وليس بذاك الحريص حقاً على تقرير عقيدة التوحيد في قلوب الناشئة، اللهم ما لم يكن مغلوباً على أمره، قد استفرغ الوسع في تأمين البيئة البديلة(٤).

(١) سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي ٢٨٣/١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت ط/٩: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، الإمام شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ٩/١، مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق، ط/٢: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٤) أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، د. وسيم فتح الله ص ٧٠.

فالبينة المحيطة بالفرد لها النصيب الأوفر، والقدر المعلي، في تغييره إما إلى الأفضل أو الأسوأ.

نماذج من العلماء الذين تأثروا ببيئتهم التي نشأوا فيها:

أ- عمران بن حطان رضي الله عنه ت ٨٤هـ- (١).

كان أولاً من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها، وكان هو دميم الشكل، فأراد أن يردها إلى السنة فأبى فارتد معها إلى مذهبها.

وهو القائل في قتل علي وقاتله:

يا ضربة من تقى ما أراد بها
إني لأذكره يوماً فأحسبه
أكرم بقوم بطون الطير قيرهم
وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل علي رضي الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها:

بل ضربة من شقي ما أراد بها
إني لأذكره يوماً فأحسبه
إلا ليبلغ من ذي العرش خسارنا
أشقي البرية عند الله ميزاننا (٣)

(١) هو ابن ظبيان، السدوسي البصري، من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج. قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان، وأبا حسان الأعرج. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١٤/٤، مصدر سابق.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٦٤/٩-٦٥، دار إحياء التراث العربي، ط/١: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٣) المرجع السابق ٦٤/٩-٦٥.

ب- الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله ت ٣٢٤هـ (١):

ومن أظهر من تأثر بيئته التي عاش فيها: الإمام أبو الحسن الأشعري، فقد نشأ بالبصرة، وهي موئل الفكر الاعتزالي، كما نشأ في حجر أبي علي الجبائي، زوج أمه، وكان من شيوخ المعتزلة وزعمائهم في عصره، وقد أقام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماماً (٢).

ت- الإمام أبو محمد عبدالله بن يوسف الجويني رحمه الله والد إمام الحرمين

ت ٤٣٨هـ (٣):

وقد كان إماماً في أكثر من فن، وألف في كثير من العلوم، والذي يهمنا هنا

(١) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى أبو الحسن الأشعري، المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المتدعة، وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها، وكان يجلس أيام الجمع في حلقة أبي إسحاق الروزي الفقيه من جامع المنصور، وقال بعض البصريين: ولد أبو الحسن الأشعري في سنة ستين ومائتين ومات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وذكر لي أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي أن الأشعري مات ببغداد بعد سنة عشرين، وقبل سنة ثلاثين وثلاثمائة ودفن في مشرعة الروايا في تربة إلى جانبها مسجد بالقرب منها حمام وهي عن يسار المار من السوق إلى دجلة، وذكر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أن أبا الحسن الأشعري مات في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال وله خمس وخمسون تصنيفاً. انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/٣٤٦، دار الكتب العلمية بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ

(٢) تبين كذب المفتري بما نسب إلي الإمام أبي الحسن الأشعري، الإمام الحافظ ابن عساكر ص ٣٩، مطبعة التوفيق، دمشق، سنة ١٣٤٧هـ.

(٣) هو الإمام عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، أبو محمد: من علماء التفسير واللغة والفقه، من كتبه التفسير، والتبصرة، وله رسالة إثبات الاستواء، قال شيخ الإسلام الصابوني: لو كان الجويني في بني إسرائيل لنقلت لنا أوصافه افتخروا به. وهو والد إمام الحرمين الجويني. انظر: الأعلام للزركلي ٤/١٤٦-١٤٧، دار العلم للملايين، ط/٥: ١٩٨٠م.

رسالته اللطيفة التي وضعها بعد رجوعه إلى مذهب السلف في جملة من مسائل العقيدة، وهي تحت عنوان (رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وتزيه البارئ عن الحصر والتمثيل والكيفية).

قال رحمته الله عن نفسه وتحيه في بداياته عندما كان على رأي المتكلمين في مسائل الأسماء والصفات وغيرها: (كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل: مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك الحرف والصوت، ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤول التزول بتزول الأمر، ويؤول اليمين بالقدرتين أو النعمتين، ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معني قائم بالذات بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعني القائم.

من ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صدري منزلة، مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين لأبي على مذهب الإمام الشافعي رحمته الله عرفت فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلاء يذهبون إلى مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم، ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر، وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ

من قلبه في قلبه وتغيره(١).

حتى قال: (فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتى لطف الله).

ولطف الله به بأن هداه لمعتقد السلف قائلًا في محتتم رسالته: (أن الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلا حصر ولا كيفية... ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته فإنه يبقى ضائعًا لا يعرف وجهة معبوده)(٢).

وبعد اشتغال ابنه أبي المعالي إمام الحرمين الشريفين بعلم الكلام الزمن المديد عاد إلى ينبوع الصافي في استمداد العقيدة: الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وقد سجل له الإمام الذهبي ذلك فنقل لنا أن الجويني قال: (يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلسو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به).

وقال أبو الفتح الطبري رحمته الله: (دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: اشهدوا على أبي قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور)(٣).

ولقد عاد إمام الحرمين رحمته الله إلى مذهب السلف في الصفات وأقره في آخر حياته كما ذكر عنه الإمام الذهبي نقلًا عن كتابه الرسالة النظامية(٤).

فإمام الحرمين عبد الملك رحمته الله قد سلك مسلك والده الإمام أبي محمد الجويني في إعلانه أن فهم السلف هو الحق وحده فيما يعتقد العبد نحو ربه سبحانه، وما سواه

(١) رسالة في إثبات الاستواء والفقوية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وتزيه البارئ عن الحصر والتمثيل والكيفية للإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: د. أحمد معاذ بن علوان حقي ص ٣٠، ٣١، دار طويق، الرياض ط/١: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) المرجع السابق ص ٦٤-٨٠.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤٧٤/١٨.

(٤) المرجع السابق ص ٤٧٢-٤٧٣.

باطل لا محالة لأنه إما تشبيه أو تعطيل أو توقف، وهو يشبه أباه في هذا الموقف بالجملة (ومن يشبه أبه فما ظلم) (١).

ث - الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله ت ٧٥١هـ (٢).

من الأمور التي نص عليها الإمام ابن القيم صراحة بنفسه، أنه كان في بداية أمره قبل أن يلتقي بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله ضائعاً، وأنه كان واقفاً في شرك المنطق والتصوف، حتى أتاه الله تعالى له هذا الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية، فتروى من علمه، وتوّر بفقهه، وتحرر من التقليد الأعمى، وعرف مذهب السلف الصالح (٣).
يقول عن ذلك رحمته الله:

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتزیه، د. محمد أمان بن علي

الجامي ص ١٦٤ - ١٦٥، مكتبة الفرقان، ط/٣: ١٤٢٣هـ - /٢٠٠٢م.

(٢) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم

الجوزية الحنبلي، ولد سنة ٦٩١ وسمع على التقى سليمان وأبي بكر بن عبد الدائم والمطعم

وابن الشيرازي وإسماعيل بن مكتوم والطبقة، وقرأ العربية على ابن أبي الفتح والمجد التونسي،

وقرأ الفقه على المجد الحارثي وابن تيمية، ودرس بالصدرية وأم بالجوزية، وكان لأبيه في

الفرائض يد فأخذها عنه وقرأ في الأصول على الصفي الهندي وابن تيمية، كان جرى الجنان

واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج

عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وكان له

حظ عند الأمراء المصريين واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهدى وطيف به على حمل

مضروباً بالدرّة فلما مات أفرج عنه، وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، وكان

ينال من علماء عصره وينالون منه. توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة

الثامنة لابن حجر العسقلاني ١٣٧/٥، دائرة المعارف العثمانية، الهند: ١٣٩٢هـ - /١٩٧٢م.

(٣) التعليق المختصر على القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن

قيم الجوزية، ص ١٩ - ٢٠.

يَأْقَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةً
 حَرَبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي
 حَتَّى أَتَّاحَ لِي الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ
 حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَبَا أَهْلًا بِمَنْ
 أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَرْمُ
 مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانٍ
 تِلْكَ الشُّبَّابُ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانَ
 مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَسْدِي وَلِسَانِي
 فَاللَّهُ يَجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوِي
 حَتَّى أَرَانِي مَطْلِعَ الْإِيمَانِ (١)

فأخذت يدا شيخ الإسلام يد الإمام ابن القيم، فأمسكه ولم يتركه حتى أراه مطلع الإيمان، يعني أوردته الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح، فتروى منهما، وشرب منهما، وترك ما كان عليه من قبل من علوم هؤلاء، فهذا إنقاذ له وتيسير من الله تعالى (٢).

لأن الوقت الذي ظهر فيه ﷺ كانت فيه فرق المعطلة لهم شأن عظيم، حيث كانوا قد استولوا (علي البلاد وعلي القضاء وعلي التدريس) (٣).

(١) متن القصيدة النونية، الإمام ابن قيم الجوزية، ص ١٤٣، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط/٢: ١٤١٧هـ.

(٢) التعليق المختصر علي القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن قيم الجوزية، ص ٥٧٥.

(٣) التعليق المختصر علي القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن قيم الجوزية، ص ٥٧٥.

ج- الشيخ علي الطنطاوي رحمته الله ت ١٤٢٠هـ (١).

ذكر الشيخ علي الطنطاوي رحمته الله نماذج من المبرزين الذين تحولوا فكريا من النقيض إلى النقيض، حيث ترك تحولهم الإيجابي أثرا في نفوس الناس.

حيث قال رحمته الله: (ومن أعجب العجب أن والد الشيخ بهجت (٢) صوفي من غلاة الصوفية، القائلين بوحدة الوجود على مذهب ابن عربي وابن سبعين والحلاج، كما أن الشيخ خالد النقشبندي، المفسر الصوفي كان جده المدفون في سفح قاسيون هو الذي حمل الطريقة النقشبندية إلى دمشق، ومن تبع أمثال هذه الظاهرة في تاريخ علمائنا وأدبائنا وجد منها الكثير، ولعل من أغربها أن صاحب (الأغاني) أبا الفرج الأصبهاني، أموي النسب، شيعي المذهب، ومن أبنائي الأستاذ محمد سعيد المولوي، وهو سلفي العقيدة، وعمه شيخ المولوية وأبوه من مقدميها) (٣).

بل قال أ. علي الطنطاوي عن نفسه وتأثره بالشيخ بهجت رحمهما الله رحمة

(١) الشيخ علي الطنطاوي اسمه علي مصطفى محمد الطنطاوي، من مواليد مدينة دمشق سنة ١٩٠٩م من أسرة ذات دين وعلم، فأبوه الشيخ مصطفى من أهل العلم وجده كذلك وخاله الأستاذ محب الدين الخطيب، الكاتب الإسلامي المعروف، والشيخ من خريجي كلية الحقوق في دمشق، وصار قاضيا شرعيا فيها، ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٣م، وعمل مدرسا في كليتي اللغة العربية والشريعة في الرياض ومكة، وقدم العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وحقق العديد من كتب التراث، وله العديد من المؤلفات، توفي بجدة عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠م. انظر: انظر: علماء وأعلام كتبوا في مجلة الوعي الإسلامي ٢٨٧/١، الإصدار الرابع عشر ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م ط ١/ سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت.

(٢) يقصد الشيخ محمد بهجت البيطار علامة الشام المتوفي سنة ١٩٧٦م.

(٣) رجال من التاريخ، الشيخ علي الطنطاوي ١٧٥/٢، دار البشير للثقافة، جدة، ط ١/

١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

واسعة- : (لقد وجدتُ أن الذي أسمع منه يصدّم كل ما نشأت عليه، فقد كنت في العقائد على ما قرره الأشاعرة والماتريدية، وهو شيء يعتمد في تثبيت التوحيد من قريب أو بعيد على الفلسفة اليونانية، وهي فلسفة بدائية، وكنت موقناً بما ألقوه علينا، وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، وطريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجت يقول لي: (بأن ما عليه السلف هو الأسلم، وهو الأحكم)، وكنت قد نشأت على النفرة من شيخ الإسلام ابن تيمية والمهرب منه؛ بل وبغضه، فجاء يعظمه لي، ويحببه إليّ، وكنت حنفياً متعصباً للمذهب الحنفي، وهو يريد أن أجاوز حدود التعصب المذهبي، وأن أعتمد على الدليل، لا على ما قيل، وتأثرت به، وذهبت مع الأيام مذهبه مقتنعاً به، ولكن لم يكن هذا التحول هيناً ولا سهلاً، وما كنت قط سهل القيادة، ولا سريع الانقياد، بل ناضلت دون ما كنت أعتقده، وأمضيت عشرات من الجلسات والسهرات في المجادلات والمناظرات)(١).

وفي خلاصة موجزة يوضح لنا كيف كان تحوله من النقيض إلى النقيض، ومن قناعته بفكر معين إلى ثباته على الحق فيقول: (ولقد عرضت في الجزء الأول من كتابي عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى ما مر على من أدوار: كيف نشأت مقلداً مؤولاً كارهاً لشيخ الإسلام ابن تيمية، ثم أثار في الشيخ بهجت فغدوت سلفي العقيدة، متمسكاً بالدليل، ثم صحبت الشيخ زاهدا الكوثري حيناً فرجعت إلى ما كنت عليه، ثم أقمت عند خالي الأستاذ محب الدين في مصر، واقتربت من السيد رشيد رضا، فعاد أثار الشيخ بهجت في نفسي قويا، ثم ثبت على ما أنا عليه)(٢).

(١) رجال من التاريخ، الشيخ علي الطنطاوي ١٧١/٢-١٧٢.

(٢) المرجع السابق ١٧٢/٢.

ح- د. عبد الرحمن الوكيل رحمته الله، وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

بالقاهرة ت ١٩٧١م (١):

نشأ د. عبد الرحمن الوكيل رحمته الله في بيئة صوفية منحرفة، يتنفس آراءهم ويوقن بما هم عليه من ضلالات وشركيات، واستغاثه بالأضرحة والموتى، وقد فصل القول عن ذلك في مقدمة كتابه (هذه هي الصوفية)، وكان مما قاله: (ما زلت أذكر، وأنا طالب في معهد طنطا الديني، ذلك الشيخ الشبية يقسم لنا- وعيناه مخصلتان بالدموع- أن في ضريح عبد العال الجاور لضريح البدوي شعرة من رأس الرسول!، وأنها معين خير، وفيض بركة ويمن، ومطاف آمال، ومهوي رجاء!! وأذكر أنني حين سمعت حديثه، يؤكد بقسم غليظ، شعرت بقلبي، وكأنما يود أن ينشق عنه الصدر؛ ليهفو في صبابته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها، ويكنها في مهجته، بل شعرت كأنما حملت الملائكة إلى بشري الخلود!!).

وقال: (وما زلت أذكر أيضاً أنني سألت الشيخ؛ ليطمئن قلبي.. عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبي الأعظم؟ فأجاب- تولاه الله بما قدّم- : لقد وضعناها في زجاجة، وأقمنا حولها ذكر وإنشاد، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين.. وأذكر أنني آمنت بهذه الأسطورة كأنما هي من الله برهان ساطع!!
وأذكر- ويارب غفرانك- أن خرافة الشيخ هذه غمرتني بنشوة سكري

(١) تلقى تعليمه في الأزهر وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين ولم يكمل دراسته العليا لمرض ألم به، رغم ما يتمتع به من سعة الاطلاع وقوة اللغة ووضوح المعنى وجمال البلاغة، في عام ١٩٣٦م التحق بجماعة أنصار السنة المحمدية بتزكية خاصة من السيدة نعمة صدقي صاحبة كتاب: التبرج، حيث شارك بعدها في أعمال الجماعة المختلفة، إلى أن أصبح

وكيلاً أولاً للجماعة انظر: : موقع. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

خلت فيها أني أري الجنة، أو أني صحابي يتلو عليه الرسول وحي الله!!(١).
وقد منَّ الله عليه بالهداية، وأصبح سيفاً مسلطاً على الصوفية، يكشف عوارهم ويهتك سترهم عن قرب ومعرفة، باذلاً لهم النصيحة، مخلصاً لله فيها، بل قال: (لن أضع القلم - وحسي الله إلا إذا أصميت الصوفية، وأدميت، أو إلا إذا هدمت أنسا، أو قضيت! فلن تخشي صولة الحق، سورة الباطل)(٢).

خ- الشيخ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي رحمته الله ت
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م (٣).

وهو من أوائل من أدخل العقيدة السلفية إلى المغرب، وقام بالدعوة إلى الله في كثير من البلاد، وكان عالماً فاضلاً، ودرّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان أول حياته تجانياً، ثم خلصه الله منها، ورد على أهلها، وكشف عوارها، ولقد توفي

(١) هذه هي الصوفية، د. عبد الرحمن الوكيل ص ٤-٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٤: ١٩٨٤م.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٣) ولد المحدث اللغوي والأديب الشاعر الدكتور محمد تقي الدين الهلالي سنة ١٣١١هـ بقرية الفرخ من بوادي مدينة سجلماسة في المملكة المغربية، وكان والده وجده من فقهاء المغرب، ذهب الشيخ إلى الهند لتلقي علم الحديث والتقى هناك بالعلامة المباركفوري وأجازه، وسافر إلى مصر والتقى بالشيخ محمد رشيد رضا حيث أعطاه توصية للملك عبد العزيز الذي أكرم ضيافته وعينه مراقباً للتدريس في المسجد النبوي ثم انتقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي بمكة، ثم سافر إلى برلين ليحصل منها على الدكتوراه ثم عين مدرساً بجامعة الملك محمد الخامس بالرباط سنة ١٩٦٨م ثم أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منتدباً بها من المغرب حتى سنة ١٩٧٤م ثم عاد إلى المغرب متفرغاً للدعوة وله العديد من المؤلفات الجياد توفي سنة ١٩٨٧ في الدار البيضاء. انظر: علماء وأعلام كتبوا في مجلة الوعي الإسلامي ٦٣/٢-٦٤.

الشيخ العلامة في الدار البيضاء في المغرب سنة ١٤٠٧هـ (١).

فسبحان من هداه إلى عقيدة السلف، ليصبح بعد ذلك من دعاة الأوائل في المغرب، وسافر كثيرا في البلاد لينشر معتقد السلف، باذلا في سبيل ذلك الغالي والنفيس من الأوقات والمال.

د- الأستاذ عبد المنعم الجداوي صاحب كتاب (كنت قبوريا) (٢):

كان أ. عبد المنعم الجداوي، المحرر بدار الهلال، من كبار الصوفية، الذين يصفون على مشايخهم الأموات ألوانا من الكرامات والخزعبلات، سواء صحت نسبتها إليهم أم لم تصح.

قال عن نفسه: (كنت من كبار معلمي القبور، فلا أكاد أزور مدينة بها أي قبر أو ضريح لشيخ عظيم إلا وأهرع للطواف به، سواء أكنت أعرف كراماته أو لا أعرفها، أحيانا اخترع لهم كرامات، أو أتصورها أو أتخيلها). (٣)

لكن بسبب مقابله بـ د. محمد جميل غازي، تغيرت وجهته، من قبوري قح إلى عقيدة السلف الصالح عليه السلام م- وحقى قصته كاملة في كتابه (كنت قبوريا).

-
- (١) تحفة الإخوان بترجم بعض الأعيان، الشيخ عبد العزيز بن باز ص ٦٩-٧٠، ترتيب: عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار أصالة، الرياض ط/١: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- (٢) هو: أ. عبد المنعم محمد عيسى الجداوي، محرر وصحافي مصري وعضو باتحاد كتاب: العرب، و لوه قصائد نشرت في مجلة منير الإسلام توفى بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.
- (٣) كنت قبوريا، أ. عبد المنعم الجداوي ص ٥، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ط/٤: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

د- د. محمد جميل زينو رحمته الله - أستاذ الحديث في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة ت ٢٠١٠م (١).

من يقرأ كتاب (كيف اهتديت)، د. محمد جميل زينو، يتبين له كيف كانت

(١) ولندع الشيخ، رحمه الله يحدثنا عن نشأته فيقول: ولدت في مدينة حلب في سوريا عام ١٩٢٥م حسب الجواز، الموافق ١٣٤٤هـ، وعمري الآن ثلاث وسبعون سنة، ولما بلغت من العمر عشر سنين تقريباً دخلت في مدرسة خاصة وتعلمت القراءة والكتابة. انتسبت إلى مدرسة (دار الحفاظ) وبقيت فيها خمس سنوات حفظت خلالها القرآن غيباً نع التحويس، دخلت مدرسة في حلب كانت تسمى (الكلية الشرعية التجهيزية) وهي الآن الثانوية الشرعية، وهي تابعة للأوقاف الإسلامية، وكانت المدرسة تدرس العلوم الشرعية والعصرية: فقد درست فيها التفسير، والفقه الحنفي، والنحو، والصرف، والتاريخ والحديث وعلومه، وغيرها من العلوم الشرعية، وقد حصلت على شهادة المدرسة عام ١٩٤٨م، ونلت الشهادة الثانوية العامة، ونجحت في مسابقة بعثة الأزهر، لكنني لم أذهب لأسباب صحية، ودخلت دار المعلمين في حلب، وعملت مدرساً لمدة ٢٩ سنة تقريباً، ثم تركت التدريس، بعد استقالي من التدريس جئت بعمره إلى مكة عام ١٣٩٩هـ، وتعرفت على الشيخ عبد العزيز بن باز، وعرف أن عقيدتي سلفية، فاعتمدني مدرساً في الحرم المكي وقت الحج، ولما انتهى موسم الحج أرسلني إلى الأردن للدعوة إلى الله، فذهبت، ومكثت في مدينة " الرمثا " في جامع = صلاح الدين، فكنت إماماً وخطيباً ومدرساً للقرآن، وكنت أزور المدارس الإعدادية وأوجه الطلاب إلى عقيدة التوحيد، فكانوا يتقبلونها بقبول حسن، وفي شهر رمضان من عام ١٤٠٠هـ جئت بعمره إلى مكة، وبقيت إلى بعد الحج وتعرفت على طالب من طلاب دار الحديث الخيرية بمكة، وطلب مني أن أكون مدرساً عندهم لأنهم في حاجة إلى مدرسين، ولا سيما في مصطلح علم الحديث، فاتصلت بمديرتها فأبدى استعدادده، وطلب مني تعميماً من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فكتب إلى المدير يطلب منه أن أكون مدرساً عندهم، فدخلت المدرسة، ودرست الطلاب التفسير، والتوحيد، والقرآن الكريم وغيرها من الدروس، ومن فضل الله بدأت بإصدار رسائل صغيرة، مختصرة، وبسيطة، فكان لها قبول في جميع بلاد العالم، وقد ترجم بعضها إلى الإنجليزية، والفرنسية، والبنغالية، والإندونيسية، والتركية، والأوردية، وغيرها من اللغات، وسميتها : (سلسلة التوجيهات الإسلامية) وصلت إلى أكثر من عشرين رسالة طبع منها مئات الآلاف، وأكثرها مجانية، يجدها القارئ على ظهر غلاف الرسالة بأسمائها وأرقامها. انظر: الموسوعة الشاملة، شاشة المؤلفين.

جسامة التحولات الفكرية للشيخ، وأنه تنقل من عاصفة كادت تهلكه إلى أخرى، بدأها بقوله (كنت نقشبنديا) (١)، ثم كيف انتقل إلى الطريقة الشاذلية (٢)، ثم انتقاده للتصوف وفرقه وطرقه، وهو انتقاد صادر من غواص في بحر الصوفية الهاوي حتى قال: (ولقد عشت بينها سنين طويلة، وحضرت مجالسها على اختلاف طرقها) (٣)، ثم ذكر تأثيره بجماعة التبليغ والدعوة، بل وخروجه معهم في مختلف البلدان (٤)، حتى كان المطاف به ﷺ إلى عقيدة السلف بل قال موصيا: (وإني أنصح إخواني المسلمين أن يلتزموا بالدعوة السلفية، لأنها هي الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة) (٥).

ر- الشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمساني ﷺ (٦) وتحوله إلى عقيدة السلف:

بعد نقاشات دامت ثلاثة أيام في توحيد العبادة بين الشيخ عبد القادر- وكان من تجار جدة وأثريائها- والشيخ أحمد بن عيسي ﷺ (٧).

يقول الشيخ عبد القادر: (شرح الله صدرى للعقيدة السلفية، وأما توحيد الأسماء

(١) كيف اهتديت إلي التوحيد والصرراط المستقيم، د. محمد بن جميل زينو ص ١٢، دار الفتح، الشارقة ط/١: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) المرجع السابق ص ١٧.

(٣) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة، د. محمد بن جميل زينو ص ٣، دار المحمدي، جدة ط/٤: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤) كيف اهتديت ص ٥٢.

(٥) المرجع السابق ص ٧٩.

(٦) لم يتم العثور له على ترجمة إلا بالقدر المذكور في البحث.

(٧) من مؤلفاته شرح علي التونية لابن القيم، طبع في جزأين، انظر: ترجمة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ في كتاب: علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام ٤٣٦/١ برقم ٥١، دار العاصمة، الرياض ط/٢: ١٤١٩هـ.

والصفات فلقد دام النقاش خمسة عشر يوماً، بعدها اعتنقت مذهب السلف، وصرت
أخذ التوحيد من منابعه الأصيلة الكتاب والسنة وأتباعهما من كتب السلف، فعلمت
أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم بفضل الله ثم بحكمة وعلم الشيخ أحمد بن
عيسى^(١).

وعن الشيخ عبد القادر أخذ الشيخ محمد حسين نصيف وجيه جدة^(٢) حيث
قال: فهداني الله إلى عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبد القادر التلمساني^(٣) ونفع الله
بهما في نشر عقيدة السلف بمحكمة وغيرها.

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/٤٣٩.

(٢) ولد سنة ١٣٠٢هـ، ومات أبوه وهو طفل فكفله جده لوالده الأفندي عمر نصيف، وكان
ثاني اثنين هما أكبر أعيان جدة في ذلك الزمان، كان من العلماء الأجلاء، وصرف حياته
المديدة الطويلة في جمع مكتبة تعد أئمن مكتبة خاصة في مدينة جدة، وقد آلت ملكيتها إلي
الدولة، ويعد من مفاخر الأمم، رحمه الله ومن أعلام الدعوة السلفية في عصره، قد توفي سنة
١٣٩١م. انظر: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، محمد علي مغربي ١/٢٠٩،
الكتاب العربي السعودي رقم ٣٠، تامة، جدة، السعودية.

(٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/٤٤٠.

المطلب الثالث: الخلل في منهج التلقي:

المقصود بمنهج التلقي العام - كما عرفه أ. د. ناصر العقل حفظه الله: (الطريقة التي يستمد من خلالها الدين عموماً، والعقيدة على وجه الخصوص، من حيث المصادر والأسلوب، ومنه: الطريقة التي يتم بها تلقي العلم)^(١).

أما منهج التلقي الخاطئ فيمكن تعريفه بأنه الطريقة الخاطئة التي يستخدمها أهل الأهواء في فهم الدين والعقيدة، من حيث المصادر والأسلوب.

ونري الخلل في منهج التلقي سبباً واضحاً من أسباب التحول الفكري لأن له مظاهر متعددة وجُلُّها إن لم يكن جميعها ذات تأثير بالغ في شخصية الإنسان.

- فمن يعزل القرآن والسنة عن أهم المصدر الرئيس في تلقي أمور دينه، ويتدع له أصولاً ومناهج يستمد منها معتقده.

- ومن يتخذ العقل له دليلاً في كل شيء، مستغنياً به عن الشرع، فيحسن ما حسنه، ويقبح ما قبحه.

- ومن يأخذ العلم عن غير شيوخه، ويسير خلف الرويضة.

- ومن يعزل عن علماء الأمة المهتمين، ويزدري العلماء الربانيين ولا يعرف لعالم حقه وقدره.

- ومن يتخذ له شيخاً يتعصب لرأيه فقط، ويوالي من أجله ويعادي من أجله.

إن جميع هذه الأصناف وأشباهاها تقع لا محالة في وعاء وجود خلل في مصدر التلقي الأصيل للدين الإسلامي، وتؤثر سلباً بانحراف المسلم عن المنهج السوي.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (اتخاذ أقوال رجل بعينه بمتزلة نصوص الشارع

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٢٩٧، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيلية، الرياض ط/١: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

لا يلتفت إلى قول من سواه بل ولا إلى نصوص الشارع إلا إذا وافقت نصوص قوله، فهذا والله هو الذي أجمعت الأمة على أنه محرم في دين الله ولم يظهر في الأمة إلا بعد انقراض القرون الفاضلة(١).

والخلل في التلقي يورث الخلل في التطبيق، فهي نظرية نسبية، على قدر التوفيق في استمداد المنهج وصحة ينابيعه وروافده وسلامتها، يكون التطبيق محمودا، وعلي قدر الخلل ووجود الزواجر والجرائيم في بيئة التلقي، يكون التطبيق مذموما، والانحراف كبيرا، ودائرة الضلالة أشد.

ويظهر الخلل في مصدر التلقي:

- لدي فرقة الخوارج مثلا (بأنهم أخذوا بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد، ففهموها على غير مرادها، وراحوا يكفرون المسلمين، ويستبيحون دماءهم وأموالهم، بغير حجة ولا برهان)(٢).

هذا بينما منهج أهل السنة هو جمع النصوص الواردة في المسألة، وعدم رد بعضها ببعض، أو الأخذ ببعضها وترك البعض، لئلا نكون مثل أمة اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (٣).

- ويظهر ذلك عند الروافض بصورة واقعية فيما حكاها البعض ممن كانوا يعتنقون الفكر الشيعي، ثم هداهم الله إلى السنة، بعد اكتشافهم الخلل في التلقي.

(قال أحدهم: من أسباب تركي للتشيع سب الصحابة حيث أن الله وصفهم بأنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ونحن نصفهم أنهم أبناء زنا ومختنون، وقال ثان:

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ٢٣٦/٢، دار الخليل، بيروت: ١٩٧٣م.

(٢) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والملتدعة، أحمد بن عبد الرحمن الصويان ص ٧٢، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، بدون رقم طبعة وتاريخ.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

كنا نعتقد أن الصحابة قد ارتدوا ولم يبق على الإسلام إلا سبعة منهم ولا نذكر الصحابة إلا ولنلعنهم ونتبرأ منهم ولا نعرف فضائلهم أو تضحياتهم(١).
وقال آخر: (استغربت واندعشت من ثناء صاحبي السني على أهل البيت لأننا نعتقد أن أهل السنة يكرهون أهل البيت ويغضونهم)(٢).

الإمام الرقعي ورفقاؤه الذين ثاروا على مذهب التشيع نتيجة الخلل في منهج

التلقي:

نشأ الرقعي في بيت شيعي إمامي، واجتهد في تعلم مذهب الإمامية حتى أثني عليه بعض أبرز علماء المذهب بأنه (ذو قوة قدسية في رد الفروع الفقهية إلى أصولها)(٣)، ولذا نال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري من عدة مراجع في المذهب الإمامي. وقد ذكر تأثره بمصطفى طبطباي، وهو رجل تخرج من حوزات الشيعة في قم، وبلغ رتبة الاجتهاد عندهم، ثم ما لبث أن ترك التشيع ورماه رمي النواة العفنة(٤). وهناك الأستاذ موسي الموسوي الذي أعلن عن عزمه على تصحيح مذهب الشيعة وكتب كتابا في هذا الاتجاه منها (الشيعة والتصحيح)، و (يا شيعة العالم

(١) موقع مهتدون، لماذا تركنا التشيع، تاريخ الولوج ١٤٣٨/٤/٢هـ.

www.wylsh.com/content/talk.php

(٢) المرجع السابق.

(٣) أعلام التصحيح والاعتدال، أ. خالد بن محمد البديو ص ٦٩، مكتبة الملك فهد الوطنية ط/١:

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٤) كسر الصنم أو ما ورد في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن الكريم والعقل "نقض

كتاب: أصول الكافي للكلي" ، آية الله العظمي السيد أبو الفضل ابن الرضا الرقعي، ترجمة:

عبد الرحمن ملا زاده البلوشي ص ١٥ باختصار، دار البيارق، الأردن، عمان ط/١:

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

استيقظوا)، وكتاب (الثورة البائسة) وغيرها من الكتب (١).

فهؤلاء وأشباههم كثير ممن ذُكروا في كتاب (أعلام التصحيح والاعتدال) في صفوف الشيعة وغيرهم ممن لم يذكروا وإنما وجدوا خللا في الفكر الشيعي الضال الذي يُلبس على الناس الحقائق، فاستيقظوا بعد أن أدركوا أنهم في عماية عمياء.

وقد وضح لنا الإمام البرقي عندما قام بنقد كتاب الكافي للكليبي مصدر الخلل في فكر الشيعة، فكان مما قال: (لقد استقي معظم شعبنا- هنا في إيران- عقائده من كتاب الكافي وأمثاله، ثم إنك إذا أردت أن تبصرهم بالحق وتوجههم إلى العقائد الصحيحة أبوا عليك ذلك).

وقال أيضا: (إن علماء الشيعة مع قبولهم القرآن ونهج البلاغة وكتاب الكافي يعتبرون كل رواية نقلها أحد الرواة حجة؟ وأسوأ من كل هذا، هو أن هؤلاء العلماء غفلوا وقبلوا الخبر ونُقل بتوقيع الإمام القائم ويقولون إنه قال في توقيعه: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم) (٢).

فمن الأسباب الواضحة في ضلال الشيعة وانحراف أتباعها هو اعتمادهم على كتاب الكافي الذي ادعوا زورا وبهتاناً أنه كاف لهم !!! وقد أضلهم ضلالاً مبيناً. وهذا يدل على ابتداء الفرق الضالة جميعها مناهج في التلقي تخالف منهج أهل السنة والجماعة، ومن وفقه الله للحق منهم أدرك ذلك واضحا جليا، وضوح الشمس في كبد السماء، لا تواريها سحابة.

(١) كسر الصنم أو ما ورد في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن الكريم والعقل "نقض كتاب: أصول الكافي للكليبي"، آية الله العظمي السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقي، ترجمة:

عبد الرحمن ملا زاده البلوشي ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٠.

المطلب الرابع: وسائل الإعلام:

إن أعداء الإسلام يستخدمون وسائل وأساليب متعددة يستحوذون بها على قلوب الناشئة، منها الإعلام بأنواعه المسموع منه والمرئي والمقروء، وهناك فضائيات ومواقع ووسائل تواصل اجتماعي تبث سمومها بالليل والنهار.

فيجب التحذير وأخذ الحيطة من تلك الأبواق الإعلامية التي تشوه الحقائق، وتسروج الأباطيل وتزخرها للناس حتى تود أن تلبسها لباس الحقيقة.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

المبحث الثاني

آثار التحولات الفكرية على الدعوة الإسلامية

لكل فكر أثر ونتيجة أو سلوك يصدر عنه، وقد يكون الأثر سلبيا أو إيجابيا، وهذا المبحث مخصص لرصد وتتبع بعض الآثار والنتائج المترتبة على التحول الفكري.

وسوف يكون حديثنا عبر مطلبين اثنين تحت كل منهما عناصره - كما في الآتي:

المطلب الأول: آثار التحولات الإيجابية على الدعوة الإسلامية:

أولا: زيادة انتشار معتقد السلف في الأمصار الإسلامية:

كان لتحول بعض العلماء من المذاهب التي تؤول الصفات إلى مذهب السلف الذي يري تمريرها كما وردت، وتفويض كفييتها إلى الله/عز وجل، أثر كبير في ترسيخ معتقد السلف بين جمهور الناس، وقناعتهم به، والستأكد على أنه الحق الذي لا مرية فيه.

ذكر الإمام الذهبي رحمه الله عن الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله أنه كان (عجبا في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم) (١).

وقال الإمام الندوي رحمه الله: (... فوق الله الإمام أبا الحسن الأشعري، فصار يفحم المعتزلة، ويقنع الشباب المتأثرين بعض التأثير، أو كل التأثير بالفكر المعتزلي الفلسفي، فكان يجيبهم كما يجب معلم حاذق كبير أطفالا صغارا، وتلاميذ أحداثا) (٢).

وقام أبو الحسن الأشعري رحمه الله بتأليف مصنفات للدفاع عن معتقد السلف

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٨٦/١٥.

(٢) في رحاب الدعوة، الشيخ أبو الحسن الندوي ص ١٥٨، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، دار

رحمهم الله مثل كتابه الإبانة في أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين وغير ذلك. وقال عنه الإمام الذهبي رحمته الله مؤكدا عودته إلى مذهب السلف في الصفات: (رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت. ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول)^(١).

ولقد أرسى الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله دعائم العقيدة السلفية وقام بتبسيطها والرد على شبهات الفرق الضالة. والشيخ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي - كما ذكرنا آنفاً - هو من أوائل من أدخل العقيدة السلفية إلى المغرب.

وبعض المتحولين فكريا إلى مذهب السلف قام بطباعة الكتب التي تشري هذا المعتقد، فهذا هو الشيخ التلمساني الذي ذكرناه آنفاً بعد أن هداه الله إلى معتقد السلف أخذ يطبع كتب السلف فطبع منها النونية للإمام ابن القيم، والصارم المنكي للإمام ابن عبد الهادي، والاستعاذة من الشيطان الرحيم للإمام ابن مفلح، والمؤمل إلى الأمر الأول للإمام أبي شامة، وغاية الأمان في الرد على النبهاني للإمام الآلوسي، وصار التلمساني من دعاة عقيدة السلف^(٢).

وبعضهم تحول من الدعاء على علماء الدعوة السلفية ولعنهم إلى السدعاء لهم، وتعطير الأفواه والأجواء بذكر محاسنهم وفضلهم.

(كان يوجد في بعض مدن الهند عالم يدرس في المساجد وكان من عادته إذا انتهى من الدرس يدعو الله كثيرا وكان في دعائه أنه يدعو على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويلعنه.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٥/٨٦.

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/٤٤٠.

وكان ممن يحضر درسه طالب سعودي (١).

فكر الطالب السعودي كيف ينقذ هذا المدرس المسكين الذي ضلته الدعاية المضللة حتى وقع في هذه الورطة، فهداه تفكيره بإذن الله إلى الحيلة الآتية:
عمد إلى كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فترع عنه الغلاف والورقة الأولى التي تحمل اسم المؤلف ثم تقدم إلى المدرس الهندي فطلب منه أن يقرأ هذا الكتاب ثم يخبره عن مضمونه وما رأيه فيه.

فأخذ المدرس الكتاب فقرأه فأعجب به فسأله الطالب في غد عن الكتاب فأخذ المدرس يثني على الكتاب ثناء عظيماً، ويصفه بأنه من أحسن الكتب في بابه، فقال الطالب السعودي: إن مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن عبد الوهاب الذي تلعنه، فقدم له الغلاف والورقة المتروعة التي فيها اسم الشيخ، فاندھش المدرس فندم وأخذ يدعو للطالب، ثم غير موقفه من الشيخ بل غير أسلوب الدعاء فجعل يدعو للشيخ آخر كل درس بدلا من الدعاء عليه فنسأل الله تعالى أن يعفو عنه.

ولقد لقيت هذه الدعوة من أعدائها مشاكل ومخنا لم تلق مثلها أية دعوة في العصر الحديث في الغالب ولكنها نجحت نجاحاً لم يكتب غيرها من الدعوات في الغالب.
فجزى الله صاحبها ومن حملها من بعده خير ما جازي به المصلحين. كما نسأله تعالى أن يثبت ملوك آل سعود وأمراءهم الذين كانوا لهذه الدعوة خير عون والذين قاموا بنشرها والدفاع عنها ونشر كتبها ولا يزالون كذلك تقبل الله منهم عملهم (٢).
ولا أحد ينسى دور الجامعات السعودية في الوقت الحاضر في نشر عقيدة السلف، خصوصاً خريجي الجامعة الإسلامية، حيث تبوأ جامعات ومدارس ومراكز في الهند

(١) أغلب الظن أنه الشيخ عبد الله القرعاوي عندما كان يطلب العلم في الهند، والله أعلم.

(٢) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، أبو أحمد محمد أمان بن علي جسامي علي ص

وباكستان، واندونيسيا والسنغال ونيجيريا، وغير ذلك، وكثير ممن درسوا في الجامعات السعودية خاصة الجامعة الإسلامية، حينما قدموا كانوا متأثرين بما هو سائد في بلادهم وبيئاتهم، وبعد دراستهم تحولوا إلى المذهب الحق، وكان لهم جهود كبيرة في مجتمعاتهم لربط الناس بعقيدة السلف رحمهم الله.

ثانيا: تعزيز نقد التشيع على نطاق واسع:

كثيرون ممن هداهم الله تعالى إلى أهل السنة قاموا بتصنيفات جيا، قاموا من خلالها بكشف عوار التشيع ونقده وتعريته بالنصوص الدينية، والدلائل التاريخية، والبراهين العقلية.

فقد بين الإمام أحمد الكسروي رحمته الله مثلا أن أول شيء اتسخ به التشيع هو طعنهم في الصحابة رضي الله عنهم قال عن الشيعة: (اجترأت على إساءة ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)، فكان هذا أول ما توسخ به التشيع (١)، ووضح فساد الزيارة عندهم فقال: (ويعتقد الشيعة في الزيارة ما يعتقدون في البكاء على الحسين، أي يحسبونها موجبة لغفران الذنوب، ودخول الجنة، ويزعمون أن الملائكة يستقبلون الزوار، ويسيطون أجنحتهم تحت أقدامهم).

فهذا من أشد الضلالات وأضرها، لأنه يصرف الناس عن التوجه إلى الله تعالى (٢).

أما عن دعوي إمامهم الغائب فوضح أنها من الخرافات التي لا يقرها دين ولا عقل ولا تاريخ:

(١) التشيع والشيعة، أحمد الكسروي ص ٣٥، راجعه وضححه وعلق عليه: د. ناصر بن عبد الله

القفاري، د. سلمان بن فهد العودة، ط/١: ١٤٠٩هـ/—/١٩٨٨م.

(٢) المرجع السابق ص ١١٤.

وقد أثني الكسروي على دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب، وأنها أثرت في طوائف المسلمين كلهم غير الروافض (١).

وقال: (يحتاج إلى كلام طويل لنوضح ضلال هذه الطائفة عن الدين، وتوغلهم في الكفر) (٢).

أما الإمام البرقي فقد كسر القيود كلها في مجال النقد للفكر الشيعي الضال، حتى وصل إلى الجبل الأشم والصخرة الصلبة عند الشيعة وهو كتاب الكافي للكليني، فقام بنقد لاذع لهذا الكتاب الأم في عقيدتهم.

كما ناقش البرقي بعضاً من الإشكالات في مذهب الشيعة فقال مخاطباً علماءهم ومراجعهم الدينية: (لماذا لم يبين الله تعالى صراحة لرسوله ﷺ وللرعيل الأول من المسلمين في صدر الإسلام أن أصول الدين التي تزعمونها أتم؟ لماذا لم يقل إن أصول الدين خمسة (٣)؟ تري هل ترك ذلك لعلماء إيران؟ كي يأتوا بعد ألف سنة ويفكروا ويفرضوا برأيهم وعقلهم وفكرهم أصولاً للدين والمذهب؟!

أو لماذا لم يقل إن العدل من أصول الدين أو المذهب، حتى يجعل الإمامية العدل أصلاً من الأصول؟

تري لماذا جعل صانعو المذهب الإمام أصلاً للدين وعدم الإيمان بالإمام كفراً؟ مع أن الأئمة اعتبروا أنفسهم من أتباع الدين وكانوا كذلك، ولم يكونوا أصل الدين وفروعه، فهل كان علي ﷺ الذي صلى وصام أصلاً من أصول الدين أم كان تابعا من أتباعه؟

لماذا صنع الذين يدعون محبة علي وطاعته لأنفسهم مذهبا؟ ! وهل ادعى علي

(١) التشيع والشيعة ص ١١.

(٢) المرجع السابق ص ١٢.

(٣) أصول الدين عند الشيعة الجعفرية الاثني عشرية خمسة: "التوحيد، النبوة، العدل، المعاد، الإمامة".

لنفسه أنه يأتي بمذهب؟ هل كان هو نفسه جعفرياً أو زيدياً أو صوفياً أو شيخياً؟ هل ادعى الإمام جعفر الصادق بأنه قد جاء بمذهب اسمه الجعفرية أم أن تجار الدين وضعوا مذهباً باسمه تقليداً لسائر المذاهب؟

ليس دين الله ديناً واحداً ومسلكاً واحداً وطريقاً واحداً أم هو مئات المسالك والمذاهب؟^(١)

ومما لا مراء فيه أن الدعوة الإسلامية قد أفادت من هذا النقد النافذ إفادة كبيرة، ولا أدل على ذلك من أعداد الشيعة الذين تحولوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

(أكد الداعية الإسلامي الكويتي الشيخ عثمان محمد الخميس أن أعداداً كبيرة من الشيعة الاثني عشرية بدأوا في التحول من المذهب الشيعي إلى أهل السنة والجماعة، وقال الخميس: إن هذا الكلام من واقع إحصاءات مثبتة لدينا بالتعاون مع دعاة وطلبة علم في السعودية والبحرين ودول الخليج.

وأضاف الخميس: إن عدد من تحولوا من الشيعة إلى السنة في الكويت بلغ ٤٠٠ شخص، وفي السعودية ٤٠٠٠ شخص، وفي البحرين ٧٠٠ شخص، وفي الأهواز عرب إيران تحول مائة ألف شيعي إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وفي داخل إيران بل في طهران وقم تحول العشرات من الشيعة إلى السنة، وهناك المئات من العراقيين الذين تحولوا ولكن لم يكشفوا عن أنفسهم خوفاً من ميلشيات القتل والإرهاب.

أما الذين تحولوا للسنة ولم يكشفوا عن أنفسهم فقال الشيخ الخميس: إن عددهم تجاوز الثلاثة آلاف شخص في السعودية وأربعمائة شخص في الكويت وألف ومائتين شخص في البحرين، والآلاف في منطقة الأهواز.

(١) كسر الصنم ص ٢٧ - ٢٨ باختصار.

هذه الأرقام أعلنها الشيخ "الخميس" في محاضرته التي ألقاها في "أحدية" محمد الجبر الرشيد في الرياض والتي كانت بعنوان "لماذا الطائفية؟" والتي ركز فيها على ضرورة دعوة الشيعة لمذهب أهل السنة والجماعة (١).

ثالثاً: تعزيز نقد الفكر الصوفي المنحرف على نطاق واسع:

عندما تحول بعض الدعاة من التصوف الذي كان عليه إلى مذهب أهل السنة، أفساد الدعوة الإسلامية بما إفادة في هذا الجانب، فليس الخبر كالمعاينة، وليس من راء كمن سمعا.

إن مخالطة هؤلاء المتحولين لمشايخ الصوفية سنين طويلة أورثتهم خبيرة كافية عن المذهب تغنيهم عن قراءة آلاف الكتب عن التصوف وحقيقته، وإذا انتقدوا فهم المقدّمون على من سواهم، وإن تحدثوا فهم أهل المعرفة لا غير.

فلقد انتقد الإمام ابن القيم رحمه الله كثيراً من كلام الصوفية الذي لا يتوافق مع منهج الوحي في كتابه الماتع (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، وتحدث الشيخ محمد جميل زينو عن التصوف في كتابه (معلومات مهمة عن الدين)، والذي أفرده في رسالة مستقلة جاءت بعنوان (الصوفية في ميزان الكتاب والسنة)، فذكر حوالي أربعة وعشرين من المسالك التي انحرف بها الصوفية عن منهج الإسلام سواء في مجال الاعتقادات أو الأعمال، بل ذكر أن العقل السليم يرفض هذه البدع التي توقع في الشرك والكفر (٢).

(١) الشبكة العنكبوتية، موقع موسوعة الرشيد، تاريخ الزيارة ١٤٣٨/٣/٢٥هـ،
www.alrashead.net/index.php?partd=٩&derid=٧٣٢

(٢) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة ص ١٨، دار الحمدي، جدة، السعودية ط/٤:

وقد تحدث في كتابه هذا عن أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وقصة الخضر عليه السلام وهل فيها خروج عن الشريعة الإسلامية، وقد ناقش الشبهات التي يستند إليها من يحتفل بمولد النبي ﷺ وقال: (لا أحسب إيمانك وتقواك واتباعك لحبيبك محمد ﷺ وتقدم شرعه على هواك ورأيك وآراء الناس وأقوالهم، لا أحسب ذلك كله إلا يقول لك: (لاحتفل)(١)، كما أشار إلى كتاب دلائل الخيرات، وهو منتشر في العالم الإسلامي، ويبن المخالفات الشرعية الكثيرة فيه.

وطالما يطلب الناس من دعاهم البديل في قراءة الكتب التي يوصونهم بعدم قراءتها، وهذا ما سلكه الشيخ ابن زينو عندما قال: (عليك بقراءة كتاب (فضل الصلاة على النبي ﷺ) للشيخ إسماعيل القاضي، كما أن هناك كتابا جيدا اسمه (دليل الخيرات) لمؤلفه (خير الدين وانلي) جمع فيه صلوات وأدعية صحيحة يغنيك عن دلائل الخيرات)(٢).

أما كتاب د. عبد الرحمن الوكيل الموسوم ب (هذه الصوفية) فقد قام بتوجيه نقد كبير للتصوف المنحرف، حتى أوردته هذا الأمر المهالك.
إلا أنه أصر نحوض المعركة مع التصوف الفاسد، حتى يساهم في تجلية العقيدة من الرواسب التي علققت بها.

(١) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق ص ٦٤.

المطلب الثاني: آثار التحولات السلبية على الدعوة الإسلامية:

أولاً: تمزيق الأمة الإسلامية وتفرقها.

فهي الإسلام عن الفرقة والتشردم والاختلاف فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)، وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢).

لقد كان المسلمون أمة واحدة، لا فرقة بين نسيحها ولحمتها ولا خلاف، تعيش في سؤدد ومنعة، لما كانوا بالله معتصمين، وبهدي نبهم مستمسكين، فلما ابتعدوا رويدا رويدا عن المنهج الرباني، دب الخلاف، ونشأ الشقاق، ونبت النزاع، حتى صرنا فرقا شتى، ومذاهب متعددة، وشيعا متباينة، ابتداء من أول بدعة وقعت في الأمة الإسلامية وهي بدعة الخوارج، ومرورا بالروافض أفسد الفرق رأيا، وأضلها فكرا، وأقبحها اعتقادا، ثم فرق المرجئة والمعتزلة وغيرها، وحتى وقتنا هذا تظهر فرق، وتنبت جماعات، ونسمع عن مسميات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، كلها تدعي أنها جماعة المسلمين، وأن الحق معهم لا غير.

ونري بعض الناس يدعي (أن الاختلاف رحمة اعتمادا على حديث موضوع: اختلاف أمتي رحمة) (٣). وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) قال الإمام السخاوي: (كثير من الأئمة ذكروا أنه لا أصل له). انظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ٧٠/١ دار الكتاب العربي.

بل قد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدها. قال تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ (١).

والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوي باطل ولا يصح بحال، ولا يوجد في شيء من كتب السنة. وهذا كافٍ في بطلان هذه الدعوي، يضاف إلى ذلك مخالفته للمعقول، فإنه لا يتصور عاقل أن الاختلاف رحمة، بعدما عرفنا المفاصد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بل وربما القتال والحروب التي كثيراً ما ثارت بين الناس بسبب الاختلاف، حتى في بعض مسائل الفروع (٢).

ولا يخفي على عاقل ضرر الاختلاف والفرقة خارجياً في نشر الدعوة الإسلامية. يقول الإمام ابن كثير رحمته الله في ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: (وافتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريبا من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم ترل الفتوحات والجهاد قائما على ساقه في أيامه في بلاد الروم والإفرنج وغيرها، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين على ما كان، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدي علي، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على تداني إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت.

فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة (٣).

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨ - ١١٩.

(٢) أصول الإيمان في الكتاب والسنة ص ٣٩٣-٣٩٤ باختصار يسير، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط/١: ١٤٢١هـ.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٨/١٢٧.

ثانيا: الجدل والخصومات والمراء في الدين:

من مناهج الكفار والمشركين وأتباعهم الصادين عن سبيل الله أنهم يكثرون من الجدل والمراء في مسائل الدين الاعتقادية والعملية، وهذا له أثر سيئ على الدعوة الإسلامية.

قال الله عز وجل: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (١).

وقال أيضا في الآية التي تليها: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)) (٣).

يقول د. ناصر العقل موضحا أن السمة الغالبة عند أهل الأهواء هي استعمال المراء والجدال في الدين: (من أعظم أسباب رواج الأهواء والبدع: المناظرات والجدل والتخاصم فيها علنا أمام الأحداث والعامة والولاة، والجهلة وضعاف الإيمان، فضلا عن أهل الزيف والنفاق والزندقة، فإنما يتغذون وتروج مذاهبهم بالجدال والخصومات، ولذلك لم يعرف الجدل والخصومات في الدين إلا حينما ظهرت الفسوق - الخسارج والشيعية والقدرية وأهل الكلام - لأن أهل الحق لا يمارون ولا يتخاصمون ولا

(١) سورة غافر، الآية: ٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق، ٤/٤٠٠، رقم ٤٨٠٢، وقال

الألباني: حديث حسن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٥٥٣، رقم ٢٣٧.

يخاصمون في الدين) (١).

ومما لا شك فيه أن المراء والجدال له أثر سيئ على المجتمع، فيكثر التطاول بالألسنة بين المتجادلين، وربما تحدث القطيعة فيما بينهم، وقد يخرج بعضهم بعضاً من الملة. ولهذا كان السلف ينهون عنه.

فالإمام ابن سيرين رحمته الله كان ينهي عن الجدال، إلا رجاء إن كلمته يرجع (٢)، وقال مالك: الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويورث الضغن (٣).

قال الإمام الذهبي رحمته الله: كان السلف يزجرون عن التعمق، ويبدعون أهل الجدال (٤).

ومما سبق تتضح المآلات السيئة للجدال في الدين والمراء فيه، وفتح المجال ليقول فيه من شاء ما شاء.

ثالثاً: تقديس آراء الرجال لا تقديس الحق:

يرفع الأذان في كل يوم وليلة بقول المؤذن في بداية الأذان وفي منتهاه (الله أكبر. الله أكبر)، وفي جميع صلواتنا شرع التكبير في الانتقال من حركة إلى أخرى، وكذلك في عيد الفطر وفي عشر ذي الحجة حتى آخر أيام التشريق. ولعل من أهم الحكم وراء ذلك: أن لا نعظم أحداً إلا الله. والمقصود بذلك أن أهل العلم قد يلتبس الحق عليهم بالباطل تارة، لأنهم ليسوا

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٣٢٩.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤/٦١٤.

(٣) المرجع السابق ٨/١٠٦.

(٤) المرجع السابق ٩/٣٣٤.

بمعصومين، والمشكلة في أشياعهم إن أصروا على اتباعهم في هذا الخطأ العلمي، حتى بعد معرفتهم عدم صحة كلام شيوخهم.

وقد وضع لنا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في رسالته الماتعة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) الأسباب التي دعت العلماء إلى مخالفة بعض النصوص الشرعية، وقيدتها بقيود دقيقة رصينة.

قال رحمته الله: (يجب على المسلمين - بعد موالة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم موالة المؤمنين كما نطق به القرآن. خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرابنتهم.

إذ كل أمة - قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فعلماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول في أمته والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول وعلي أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه). (١)

بل إن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله ومسيرته العلمية ونقده لبعض الآراء في المذاهب الأربعة وغيرها، واختياراته وترجيحاته وتضعيفاته لمسائل بعينها، إن هذا يُعد منه من أكبر النماذج وأعظم الأمثل على تقديس الشيخ رحمته الله للحق وحده، وأنه لا

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ص ٩-١٠، المكتبة العصرية، بيروت.

يقدم صاحب مذهب مهما علا قدره، وعلى الرغم من تنويحه بفضلته وسبقه وعلمه وعلو كعبه ومكانته.

ويوصي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الدعاة ومعلمي الناس الخير بالتعاون على البر والتقوى فيقول: (وليس للمعلمين أن يجزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى).

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقة على كل ما يريد؛ وموالاته من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً مالياً ومن خالفهم عدواً باغياً؛ بل عليهم وعلي أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله؛ ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله؛ ويجرموا ما حرم الله ورسوله؛ ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله. وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق فلا يعاونه بجهل ولا بهوي بل ينظر في الأمر فإذا تبين له الحق أعان الحق منهما على المبطل سواء كان الحق من أصحابه أو أصحاب غيره؛ وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله).

إلى أن قال رحمه الله: (ومن مال مع صاحبه سواء كان الحق له أو عليه فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله، والواجب على جميعهم أن يكونوا يداً واحدة مع الحق على المبطل، فيكون المعظم عنده من عظمته الله ورسوله، والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله، والمحجوب عندهم من أحبه الله ورسوله، والمهان عندهم من أهانه الله ورسوله، بحسب ما يرضي الله ورسوله لا بحسب الأهواء)^(١).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزائر ١٧/١٥-٢٨ باختصار يسير، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، ط/٣: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي غير النبي صلى الله عليه وسلم) وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة، يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون) (١).

ومن يقرأ رسالة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الموسومة ب (رفقا أهل السنة بأهل السنة) يجد فيها موضوعا بعنوان: (بدعة امتحان الناس بالأشخاص)، ذكر فيه أن هذه بدعة منكورة حدثت في هذا الزمان، وإذا كانت نتيجة الامتحان الموافقة لما أراده الممتحن ظفر بالترحيب والمدح والثناء، وإلا كان حظه التجريح والتبديع والمهجر والتحذير (٢).

لقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه مبينا لنا الخطأ الشنيع الذي يعتري كل من يقدر أشخاصا وأفرادا بعينهم ويغض طرفه عن الحق.

روي اليعقوبي في تاريخه أن الحارث بن حوط الرازي قال لعلي رضي الله عنه: (أظن طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل، فقال: يا حارث! إنه ملبوس عليك، وإن الحق والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه) (٣).

يجب على الدعاة الصادقين أن لا يعرفوا الحق بأهله، بل أهل الحق إنما يعرفون بالحق.

ولقد عانت الأمة الإسلامية من ويلات الانحراف في هذا الأمر سواء بما سمعنا من

(١) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم ١/١٤٩، دار الكنوز الأدبية، الرياض: ١٣٩١هـ.

(٢) رفقا أهل السنة بأهل السنة ص ٣١٨، وهي رسالة مانتعة في تجسيد واقع بعض الدعاة في هذا الزمان وعلاج أزمتهم.

(٣) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهيب بن واضح ٢/٢٤٨، مطبعة ليدن: ١٨٨٣م.

ضغائن بين أتباع المذاهب الأربعة، أو بما ضل به الصوفية والروافض بتقديس مشائخهم وأصحاب العمائم عندهم الذين ضلوا وأضلوا. فمن أين كان انحراف التصوف عن سنن الإسلام القويم؟

إنها علل كثيرة، وأسباب متشعبة، لكن لعل من أهمها أنهم أمروا المريـد بطاعة عمياء لشيخه، حتى وإن أخطأ.

أوهـموا (أن الشيخ جاسوس القلوب يدخل ويخرج دون علم المريـد، فأوجبوا على مريـديهم أن يكونوا كالميت بين يدي المغسل أمام شيوخهم، وأمروهم إذا رأوا الشيخ يزي، عليهم أن يقدموا له الماء) لأن الحقيقة شيء آخر.

وحجروا عليهم التفكير الحر (ما أفلح مريد قال لشيخه لم!) (١). وهذا عين ما عند الروافض الذين قالوا بالعصمة لأئمتهم، مما كان باعثاً لـدي بعض الباحثين في عقد مقارنات بين التصوف والتشيع.

وكم نقرأ في خير من غير من شحناء وبغضاء وغيبة وحقد وحسد وقعت في الحقل الدعوي نتيجة البعد عن تقديس الحق وحده.

هذه هي بعض الآثار السيئة المترتبة على التحول الفكري، وإن كانت الآثار أكثر من ذلك، لكن كان تعويلنا على الأهم منها.

فأكثر مخلفات التحول الفكري السلبي ونتائجه السيئة وآثاره المدمرة: إنما هو ضعف يسود الأمة، وتوهين لها أمام أعدائها، وتفرق قوتها، وذهاب ريجها.

بالإضافة إلى كثرة الجدال واللجاج والعناد والتعصب الذي يطفو على الساحة الدعوية، وهو يهدم أكثر مما يبني، ويدمر أكثر مما يعمر.

(١) الصوفية في ميزان الكتاب والسنة ص ، ٢٧.

المبحث الثالث

سبل معالجة التحولات الفكرية السلبية

ما من داء إلا وله دواء، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، وإن التحول الفكري السلبي له معالجات وأدوية، وهي شافية كافية، من هُدي إليها فقد هُدي إلى صراط مستقيم، ونتحدث عن أهمها فيما يلي.

المطلب الأول: وحدة مصدر التلقي:

من دواعي العصمة للأمة الإسلامية من الانزلاق في مهاوي الضلالة، وغيابات الحب، ومدارك البدع، هو أن دينها مبني على الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف الصالح.

قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (دين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول) (٢).

والمناهج الأخرى المجانبة لهذا الطريق هي مناهج كاسدة خاسرة، هالكة ضالة، مضلة مفسدة.

(فأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر، فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وتحريف

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم ١/١٤٩، دار الكنوز الأدبية، الرياض: ١٣٩١هـ.

وهذا من رحمة الله تعالى وكمال حكمته، وتمام علمه بخلقهم، فكم من المسائل التي يعجز الأريب عن الوصول إلى حكمة من وراء تشريعها، وإن وُفق إلى حكمة غابت عنه حكم، وجهل عللا، لكن يأتي العلم الحديث ليؤكد لنا صدق الله فيما قال، وصدق النبي ﷺ في بلاغه عن ربه عز وجل!؟.

فالعقول متفاوتة، متناقضة، متشاكسة، حتى في أوجه الاستحسان للأشياء واستقباحتها، نجد فيما بينها تفاوتات وتغايرا، ولهذا إنما هي وسيلة لفهم مراد الله ورسوله، وإن وجد أناس يتوجهون بتلقيهم الدين مسن شيخ يتعصبون لكلامه، وييمنون قبلتهم نحو اتجاهاته وترجيحاته وآرائه، فإن أهل السنة والجماعة إنما يعتقدون بأن العصمة منوطة برسول الله ﷺ فحسب، وأما وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى فقد دفنت العصمة بوفاته ﷺ.

قال الإمام مالك رحمته الله: (كل أحد يؤخذ من قوله، ويترك، إلا صاحب هذا القبر رحمته الله) (٢).

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمته الله: (وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله.

ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين، وهذا يلزم منه ما قبله لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولاً ممن كان قبلهم فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولاً بطريق الأولي، كالثوري

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: نخبة من العلماء ص ٣٩٦.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٩٣/٨.

والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم، ومن قبلهم من التابعين والصحابة أيضاً.
فإن هؤلاء كلهم أقل كلاماً ممن جاء بعدهم، وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح
وإساءة ظن بهم ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله(١).
وكيف يكون هذا؟! !!! وفهم دلائل الكتاب والسنة (إنما يؤخذ من الصحابة
ﷺ ففيهم تكلم الرسول ﷺ وعليهم نزل الكتاب، فهم أعلم الناس بمراد الله
تعالى ومراد رسوله ﷺ خاصة بعد أن كثرت البدع، وقلَّ العلم، وفسدت الفهوم،
وهُجرت السنة(٢).

ثم إنه ماذا يعني الإسلام في الأساس إلا أنه: الاستسلام والقبول وانسراح الصدر
والإذعان لكل ما أمر به ونهي عنه الله ورسوله ﷺ، وهذا مقتضى الإيمان، ومقتضى
قول العبد أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.
قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٣).

وقضية وحدة التلقي هي الفيصل بين كمال الإيمان ونقصانه، أو إن شئت قلت
هي فيصل بين إيمان ونفاق، وطاعة وفسوق.
قال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(١).

(١) فضل علم السلف علي علم الخلف، الإمام ابن رجب الحنبلي ص ٦١، دار الصميعي،
الرياض.

(٢) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة ص ٥١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوثِرُوا بِالْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ، وَإِن يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُوثِرُوا لَهُمُ الظَّالِمُونَ، إِنَّهَا كَانَتْ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوثِرُوا لَهُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

ويقتضي اليقين بوحدة مصدر التلقي: التجرد للحق وحده، والتخلص من جميع شوائب النفس.

والدعاة هم أولي الناس بذلك، لذا كان واجبا عليهم أن يدعو بدعاء الرسول ﷺ الذي رواه الترمذي- في سننه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: (واسأل سخيمة صدري) (٣). ومعناه: أي غشه وغله وحققه (٤).

إن الدعوة إلى الله لهم في حاجة ماسة إلى الإخلاص والتجرد في طلب الحق وحده، ولم لا! وسيد الدعوة ﷺ حضر- قبل النبوة- حلف الفضول الذي نص على نصره المظلوم حتى يردون له مظلمته ممن ظلمه، شريفا كان أو وضيعا، غريبا كان أو قريبا،

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النور، الآيات: ٤٧-٥١.

(٣) أخرجه الترمذي، باب: في دعاء النبي، صلى الله عليه وسلم ٥/٥٥٤، رقم ٣٥٥١، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، الشيخ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٩/٣٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

غنيا أو فقيرا.

وهذا هو مشهد آخر من حياة سيد الدعاة عليه السلام يربينا من خلاله على التجرد للحق وحده، حتى ولو أتى على لسان العدو، فعن قتيلة بنت صيفي الجهينة قالت: ((أتى حير من الأحبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا محمد: نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون، قال سبحان الله! وما ذاك، قال تقولون إذا حلفتكم والكعبة، قالت فأمهل رسول الله صلي الله عليه و سلم شيئا ثم قال: إنه قد قال، فمن حلف فليحلف برب الكعبة، قال يا محمد: نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندا، قال سبحان الله، وما ذاك، قال تقولون: ما شاء الله وشئت، قال: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال: إنه قد قال، فمن قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت)) (١).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٧١/٦، رقم ٢٧١٣٨، وقال الأرئووط: إسناده صحيح.

المطلب الثاني: مجانبة أهل الأهواء والبدع:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

سَبِيلًا﴾ (١).

وروي الإمام الطبري رحمته الله في سبب نزول الآية عن الشعبي رحمته الله قال: (كان

عقبة بن أبي معيط خليلاً لأمية ابن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر؛ وهو الذي قال: (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا) (٢).

إن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم ومعاشرتهم - كما قال د. ناصر العقل - (سبب

لانتقال العدوى منهم، فإن المرء من جلسه، والإنسان مدني بالطبع يتأثر بمن حوله..

.... ومهما بلغ الإنسان من الاستقلالية بزعمه والاعتداد بنفسه والثقة بعقيدته، فإنه لا

بد أن يتأثر بمن يخالطهم، خاصة أهل الأهواء، لأنهم يزينون ما هم عليه ويزينها

الشيطان، فتبدو للإنسان غريبة جذابة، فهذا المأمون وهو من هو في اعتداده بنفسه تأثر

بالجهمية، قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي: (خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول

بخلق القرآن، وكان يتردد ويراقب بقايا الشيوخ ثم قوي عزمه وامتحن الناس) (٣).

كذلك تأثر الخليفة الواثق بأحمد ابن أبي داود الذي كان قاضي القضاة آنذاك.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٢٦٢/١٩، مؤسسة الرسالة ط/١: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢٣٧/١١، وانظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر العقل ص ٣٦٣ باختصار يسير جدا.

قال الخطيب رحمه الله: (استولي أحمد بن أبي داود على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن، وقيل: إنه رجع عن ذلك قبيل موته). (١)
ولقد تأثر أبو طالب أثناء موته بأبي جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وقد أمراه أن يموت على دين الآباء والأجداد.

روي الإمام البخاري رحمه الله عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه أنه أخبره ((أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله صلي الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول لا إله إلا الله)) (٢).

وهذا يدل على أن الشخص يتأثر بجلساته ورفقائه، ومن يؤاكلهم ويؤانسهم، ويغدو معهم ويروح.

ويروي في ذلك الإمام البخاري في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مثل المجلس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة)) (٣).

فإذا أراد الله بعبد من عباده خيرا وفقه لمعاشرة أهل السنة وأهل الستر والصلاح

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣٠٧/١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند موته لا إله إلا الله، رقم ١٢٩٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب: الذبائح والصيد، باب: المسك، رقم ٥٥٣٤.

والدين ويرده عن صحبة أهل الهوى والبدع والمخالفين.

ويصور ذلك على بن أبي طالب عليه السلام وقد ذكر صحبة رجل فقال:

لا تصحب أحبا الجهل	وإيـاك وإيـاه
فكم من جاهل أردي	حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء	إذا المرء ماشاه
وللشياء من الشيء	مقاييس وأشباه
وللقلب من القلب	دليل حين بلقاه (١)

وترك البيعة الفاسدة والمنبت السوء وتبديله بالذي هو أحسن واجب على جميع المتحولين فكريا إلى الحق، ويمكن الاستئناس هنا بما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتي راهبا فسأله فقال له: هل من توبة، قال لا: فقتله فجعل يسأل فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا...)) (٢).

ومن ألوان الكتب الكثيرة المعاصرة التي تدلنا على أن القرب من أهل البدع ربما أوقع في البدع، واللصوق بأهل الأهواء قد يهوي المرء إلى مدارك السوء ومهاوي التهلكة، إن لم يحظ بتثيت رباني، وتأييد إلهي - كتاب (حوار مع صديقي الشيعي) للمدعو: الهاشمي بن علي، وهو يحكي قصته في تحوله من السنة إلى الشيعة بواسطة صديق شيعي له وقعت بينهما حوارات ومناقشات ومساجلات في مدينة قابس، أدت في آخرها إلى قوله البغيض: (ثم تبين الصبح لذي عينين، فسبحان مغير الأحوال، إذ

(١) آداب الصحبة، أبو عبد الرحمن السلمى، تحقيق: مجدي فتحى السيد ص ٤١، ٤٣، دار الصحابة للتراث، مصر، ط/١: ١٤٣٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٤٧٠.

بينما أنا جاهل بكل عقائد الشيعة، بل كان في ذهني حولها نفور شديد، إذ بي أري الحقيقة ساطعة بعد أن أزال الضباب(١).

وقال- وبئس القول- (ووجدتُ أن صفو الإسلام عند عقائد الشيعة، بعد ربط الخيوط مع بعضها، ووضع الصور إلى جانب بعض)(٢).

وبسبب ذلك المآل السوء ما يزال علماء السلف يجذرون من أهل الأهواء والركون إليهم ومجالستهم خوف الفتنة، ونذكر طرفا من أقوالهم فيما يلي:
- روي الإمام الخطيب البغدادي رحمته الله - بسنده عن الحسن قال: (لا يمكن أحدكم أذنه من صاحب بدعة)(٣).

- وقال الفضيل بن عياض رحمته الله: (من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله على محمد ومن زوجه كريمته فقد قطع رحمها ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع)(٤).
وقال رحمته الله: (إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك لا يكن مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد

(١) حوار مع صديقي الشيعي، الهاشمي بن علي ص ١٥٢، مركز الأبحاث العقائدية.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢.

(٣) تاريخ بغداد، الإمام أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ٢٢٧/٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ١/٣٣٠، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

مع صاحب بدعة (١).

وقال رحمه الله: (أكل مع يهودي ونصراني ولا أكل مع مبتدع وأحب أن يكون

بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد) (٢).

- قال الإمام عبد الله بن عمر السرخسي رحمه الله: (أكلت عند صاحب بدعة

أكلة، فبلغ ذلك الإمام ابن المبارك فقال: لا كلمتك ثلاثين يوماً) (٣).

- قال القاسم النصرآبادي رحمه الله: (بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من

الكلام فهجره الإمام أحمد بن حنبل (٤). وكان أحمد بن حنبل يكره للحارث المحاسبي

نظره في الكلام، وتصانيفه الكتب فيه، ويصد الناس عنه) (٥).

بل خص بعض علماء أهل السنة (٦) بتصنيف كتب عن هجر المبتدع، وتحذيرهم

من مجالسته.

(١) الإبانة الكبرى، الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف

باب بَطَّة العكبري، ٤٥٩/٢، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد

بن سيف النصر، وحمد التو مجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

(٢) شرح السنة، الإمام الحسن بن علي بن خلف الربھاري أبو محمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم

القحطاني ص ٦٠، دار ابن القيم، الدمام، ط/١: ١٤٠٧هـ.

(٣) الثقات، الإمام محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين

أحمد ٨ / ٣٥٠، دار الفكر، ط/١: ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

(٤) تاريخ بغداد ٩ / ١٠٤.

(٥) المرجع السابق ٩ / ١٠٤.

(٦) انظر: مثلاً رسالة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد بعنوان: هجر المبتدع.

المطلب الثالث: الالتفاف حول المجامع الرسمية والحذر من المجامع الأهلية

المشبوهة والفتاوى الشاذة:

من السبل الهامة التي يحرص بها المرء نفسه بل ويتحصن بها المجتمع بأثره من الانزلاق في مهاوي الغواية والضلالة، وأن يتحول من الطريق المستقيم إلى طريق الشيطان: الالتفاف حول المجامع الرسمية والأخذ باجتهادات علمائها في النوازل والمسائل الفقهية، لأن تلك المجامع قائمة على أصول علمية راسخة، وعلمائهم هم العلماء الرسميون المتخصصون، الذين يجب أن يؤخذ عنهم العلم، وهم جديرون بكل ثقة وإجلال.

ولا بد هنا من التحذير من الانسياق وراء الفتاوى الشاذة أو الصادرة عن مجامع غير رسمية، حيث إن فتاوى تلك المجامع يغلب عليها طابع الهوى أو المصالح الشخصية.

المطلب الرابع: المحافظة على الوحدة الفكرية:

إن الرابطة في المجتمع الإسلامي هي رابطة عقديّة، وأخوة إيمانية، وعلي هذا فمهما رسخ الاعتقاد وقوي الإيمان عند أفراد المجتمع، قويت الأخوة والرابطة التي تشد بينهم. وعلي هذا فالمحافظة على سلامة المعتقد ووحده يتطلب المحافظة على الناحية الفكرية المؤثرة فيه، من أجل استدامة تلك الأخوة القائمة عليه وسلامتها من التزعات المخالفة وما ينتج عنها من فرقة وشتات(١).

والوحدة الفكرية المطلوب المحافظة عليها في المجتمع المسلم هي:

نشر وترسيخ العقائد والمبادئ والمعارف التي جاء بها الإسلام لدي أكبر عدد من أفراد المجتمع، وجعلها أساس التربية والتعليم في مختلف مراحلها، والإعلام في جميع مجالاته، لكي تكون قاسما مشتركا يؤمن به ويخضع له الجميع، فينطلقون منه، ويرتكزون عليه في نشاطهم الفكري(٢).

وحينئذ يُؤتي المجتمع وأفراده حصانات فكرية ومناعات قوية تقيهم شر أهواء أهل الهوى، وضلالات أصحاب الضلالة.

يحتاج الأفراد في أي مجتمع أن يغذوا بالمعارف الإسلامية ليتحصنوا ضد الثقافات الوافدة، و الأفكار الهدامة، والآراء الباطلة، وليكونوا على حذر من المبتدعة وأصحاب الأهواء.

لكن في الحقيقة أن نشر تلك المعارف يحتاج إلى تضافر الجهود من أجل وصولها إلى أكثر فئات المجتمع وطوائفه.

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبروع ص ٤٨٤، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط/١: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) المرجع السابق ص ٤٨٥.

- فللعلماء دور في نشر وسطية الإسلام بشتى الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، ويبرز دورهم أيضا في تعرية أصحاب الفرق الضالة، ونقدهم النقد البناء، وتبيين أخطائهم وعوارهم للناس.
 - وللمساجد نصيب في توعية الرواد والمصلين وتحذيرهم من الفرق الضالة ومسالك المبتدعة.
 - وللجامعات وللمدارس التعليمية دور في ترسيخ تلك المعارف بين طلابها وشبابها، واستحداث برامج للتوعية والإرشاد تخدم الوطن وتحمي مقدساته.
 - وللإعلام دور في إعطاء نشر المعارف الإسلامية مساحة أوسع، واستخدام وسائل أكثر مرونة في وصولها إلى فئات المجتمع متعددة الثقافات في سهولة ويسر.
 - وللأسرة دور في رضاء أولادهم لتعاليم الإسلام السمحة، وتحصينهم من ضلالات المبتدعة، وتغذيتهم بالأفكار الصحيحة كتغذيتهم بالطعام والشراب، بل أشد، لأنها هي التي تقي الأنفس من التهلكة.
 - وللأندية الرياضية دور في نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة من خلال برامج توعوية هادفة.
 - وعلي ولاية الأمر أن يضربوا بيد من حديد لكل من تسول له نفسه بنشر السوء بين أفراد المجتمع، و على جميع من يعمل أو يشارك في تفريق المسلمين، وتشتيت وحثهم.
 - وملاك القول أن نقول: على كل فرد من أفراد المجتمع أن يقرأ ويحصن نفسه، ويطبق ما علم على نفسه وأسرته، فزيادة المعرفة وقوة الإيمان يعتبران: حائط صد منيع، ضد الأفكار الفاسدة والآراء الضالة، التي تؤدي إلى فرقة المسلمين وذهاب ربحهم.
- هذا والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

بعد الطواف في هذا البحث وجمع مادته وتحريرها جدير أن نقف مع أهم نتائجه وما خلص إليه وهي كالتالي:

١- رصد البحث ظاهرة التحول الفكري أو التقلب الفكري في الشخصية الإنسانية، وأكد على أن ثمة أسبابا متشعبة متضاربة تمهي بصاحبها إما إلى التحول السلبي، أو الإيجابي.

٢- البيئة والمجتمع لهما دور كبير في التأثير على حياة البعض في اتجاه التحول السلبي، وقد ذكر البحث الأدلة على ذلك كعمران بن حطان وغيره.

٣- للإعلام دور مشبوه في تزيين الباطل والترويج له من خلال أقلام مأجورة، وفضائيات مبيتة نيتها على الشر، ووسائل تواصل اجتماعي تعمل في سبيل ذلك بالليل والنهار.

٤- أوما البحث إلى شخصيات كثيرة وقامات كبيرة تحولت بفكرها من حال سيئة إلى حال حسنة كابن قيم الجوزية والإمام عبد الله الجويني والد أبي المعالي وغيرهما.

٥- تأثير المتحولين إيجابيا في مجال الدعوة كان كبيرا وواضحا وملموسا وقد أشار البحث إلى أمثلة من التأثير كزيادة انتشار معتقد السلف، وتعزيز نقد التصوف المنحرف.

٦- لا ينسى عاقل دور الجامعات السعودية في الوقت الحاضر في نشر عقيدة السلف، خصوصا خريجي الجامعة الإسلامية، فحينما قدموا كانوا متأثرين بما هو سائد في بلادهم وبيئاتهم، وبعد دراستهم تحولوا إلى المذهب الحق، وكان لهم جهود كبيرة في مجتمعاتهم لربط الناس بعقيدة السلف رحمهم الله.

٧- كان لبعض المتحولين فكريا من التشيع إلى أهل السنة دور بالغ في تعزيز نقد التشيع وكشف عوارده، وهتك أستاره، كما فعل البرقعبي وأحمد الكسروي وغيرهما.

٨- أكثر مخلفات التحول الفكري السلبي ونتائجه السيئة وآثاره المدمرة على الدعوة: إنما هو ضعف يسود الأمة، وتوهين لها أمام أعدائها، وتفرق قوتها، وذهاب ريجها. بالإضافة إلى كثرة الجدال واللجاج والعناد والتعصب الذي يطفو على الساحة الدعوية.

٩- من أهم الأسباب التي نحافظ من خلالها على مجتمعاتنا الإسلامية من التحول الفكري السلبي هي نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة بوسائل تصل إلى الجمهور العريض من الناس.

١٠- الالتفاف حول الجامع الرسمية وتجنب الأخذ بالفتاوى الشاذة أو الجامع المشبوهة له دور كبير في تحصين المجتمع من الوقوع في براثن الانحراف الفكري.

فهرس المصادر والمراجع

١. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، د. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، ط/١، مكتبة أضواء السلف، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢. أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، د. وسيم فتح الله، بدون بيانات.
٣. أصول الإيمان في الكتاب والسنة، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٢١هـ.
٤. أعلام التصحيح والاعتدال، أ. خالد بن محمد البديو، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٥. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، محمد على مغربي، الكتاب العربي السعودي رقم ٣٠، ط/ تمامة، جدة.
٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد.
٧. تبين كذب المفتري بما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، الإمام الحافظ ابن عساكر، ط/ مطبعة التوفيق، دمشق: ١٣٤٧هـ.
٨. تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان، الشيخ عبد العزيز بن باز، ترتيب: عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، ط/١، دار أصالة، الرياض: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٩. التشيع والشيعة، أحمد الكسروي، راجعه وصححه وعلق عليه: د. ناصر بن عبدالله القفاري، د. سلمان بن فهد العودة، ط/١: ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

١٠. تعريف عام بدين الإسلام، الشيخ علي الطنطاوي، ط/١٤، دار الوفاء، القاهرة: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإيباري، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ.
١٢. خلق أفعال العباد، لإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ط/٢، دار عكاظ، جدة.
١٣. درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/ دار الكنوز الأدبية، الرياض: سنة ١٣٩١هـ.
١٤. دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط/١، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيلية، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١٥. الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، محمد الغزالي، ط/٣، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٦. رجال من التاريخ، الشيخ علي الطنطاوي، ط/ دار البشير للثقافة، القاهرة: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٧. رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وتزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية، الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق د. أحمد معاذ بن علوان حقي، ط/١، دار طويق، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٨. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ط/ المكتبة العصرية، بيروت.

١٩. سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ط/٩، مؤسسة الرسالة، بيروت:

١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٠. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتثريه، د. محمد

أمان بن علي الجامي، ط/٣، مكتبة الفرقان: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢١. الصوفية في ميزان الكتاب والسنة، د. محمد بن جميل زينو، ط/٤، دار المحمدي،

جدة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

٢٢. علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح

آل بسام، ط/٢، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٩هـ.

٢٣. فصول في التفكير الموضوعي "منطلقات ومواقف"، د. عبد الكريم بكار، ط/٥،

دار القلم، دمشق: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٤. فضل علم السلف على علم الخلف، الإمام ابن رجب الحنبلي، ط/ دار

الصمعي، الرياض.

٢٥. في رحاب الدعوة، الشيخ أبو الحسن الندوي، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري،

ط/١، دار الفارابي، دمشق: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٦. كسر الصنم أو ما ورد في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن الكريم

والعقل "نقض كتاب أصول الكافي للكليني"، أبو الفضل آية الله العظمي السيد

بن الرضا البرقي، ترجمة: عبد الرحمن ملا زاده البلوشي ط/١، دار البيارق،

الأردن: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٧. كنت قبوريا، أ. عبد المنعم الجداوي، ط/٤، رئاسة إدارات البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٨. كيف اهتديت إلى التوحيد والصراف المستقيم، د. محمد بن جميل زينو، ط/١،

دار الفتح، الشارقة: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط/١، دار صادر،

بيروت.

٣٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضوية في عقد الفرقة

المرضية، الإمام شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

الحنبلي، ط/٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣١. مسند أحمد بن حنبل، ط/ مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٣٢. مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي

علي، ط/٤، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٣٣. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد

النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط/ دار الدعوة، القاهرة.

٣٤. منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد بن عبد الرحمن

الصويان، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، بدون رقم طبعة وتاريخ.

٣٥. هذه هي الصوفية، د. عبد الرحمن الوكيل، ط/٤، دار الكتب العلمية، بيروت:

١٩٨٤م.

الدوريات ومواقع الإنترنت:

١. أخبار المدينة.

٢. جريدة الرياض.

٣. موقع مهتدون.

البحث رقم (٤)

أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة

إعداد

د. فاطمة بنت سعود بن سعد الكحيل

قسم الدراسات الإسلامية، جامعة طيبة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد ﷺ عبده ورسوله. أما بعد:

شرع الله تعالى لعباده شريعة الإسلام السمحة، ليوحده ويعبده، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) ^(١) ووعد الله تعالى من أطاعه بالحياة الطيبة

في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيَوَةً طَيِّبَةً^ط وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) ^(٢) وأخبرنا أن من عباده

من لا يستجيب للهداية فينحرف عن الصراط المستقيم فيضل ويضل، وله أسبابه إما

لشبهة عنده أو شهوة وهوى. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ^ط وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ^ط ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) ^(٣).

أهمية موضوع البحث:

إن وصية الله تعالى لعباده إتباع صراطه المستقيم، والحذر من إتباع السبل التي لا خير فيها للعبد في دنياه وآخرته، وفي زماننا الكثير من الاتجاهات المنحرفة فكريا التي تدعو الناس لإتباعها، وإقناعهم بأن من حق كل إنسان الحرية في اختيار معتقده وفكره وسلوكه، وهذا قولٌ باطل، ولا شك أن هذه الاتجاهات لها مخاطر عميقة وبعيدة المدى على مستوى الدولة والمجتمع والفرد، كما أن بعض تلك الاتجاهات تُفسد عقائد الناس وتهدد أمن الدول، وتقوض دعائم المجتمع، فهي لا تحقق الأمن النفسي والفكري

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

والسلوكي للأفراد، ولا التنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للدولة، فالشر فيها غالب.

وقد كتب الله تعالى وقدَّر أن الحياة الدنيا مكانٌ للصراع بين الحق والباطل، وأن التدافع بينهما سنةٌ كونيةٌ جارية؛ لا تغير ولا تتبدل، قال تعالى: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَعِيرَ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صَوْلَاتُ مَسْجِدِ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢).

وأمر الله تعالى عباده بأن يدعوا إلى سبيله لتكون كلمة الله هي العليا؛ وكلمة الباطل هي السفلى، ويجاهدوا في ذلك حق جهاده، لما في دفع الباطل وأهله؛ من تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، وبما أن الباطل يصول ويجول، وأتباعه لهم شبهات وشهوات؛ لها تأثيرها على بعض الناس تضليلاً وإفساداً لهم، كان لزاماً على أهل الحق أن يتوجهوا بالدعوة أولاً لدعاة الباطل، وأن يحتسبوا عليهم أولاً قبل غيرهم، لأن إصلاحهم ودلالتهم على الحق والخير؛ يعدوا منعاً للشر وسداً لبابه، كما يعدوا حماية لعقائد الناس وفكرهم وسلوكهم.

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاحتساب في ذلك، من شعائر الدين العظيمة، التي تنال بها الأمة الخيرية، وتحقق عن طريقها ما يصلح أحوال الناس في كافة شؤونهم، فتستقيم لهم حياتهم بما يرضي الله تعالى وبما ينفعهم دنياً وأخرى.

أسباب اختيار موضوع البحث:

١ - رغبة الباحثة في التزود من علم الحسبة، وأفضل الطرق وأحسنها لذلك هو

الكتابة والبحث في هذا العلم.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٥) سورة الحج، الآية: ٤٠.

٢ - للمحتسب الرسمي والمتطوع دور ومهمة عظيمة يقوم بها احتساباً تجاه الانحرافات الفكرية المعاصرة، وهذه المهمة تقوم على أسس شرعية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وجمع هذه الأسس في مؤلف مختصر يستفيد منه المحتسب مع ذكر أساليب ووسائل تعينه في تطبيق الاحتساب على مظاهر الانحرافات الفكرية.

٣ - الانحراف الفكري يعدُّ من أكبر المشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية وتؤثر في أمنها واستقرارها، خاصة بعد مظاهر السلوك العنيف لدى بعض المنحرفين فكرياً، ولا شك أنَّ للحِجبة والمحتسبين جهوداً تُبذل في هذا المجال، فتسليط الضوء عليها وإبرازها، وبيان أسسها وقواعدها، مطلب مبارك وعمل صالح، جعل الباحثة تختار موضوع (أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة).

أهداف الموضوع:

- ١ - الهدف الرئيس لهذا البحث هو بيان أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحرافات الفكرية المعاصرة، وما يندرج تحتها، مع التأصيل الشرعي من الكتاب الكريم والسنة المطهرة لهذه الأسس والقواعد.
- ٢ - ذكر الأساليب والوسائل التي يتم تطبيقها في الاحتساب على الانحراف الفكري المعاصر.
- ٣ - تحديد مفهوم الانحراف الفكري، مع ذكر أسبابه وأنواعه.
- ٤ - جمع ما تفرق من الفوائد العلمية الموجودة في مؤلفات مطولة، وعرضها بأسلوب مختصر فيما يخص موضوع البحث.

منهج البحث:

البحث دراسة نظرية تعتمد المنهج الاستقرائي^(١) في جمع المعلومات والبيانات

(١) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد الصيني، ص ٧٣، ط/١، ٥١٤١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المتعلقة بموضوع البحث، وتتبع جزئياتها بهدف الوصول لقواعد عامة يُستفاد منها في علم الاحساب، كما يعتمد البحث على المنهج الاستنباطي الذي ينطلق من الحقائق العامة المتفق عليها ذات القوة التشريعية، وهي هنا أسس الاحساب الشرعي وقواعده، وهدف هذا النوع من مناهج البحث هو: الوصول إلى قواعد نسترشد بها عند الاستنباط والتحليل لمسائل الحسبة^(١).

الدراسات السابقة:

الانحرافات الفكرية ليست حديثة النشأة، بل هي موجودة بوجود البشرية، وتتفاوت خطرها وضررها في كل زمان ومكان، وفي زمننا اشتد الخطر وارتفعت الأضرار لأسباب كثيرة لعل أبرزها سهولة تواصل العالم بعضه مع البعض، ولذلك كثرت المؤتمرات والمراكز^(٢) والمؤلفات والدراسات التي بحثت في شأن الانحرافات الفكرية، وسأذكر هنا بعض هذه الدراسات التي استفاد منها البحث وهي على نوعين:

النوع الأول: دراسات عن الانحرافات الفكرية وما يتعلق بها، ومنها ما يلي:

١ - دراسة بعنوان: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي^(٣).

٢ - دراسة بعنوان: الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي^(٤).

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد الصبيحي، ص ٧٩.

(٢) مؤتمر الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الإسلامي، والمؤتمر العلمي للحسبة، انتماء وطني وأمن فكري، ٢٧-٢٩/٥/١٤٣٩هـ، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جامعة أم القرى. ومركز الأمير محمد بن نايف للمناصرة والرعاية، مركز الحرب الفكرية وهو: مركز علمي يتبع وزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية ويختص بمواجهة جذور التطرف والإرهاب، وترسيخ مفاهيم الدين الحق.

(٣) محمد دغيم، ط ١، ٢٠٠٦م، الأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربي، الرياض، وهو من البحوث التي فازت بجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي.

(٤) د. محمد الخطيب، ط ١، ١٤٢٦هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

٣ - دراسة بعنوان: الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء

أحاديث صحيح البخاري^(١).

٤ - دراسة بعنوان: نحو مجتمع آمن فكرياً، أ نموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية

شاملة لتحقيق الأمن الفكري^(٢).

النوع الثاني: دراسات في مجال الاحتساب وتطبيقاته المعاصرة على الانحراف

الفكري، ومنها ما يلي:

١ - دراسة بعنوان: القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب^(٣).

٢ - دراسة بعنوان: الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤).

٣ - دراسة بعنوان: تطبيقات الحسبة في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام

الهيئة ولائحته التنفيذية^(٥).

٤ - دراسة بعنوان: الاستشراف المستقبلي لمجالات الاحتساب في المملكة العربية

السعودية^(٦).

(١) عبد الرحمن الحارثي، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة:

١٤٣٣هـ.

(٢) عبد الحفيظ المالكي، أبحاث المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (رسالة دكتوراه) جامعة

الملك سعود كرسي الأمن الفكري، موقع: مكتبة صيد الفوائد، أوراق المؤتمرات العلمية.

(٣) د. علاء الدين الزاكي، رسالة دكتوراه، ط/ مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٤) د. ناجي حضيري، رسالة دكتوراه، ط/ دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٦هـ.

(٥) د. عبد العزيز التويجري، "بحث علمي محكم ميداني ضمن بحوث مؤتمر التطبيقات المعاصرة

للحسبة في المملكة العربية السعودية"، ٣-٤/٤/١٤٣٣هـ، جامعة الملك سعود، كرسي الملك

عبد الله بن عبد العزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة.

(٦) د. عبد الله الدوسري، "بحث علمي محكم ضمن بحوث ندوة الحسبة وعناية المملكة العربية

السعودية بها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، ١١-١٢/١٤٣١هـ.

٥ - دراسة بعنوان: دعوى الحِسبة في نظام المرافعات الشرعية السعودي^(١).

يتضح من الدراسات السابقة أنَّ البحث له محوران، الأول يبحث في مفهوم الانحراف الفكري وما يتعلق به، والمحور الثاني يبحث في الاحتساب على الانحراف الفكري بذكر أسس الاحتساب وقواعده الشرعية والقانونية أو ما يُعرف بدعوى الحِسبة، وبيان التطبيقات المعاصرة للحِسبة في الوسائل والأساليب، وقد استفاد البحث من الدراسات السابقة في مباحثه ومطالبه.

مخطط البحث:

قسمت بحث (أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة) إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: مفهوم الانحراف الفكري وأنواعه وأسبابه.

المطلب الأول: مفهوم الانحراف الفكري.

المطلب الثاني: أنواع الانحراف الفكري.

المطلب الثالث: أسباب الانحراف الفكري.

المبحث الثاني: أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري

المعاصر.

المطلب الأول: أسس الاحتساب الشرعي على الانحراف الفكري المعاصر.

المطلب الثاني: أسس الاحتساب القانوني على الانحراف الفكري المعاصر وفق

اللوائح المنظمة للحكم في المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث: الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على

الانحراف الفكري.

(١) عبد الرحمن الحربي، "رسالة ماجستير في العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية"،

المطلب الأول: الأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري.

المطلب الثاني: الوسائل في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري.
والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل فيه الصواب والحق، وأن ينفع به، وإن كان فيه خطأ وزلل فاستغفر الله وأتوب إليه،
والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم الانحراف الفكري وأنواعه وأسبابه

المطلب الأول: مفهوم الانحراف الفكري:

إنَّ مصطلح الانحراف الفكري من المصطلحات الحديثة المعاصرة، ولكن مضمونه قديم من الأزل، منذ اختلاف الأخوين قابيل وهاييل ابني آدم عليه السلام، فانحرف الفكر عن الصواب والمعقول والإنسانية لا يبقى حبيس الدماغ، بل يتعداه إلى سلوكه وفعله يُترجم به فكره وما يؤمن به قلبه، وهذا موطن الخطورة، ولذلك قتل قابيل أخوه هاييل، فكانت أول جريمة قتل على الأرض، نشأت من انحراف في الفكر، سببه الحسد والحقد، آثاره مستمرة إلى يومنا هذا، تَضَعُفُ إذا قوي أهل الحق في دفعه، وتقوى إذا ضَعُفَ أهل الحق عن منعه.

مفهوم الانحراف الفكري:

مصطلح الانحراف الفكري مكون من كلمتين: انحراف وفكر.

معنى الانحراف في اللغة:

أصلها حَرَفَ، الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول، حد الشيء، والعدول عن الشيء، وتقدير الشيء، والأصل الأول وهو حد الشيء ومعناه: الطرف والشفير والحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾^(١) أي يعبد في السراء ويترك العبادة في الضراء، وبنس ما فعل، والأصل الثاني وهو العدول عن الشيء ومعناه: الانحراف عن الشيء، يُقال انحرف عنه انحرافاً، وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٣).

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٢/٩، ط/٣، دار صادر، بيروت، مادة: حرف. معجم

مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٣/٢، ط/ دار الفكر، سوريا، مادة: حرف.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٦.

الفكر هو: إعمال النظر والخواطر في الشيء، وجمعه أفكار، وهو: تردد القلب بالنظر والتدبير لطلب المعاني^(١) وهو أيضا: إعمال العقل في المعلوم للوصول لمعرفة المجهول^(٢) ولا يمكن فصل الفكر عن التفكير، لأن التفكير هو حركة الفكر، قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

ومخرج التفكير ونتيجته يكون في السلب والإيجاب، وفي التفكير الحسن والتفكير السيء، وفي التفريط والإفراط وإذا اجتمعت الكلمتين الانحراف والفكر نتج مصطلح: الانحراف الفكري، فيتكون مفهومه كمصطلح؛ من مفهوم الكلمتين ودلالتهما، وهذا أحد ضوابط تحديد المصطلحات وما تحمله من معاني.

تعدد تعريفات مصطلح الانحراف الفكري وتنوعها:

إنَّ سبب تعدد تعريفات الانحراف الفكري هو تنوع الجهة والمصدر الذي يُعرِّفه، فعلماء الاجتماع يختلفون في تعريفهم عن علماء القانون وهم بدورهم يختلفون عن علماء الطب وعلماء الشريعة وعلماء النفس في وصف الانحراف الحادث لفكر الإنسان الذي خلقه الله تعالى سويا مستقيما على الفطرة، فدخلت عليه مكتسبات داخلية وخارجية فأحدثت فيه الانحراف، وفيما يلي عدداً من تلك التعريفات:

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١/٥٨٨، ط/دار إحياء التراث، بيروت، مادة: فكر.

مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ، ص٢٤٢، ط/٥، المكتبة العصرية، بيروت، مادة: فكر.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/٦٥، مادة: فكر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

١ - الانحراف الفكري هو: "الميل إلى غير الحق في أصول الدين فيما ينتجه عقل الإنسان من رأي"^(١).

٢ - الانحراف الفكري هو: "ضد الاستقامة التي أمر الله بها ورسوله عليه الصلاة والسلام، والميل عن طاعتهم، والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات والأخلاق"^(٢).

٣ - "انحراف الأفكار أو المفاهيم أو المدركات عما هو متفق عليه من معايير وقيم ومعتقدات سائدة في المجتمع"^(٣).

٤ - "كل فعل أو نشاط أو تصرف فيه خروج عن قيم ونظم وتقاليد المجتمع الأصلية، أو عن القيم الدينية والخلقية أو معايير السلوك السوي"^(٤).

٥ - "اختلال فكر الإنسان وعقله، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراته وتوجهاته للأمر الدينية والسياسية إما إلى الإفراط أو التفریط"^(٥).

٦ - "الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهم الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية، مما قد يشكل خطراً على المنظومة الفكرية والعقدية والثقافية والأخلاقية

(١) حماية المجتمع المسلم من الانحراف، عبد الله الزايد، ٢٣٩/٧٧، مجلة البحوث الإسلامية، ط/التراسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء السعودية، الرياض: ط ١٤٢٦هـ.

(٢) وقاية الأهل من الانحراف من منظور إسلامي، سليمان العيد، ص ٢٤٦، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مجلد ٤/٢٨، ١٤٢٠هـ.

(٣) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، محمد دغيم، ص ١٧، ط ١، الأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربي، الرياض: ٢٠٠٦م.

(٤) دور المرابي ورجل الأعمال والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف، عمر التومى، ص ١٥، ندوة: دور المواطن في الوقاية من الجريمة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

(٥) الوسطية في الإسلام، سعيد المغامسي، ص ٤٠، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٣٨، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

والأمنية للفرد والمجتمع، ويهدد نظام الدولة وأمنها الوطني بكل مقوماته"^(١).

٧ - "اعتداء ذو نزعة فردية أو جماعية ينعكس على الذات أو الآخر، ويسعى إلى إشاعة أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع أو القانون المدني الوطني أو الدولي، بغية التشكيك في العقائد والأهداف والنظم والمصالح، من أجل مكاسب محدودة أو موسعة، بطرق غير مشروعة، تؤدي إلى زعزعة الأمن بمختلف أبعاده"^(٢).

٨ - "الميل عن الصواب في طريق إعمال العقل في المعلومات مما يؤدي إلى الخطأ في التعرف على الجهولات"^(٣).

٩ - "ابتعاد الفرد أو الجماعة من المجتمع تدريجياً، وعن الاستقامة على صراط الله المستقيم، بفعل مؤثرات داخلية وخارجية، تجعل الفرد أو الجماعة في حالة صدام مستمر مع مجتمع الأمة الإسلامية"^(٤).

(١) نحو مجتمع آمن فكرياً، أ نموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمن الفكري، عبد الحفيظ المالكي، ص ١٧، أبحاث المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (رسالة دكتوراه) جامعة الملك سعود كرسي الأمن الفكري، موقع: مكتبة صيد الفوائد، أوراق المؤتمرات العلمية.

(٢) الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، محمد الخطيب، ص ٥، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢٦هـ.

(٣) أسباب الانحراف الفكري عند الشباب، محمد السعيد، ص ٧، بحث مقدم لمؤتمر الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الإسلامي، انظر:

القواسم المشتركة بين التعريفات السابقة للانحراف الفكري:

- ١ - تشترك في وصف الانحراف الفكري بأنه حالة غير سوية ومرضية تصيب الفرد أو الجماعة.
- ٢ - تشترك في وصف الانحراف الفكري بأنه يفسد العقائد والسلوكيات والقيم الأخلاقية الإنسانية.
- ٣ - تشترك في وصف الانحراف الفكري بأنه شديد الخطورة، وآثاره عنيفة على الفرد والمجتمع والدولة.
- ٤ - تشترك في أنها تهديد مباشر للقضاء على منظومة الأمن الشاملة (الأمن النفسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والوطني والدولي).
- ٥ - تشترك في أنها تؤدي إلى سوء الحال والمآل والخاتمة في الدنيا والآخرة؛ للفرد والجماعة إذا أصيبوا بالانحراف الفكري، إذا لم يوفقوا للتوبة الصادقة.
- ٦ - تشترك في الاتفاق على مرجعية واحدة معتمدة، ومعياري تُقاس عليه الأفكار المنحرفة وهو: مرجعية الكتاب والسنة التي تمثل عقائد المجتمع المسلم وأخلاقه وقيمه، مع مرجعية اللوائح والأنظمة والقوانين في الدولة.

المطلب الثاني: أنواع الانحراف الفكري:

تأتي أهمية هذا المطلب في أن التحرير والتصنيف لأنواع الانحراف الفكري يساعد كثيراً في تقسيم أسس الاحتساب الشرعية عليه، كما أنه يفيد في تقديم الوقاية والعلاج لكل نوع بما يناسبه ويحقق الهدف المنشود منه، ومن الأهمية بمكان التأكيد على نسبية مفهوم الانحراف الفكري، فما يعدُّ انحرافاً فكرياً في المجتمع المسلم، لا يعدُّ في غيره انحرافاً، والسبب الرئيس أن مرجعية ومعيار التصنيف للأفكار لنا نحن المسلمين هو القرآن الكريم والسنة المطهرة، ثم نظام الحكم في المملكة العربية السعودية بما فيه من قوانين وأنظمة، وكل دولة بنظامها.

أنواع الانحراف الفكري:

إنَّ الانحرافات الفكرية كثيرة ومتنوعة، بل ومتجددة في الظهور والتعدد والتلون، وهي من الفتن التي حذرنا رسول الله ﷺ منها، وثبت عن النبي ﷺ قوله: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافتقرت النَّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله: من هم. قال: الجماعة^(١)).

وقد عانت الأمة الإسلامية من الانحرافات الفكرية منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ؓ بظهور أول فرقة ومذهب وهم الخوارج ثم تلتها فرقة ومذهب التشيع، وهي مع الأسف أي الانحرافات الفكرية كثيرة جداً، ومن سبر التاريخ الإسلامي يجد أنهم مسميات مختلفة، فمنهم فرق وطوائف ومذاهب، ومنهم جماعات وتنظيمات وحرركات، ومنها ما يكون الانحراف فيها في الجانب العقدي، ومنها ما يكون انحراف فكري فقط في الأفكار، ومنها ما يكون انحراف في منهج الدعوة إلى الله تعالى، ويمكن تصنيف ما سبق كما يلي:

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم ٣٢٤١، وقال الألباني: حديث صحيح.

١ - تصنيف من ناحية الحكم عليها، وهي تنقسم إلى:

أ - انحرافات فكرية خطيرة جدا قد تصل إلى حد الكفر، مثل: سب الذات الإلهية المقدسة، سب النبي المختار ﷺ، وإنكار ثوابت شرعية في العقيدة والشريعة ثابتة بالأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

ب - انحرافات فكرية أقل خطورة ولا تصل إلى حد الكفر، لكنها ليست على الصراط المستقيم الذي شرعه الله تعالى لعباده، ومن ذلك: مخالفة المنهج النبوي في الدعوة إلى الله، تفسير النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية على غير مراد الله تعالى ورسوله ﷺ، وابتداع أمور ليست من الدين، ولا يتحقق بها الصلاح والإصلاح الذي هو من مقاصد الشريعة الإسلامية.

٢ - تصنيف من ناحية النوع، وهي تنقسم إلى:

فرق، ومذاهب، وطوائف، وجماعات، وتنظيمات، وحركات، واتجاهات. وكل من سبق درجات ومنازل متفاوتة، فمنهم من غلا وتجاوز الحد الشرعي، ومنهم من دون الخطورة في الانحراف، ومنهم المقل في ذلك، ويجمعون في أنهم انحرفوا فكريا عن مفهوم الدين الإسلامي الصحيح سواءً في باب الثوابت الشرعية أو الفروع الشرعية^(١).

(١) للاستزادة انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر القفاري، وأ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ١٠، ط/ دار الصميعي، الرياض: ١٤١٣هـ، والمذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، ط/ المكتبة العصرية الذهبية، جدة: ١٤٢٧هـ، مذاهب فكرية معاصرة، محمود مزروعة، ط/ ١، مكتبة كنسوز المعرفة، جدة: ١٤٢٥هـ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد مجموعة من المؤلفين بإشراف: مانع الجهني، ط/ ١، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض: ١٤٢٨هـ.

المطلب الثالث: أسباب الانحراف الفكري:

إنَّ الانحرافات الفكرية في تاريخ الأمة الإسلامية المعاصر هي في قمة نشاطها ونفث سمومها في الأفراد والمجتمعات المسلمة، ساعدها في ذلك التكنولوجيا الحديثة من وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة والكثيرة على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي^(١)، فالفكرة الواحدة تنتشر في دقائق معدودة إذا تم الإعلان عنها بمهنية عالية وتقنية. ولقد كتب الباحثون من أهل الاختصاص، وعُقدت المؤتمرات والندوات والملتقيات لأجل مواجهة انتشار الأفكار المنحرفة، وللحدِّ من شيعها، عن طريق ذكر كافة الأسباب التي أدتْ إلى تأثر بعض الأفراد والجماعات بها، وهذه الأسباب عميقة ومتشابهة ومتنوعة، ويمكن عرض أسباب الانحرافات الفكرية في المجتمع المسلم وفق الآتي:

- ١ - أسباب فردية تتعلق بالفرد نفسه.
 - ٢ - أسباب أسرية تتعلق بالأسرة.
 - ٣ - أسباب مجتمعية تتعلق بالمجتمع.
 - ٤ - أسباب تتعلق بالدور المطلوب من بعض المؤسسات في الدولة.
 - ٥ - أسباب تتعلق بالنظام الدولي العالمي.
- ١ - الأسباب الفردية:

أ - قابلية النفس الإنسانية للانحراف والاستقامة، وربط ذلك بما يختاره الفرد لنفسه، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۗ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۗ (٩)﴾

(١) للاستزادة انظر: مؤتمر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الإسلام، بالشراكة بين الجامعة الإسلامية وحائزة الأمير نايف العالمية في الفترة ٢٢-٢٣/٨/١٤٣٨هـ، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾^(١)

ب - وسوسة الشيطان للإنسان وتزوين عمل السوء له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢) ومسؤولية الفرد ألا يجعل للشيطان عليه سيلا.

ت - هوى النفس والإعجاب بالرأي، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عُرْوَةٍ وَعَثَمَ عَلَىٰ مَعْمُوءَ وَفَلَيْهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣) وهذا يدل على مرض القلب وفساده.

ث - التقصير في فعل الواجبات الشرعية، وغلبة فعل المعاصي والكبائر على فعل الطاعات، ومن استقرأ أحوال المنحرفين فكرياً قديماً وحديثاً يجد حظهم من الاستقامة والطاعة ضعيف، في الغالب^(٤).

ج - الجهل الكبير في فهم حقيقة الدين الإسلامي، والمقصود بالجهل هنا هو: الفهم الخطأ للدين مع تفسير سطحي لنصوصه، فالمنحرفون فكرياً لا يُعرف عنهم طلب العلم الشرعي من علماء ثقافت مشهود لهم بالعلم والعمل الصالح، ومشهود لهم بالرسوخ في علم الشريعة، بل يتخذون أذعياء العلم المتعلمين مرجعاً شرعياً لهم.

ح - الفراغ الفكري وغلبة الكسل، وعدم العمل والإنتاج الإيجابي والمثمر الذي ينفعهم وينفع غيرهم.

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) انظر: الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري، عبد

الرحمن الحارثي، ص ٤٩، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، ١٤٣٣هـ، جامعة أم

القرى، مكة المكرمة.

خ - الطيش وخفة العقل والتسرع في الأحكام على الآخرين، وهذه الصفات هي محصلة مؤكدة لعدم تهذيب النفس بالتقوى، وقلة العلم، والأخذ بأسباب الاستقامة الدينية^(١).

٢ - الأسباب الأسرية:

أ - سوء التربية والتنشئة الأسرية، إذا كانت البيئة التي ينشأ فيها الفرد مشحونة بالخلافات وعدم الاستقرار مع كثرة التراعات، والحرمان من الحقوق الجسدية والنفسية والفكرية، مع عنف أسري، فإن حصلة هذه التنشئة الجنوح والانحراف لأفرادها، وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن جنوح الأحداث وانحرافهم الفكري بدايته من الأسرة^(٢).

ب - عدم إشباع الحاجات الأساسية للفرد، فإن الأسرة هي الحاضنة الأولى للفرد ومنها يأخذ كل مقومات شخصيته، فإذا نشأ على العنف وجلد الذات وتحقيرها، ولم يجد تقديراً واحتراماً في أسرته، ولم يرى رحمة وحباً فيها له، أنى له بعد ذلك أن يرحم المجتمع إذا خرج له بهذا الحرمان مع انحراف فكري مكتسب، فقتل الناس وإراقة دمائهم لن تحرك فيه ساكناً^(٣).

(١) للاستزادة في معرفة الصفات الشخصية للمنحرفين فكرياً انظر: الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، ٩٩/٣، ط١، دار ابن عفان، الرياض: ١٤١٢هـ، واقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ١/١٤٨، ط/ مكتبة ابن رشد، الرياض، نحو مجتمع آمن فكرياً، عبد الحفيظ المالكي، ص٣٤، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، أ. د. صالح بن غانم السدلان، ص١٩، بحث علمي مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(٢) للاستزادة انظر: دور الأسرة في انحراف الأولاد، الأسباب والعلاج، محمد النجيمي، ص١٤، ورقة مقدمة إلى ندوة المجتمع والأمن، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض ٢٠٠٤م.

(٣) انظر: التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحراف، سعيد الغامسي، ص٤٧، ط١/ مكتبة دار العلوم، المدينة المنورة: ١٤٢٤هـ.

٣ - الأسباب المجتمعية:

أ - ضعف بعض المؤسسات التعليمية في القيام بدورها في تحسين الأفراد ضد الأفكار المنحرفة، فالبيئة المدرسية من مدير ومعلم وكتاب وتلميذ تحتاج إلى كثيرٍ من المراجعة والتجديد لأداء دورها بفعالية لتحسين المتعلمين ضد الأفكار المنحرفة^(١).

ب - وجود فئة قليلة من المعلمين المنحرفين فكرياً داخل بعض المؤسسات التعليمية في التعليم العام والعالى الأكاديمي، يقومون بتعليم فكرهم المنحرف والتأثير على المتعلمين، وهو ما صار يُعرف بالمنهج الخفي في التعليم الذي يتخذ المنهج المعلن ستاراً له، وهذا الفعل خيانة لأمانة التعليم والمتعلمين الذين أوثمنوا عليها^(٢).

ت - ضعف تعلق المنحرفين فكرياً بأوطانهم، ضعفاً أدّى إلى استغلالهم من جهات مشبوهة لتحقيق أهدافها في تدمير الشعوب والبلاد المسلمة بأيدي أبنائها، ولذلك قضية تعزيز الانتماء للوطن؛ من القضايا المعاصرة التي تستوجب غرس حب الوطن والانتماء إليه في مقررات التعليم^(٣).

ث - الرفقة السيئة من أصحاب السوء ممن لديهم انحرافات فكرية وتوجهات خطيرة، سواء في باب الأخلاق والقيم أو باب المعتقدات، فهذا النوع من رفقاء السوء يعدُّ سبباً قوياً من أسباب الانحراف الفكري.

ج - الظلم الواقع على بعض المجتمعات الإسلامية في تحقيق متطلبات الحياة

(١) انظر: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي،

محمد دغيم، ص ٣٤.

(٢) انظر: محمد الخطيب، المنهج الخفي والمعلن اتفاقاً واختلافاً، ص ١٠، بحث مقدم للنتقى أبها

الثقافي، ١٤٢٥هـ.

(٣) انظر: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي،

محمد دغيم، ص ٣٦.

الأساسية، وما يرافق ذلك من قوة الشعور باليأس والإحباط في إصلاح الواقع، مع سلب حقوقهم السياسية والاجتماعية والمالية، وهم يعانون ضعف المعيشة في فقر ظاهر وحيلة للتكسب قد تكون منعدمة، وظلم يعجزون عن دفعه، إن هذه المنظومة المتكاملة من الظلم والقهر والعجز قد تؤدي إلى الانحراف الفكري الذي يقود إلى هلاك الفرد والمجتمع^(١).

ح - وجود جماعات وأحزاب في بعض البلدان الإسلامية تنتمي للمجتمع المسلم، يقول الشيخ صالح السدلان رحمه الله: " إن دراسة فاحصة للجذور الفكرية للجماعات والأحزاب في حياة بعض المسلمين المعاصرة، تتطلب نظرة عميقة لهذه الفرق والجماعات والأحزاب الداعية إلى ذواتها حصراً، حيث تصور كل جماعة وفرقة وحزب إلى الناس أنها القائمة على الإسلام، وكل من عداها مخالف لها، وهذا التصور القاصر نراه عند الجميع مطرداً ومتفق عليه، ولهذا كان الجميع أهل فتنة وبدعة وليس هذا الحكم صادراً فيهم عن رأي أو هوى، بل هو ما اتفق عليه أهل العلم من المحققين في أول فرقة وهي الخوارج، وحتى آخر فرقة ظهرت في هذا الوقت"^(٢).

٤ - أسباب تتعلق بالدور المطلوب من بعض المؤسسات في الدولة:

أ - ضعف بعض مؤسسات الدولة الاجتماعية في القيام بدورها بفاعلية مؤثرة ومغيرة في واقع حياة المجتمع، وهامشية بعض البرامج التي تقدمها مثل: المدارس والجامعات، المساجد، وزارة التنمية الاجتماعية، وزارة العمل، وجملة من المؤسسات ذات الطابع الخدمي الاجتماعي الذي يؤثر في حياة الناس بصورة مباشرة، ويعدوا المجتمع مقياساً لمدى إنتاجية تلك المؤسسات^(٣).

(١) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، محمد دغيم ص ٣٦.

(٢) انظر: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، أ. د. صالح بن غانم السدلان، ص ٨-٢٠.

(٣) انظر: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص ٣٥.

ب - مخالفة بعض وسائل الإعلام والأنظمة والقوانين الرسمية في الدولة، بلادنا الحبيبة المملكة العربية السعودية، فيصدر من بعض وسائل الإعلام تحريب ونشر للأفكار المخالفة لقيم المجتمع ومعتقداته، والتي تصطدم معه، وتشويه صورة العلماء الربانيين، وتلميع أصحاب الاتجاهات المنحرفة فكريا، وجعلهم قدوة لأفراد المجتمع، مما يجعل الناس في تناقض مستمر بين حبههم لدينهم ورجبتهم بالتمسك به ومعرفته، وبين الواقع المشاهد والمسموع لهم^(١)، وفي الآونة الأخيرة ظهرت جهود مباركة لبعض أجهزة الإعلام في تعرية الانحرافات الفكرية، وبيان خطورها، مما ساعد على زيادة الوعي المجتمعي بضرر الانحراف الفكري، وكيفية الوقاية منه فيما يخص الناشئة والشباب.

ت - ضعف استفادة بعض فئات المجتمع خاصة فئة الشباب من المرجعية الشرعية الموقرة في الدولة من هيئة كبار العلماء في الرجوع إليها في كل ما يشكل عليهم في الأمور الشرعية، مع تصدر غير المؤهلين لتوجيه الناس وإرشادهم من: المثقفين والمفكرين، والوعاظ والقصاص، ممن سلبوا حق العلماء المعتبرين في توجيه الناس وتعليمهم دينهم^(٢)، وهم ليسوا من أهل الاختصاص بالعلم الشرعي، فذهبوا يفسرون النصوص الشرعية بغير علم ومعرفة، مما تسبب في اضطراب المعلومات وتشويه الحقائق لدى البعض من أفراد المجتمع.

٥ - أسباب تتعلق بالنظام الدولي العالمي:

يرى بعض الباحثين المتخصصين في مجال الإرهاب والتطرف أن الانحرافات الفكرية المؤدية للإرهاب العالمي هي عمل خفي للنظام الدولي العالمي. يقول د. محمد

(١) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص ٤١-٤٣.

(٢) العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف الأسس والمحددات، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ص ١٠-١٥، بحث علمي مقدم لمؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف، جامعة نايف للعلوم الأمنية: ١٤٣٦هـ، وبحث أسباب الانحراف الفكري عند الشباب، محمد السعيد، ص ١٥.

الخطيب: "فرضية الانحراف الفكري، إن هناك صلة مباشرة بين هذا الانحراف وما ينطوي عليه، وبين ما يسمى بالنظام العالمي، وأن رسالة الانحراف الفكري الخفية هي أكبر مدى مما قد تظهر على السطح، وأن الأصولية التي تتبناها العولمة ليست بأقل خطراً على الفكر الإنساني من الأصوليات الدينية... وعليه فإنه في منظور العولمة ونظامها العالمي الجديد فإن أي فكر يقاوم مبادئها ووجودها وتياراتها نظرياً أو عملياً فهو متطرف أو إرهابي، عوضاً أن تكون هي ذاتها بؤرة للتطرف والإرهاب"^(١) وهذه فرضية لها مصداقيتها.

(١) الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، محمد الخطيب، ص ٦٠.

المبحث الثاني

أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري المعاصر.

المطلب الأول: أسس الاحتساب الشرعي على الانحراف الفكري المعاصر:

إنَّ شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووظيفة الاحتساب في ذلك، من أقوى الشعائر الدينية التي تقوم بمهمة الضبط الاجتماعي لسلوك المجتمع المسلم، فمن مقاصد الشريعة الكبرى تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهذه المصالح تتفاوت وتعارض، والضابط الذي يصلح ذلك هو إحياء هذه الشعيرة العظيمة؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الأسس والقواعد الشرعية المثبتة في الوحيين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذه قاعدة في الحسبة: أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصدها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) .. وقد أخبر عن جميع المرسلين أن كلا منهم يقول لقومه: ﴿فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) وعبادته تكون بطاعته وطاعة رسوله، وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات، والقربات والباقيات الصالحات والعمل الصالح... وهذا الذي يُقاتل عليه الخلق، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنهتوا فلا عدوانَ إلا على الظالمين﴾^(٣) وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

جلب منافعهم، والتناصر لدفع ما يضرهم ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة أمرٍ وناهٍ.. وإذا كان لا بد من طاعة أمرٍ وناهٍ فمعلوم أن دخول المرء في طاعة الله ورسوله خير له^(١).

إن الانحرافات الفكرية المعاصرة معاول هدم لاستقرار الفرد والمجتمع والدولة، وإن من أعظم الواجبات وأهم المهمات؛ التصدي لتلك الانحرافات والداعين لها، وفي السياسة الشرعية في الإسلام العلاج النافع والدواء الشافي للقضاء بأمر الله تعالى على كل انحراف فكري يتسبب في إيقاع صور وألوان الأذى على كافة الناس.

تعريف أسس الاحتساب الشرعي:

الأسس جمع، مُفْرَدُهَا أُسٌّ وَأَسَاسٌ، والهزمة والسين تدل على الأصل والشيء الوطيد الثابت^(٢)، والأساس أصل البناء، وأُسُّ الإنسان قلبه لأنه أول متكون في الرحم^(٣)، قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾^(٤) فال تقوى هي أساس بناء المسجد، وهذا المعنى المعنوي لكلمة أساس، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥) وهنا جاء التشبيه

(١) الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٧، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/١٤٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ١/١٤٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

بالبيان المحسوس المشاهد.

يقول الطبري رحمته الله: "مَنْ ابْتَدَأَ أَسَاسَ بِنَائِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِلْمٍ مِنْهُ بِأَنْ بِنَاءَهُ لِلَّهِ طَاعَةً وَاللَّهُ بِهِ رَاضٍ، أَمْ مَنْ ابْتَدَأَهُ بِنِفَاقٍ وَضَلَالٍ وَعَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْهُ بِصَوَابِ فِعْلِهِ مِنْ حَطِّئِهِ، فَهُوَ لَا يَدْرِي مَتَى يَبْتِنُّ لَهُ حَطًّا فِعْلِهِ وَعَظِيمَ ذَنْبِهِ فَيَهْدُمُهُ، كَمَا يَأْتِي لِبِنَاءِ عَلَى جُرْفٍ رَكِيَّةٍ لَا حَابِسَ لِمَاءِ السُّيُولِ عِنَّا وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْمِيَاهِ تَرَى بِهِ التُّرَابَ مُتَنَاطِرًا لَا تَلْبَثُ السُّيُولُ أَنْ تَهْدِمَهُ وَتَنْثِرُهُ؟ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ تَنَاؤُهُ: ﴿فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ يَعْنِي فَانْتَشَرَ الْجُرْفُ الْهَارِي بِنَائِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"^(١).

إنَّ كل منظومة فكرية ما لم تبني على أساس رصين تهاوت أو كادت، فأساس كل شيء فكرة، وأساسها الخبرة العلمية والعملية^(٢)، وإنَّ أسس الاحساب الشرعية مبنية على الوحي الإلهي المعصوم عن كل خطأ، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٣) والذي مبتغاه تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

وهناك فرق بين مصطلحات: أسس وأصول وقواعد، فالأسس والأصول يشتركان في أنهما (الأرضية) التي يتم البناء عليها من قواعد وفروع وتطبيقات^(٤)، وفي هذا المطلب سأذكر أسس وأصول الاحساب الشرعية التي هي المرجع والمقياس والمعيار في الحكم على أي فكرة، هل هي رشيدة أم منحرفة، ثم يليها أذكر القواعد الشرعية المبنية على تلك الأسس في كيفية التعامل مع الانحرافات الفكرية.

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١١/٦٩٥، ط/١، دار هجر للطباعة، القاهرة: ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١/١٧، ط/ مجمع اللغة العربية، القاهرة: ٢٠١٠م، بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ١/١٥٦، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت: ٢٠١٠م.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٤) للاستزادة انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد سليم، ص ٥١، ط/ دار العلم والثقافة، القاهرة: ٢٠١٠م.

مفهوم الاحتساب لغة واصطلاحاً:

الاحتساب والحِسْبَةُ لغةً مشتقة من مادة: حسب، والحاء والسين والباء أصول لأربعة أمور هي:

١ - العُدُّ، فالحِسْبَةُ مصدر الاحتساب كالعِدَّة مصدر الاعتداد، ومنه احتساب الأجر في العبادات وعند المكروهات.

٢ - الكفاية، تقول: شيء حساب أي كافٍ.

٣ - الحِسْبَةُ بمعنى الإنكار، احتسب فلان على فلان بمعنى أنكروا عليه قبيح عمله، قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾^(١) أي جراد، وهو عذاب من الله عليهم لفعالهم المنكر.

٤ - الأحسب وهو الذي ابيضت جلده من داء، والحاء هنا بالفتح وليس الكسر^(٢).

والحِسْبَةُ في الاصطلاح:

"هي أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله"^(٣). وعرفها ابن قيم الجوزية رحمه الله: "فخاصتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(٤). وعرفها ابن خلدون رحمه الله: "هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلاً له"^(٥).

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٠.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣١٠/١، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦٠/٢.

(٣) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ٣٤٩/١، ط/١، دار الحديث، القاهرة ٢٠١٠م.

(٤) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، ص ٢٤٠، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ص ١٧٨، ط/٤، دار الكتب العلمية، بيروت:

فالحسبة أحد الولايات الشرعية المكلف بالقيام بها من ولي أمر المسلمين وحكم بينهم^(١).

الشرعي: المقصود به أي مرجعه ومآله إلى الشريعة الإسلامية الغراء، المثلثة بنصوص الوحيين الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

أسس الاحتساب الشرعي على الانحراف الفكري المعاصر هي:

١ - إنَّ القرآن الكريم والسنة المطهرة هما المصدران الأساسيان في الحكم على الأفكار والأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) فتحكيم شريعة الله تعالى واجب، ونبذ كل ما عداها أوجب، وذلك تمام الإيمان وكمالها.

يقول مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: "فلا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بالله، ورضي حكمه في القليل والكثير، وتحاكم إلى شريعته وحدها في كل شأن من شؤونه، في الأنفس والأموال والأعراض، وإلا كان عابدا لغيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٣)".

فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه، فهو العابد له، ومن خضع لغيره، وتحاكم إلى غير شرعه، فقد عبد الطاغوت، وانقاد له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ

(١) انظر: الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص ٢٧،

ط/١، دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٦هـ.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى
الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾^(١).

٢ - وجوب التحاكم إلى الكتاب الكريم والسنة المطهرة عند الاختلاف

والتنازع في الحكم على الأفكار والأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
سَلِيمًا﴾^(٢).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى
يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل
الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى
ينتفي الحرج من قلوبهم والضيقة، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي
ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليمًا بانسراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر
والباطن.

فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام
الإحسان. فمن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمن
ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومن تركه، مع التزامه فله حكم
أمثاله من العصاة"^(٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٢) انظر: موقع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مقالة: وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما عداه.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي ص ١٨٤، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ.

إنَّ المتابع لأقوال وأفعال من انحرفوا فكرياً، يجد بوضوح ضعف حظهم وقلّة فهمهم لقضية التحاكم إلى الكتاب والسنة فيما اختلفوا فيه^(١)، عدا ما عند بعضهم من الهوى والعناد وخدمة جهات مشبوهة وإفساد في الأرض، دون أدنى خوف من الله تعالى فيما يرتكبونه من اعتداءات معنوية وجسدية، واستحلال حرمة الدم والمسال والعرض.

٣ - أن ولاية الحِسبة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الولايات الواجبة شرعاً، لقوله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ يَبْعَثُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ)^(٢)، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إذا كان جماع الدِّين، وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو المعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي ﷺ والمؤمنين"^(٣).

٤ - تحقيق المقاصد الشرعية من الاحتساب على الانحراف الفكري مطلب شرعي معتبر، وقد بين الإمام الشاطبي رحمه الله تلك المقاصد فجعلها على أربعة أنواع:

أ - قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءً.

ب - قصده في وضعها للإفهام.

ج - وقصده وضعها للتكليف بمقتضاها.

د - وقصده دخول المكلف تحت حكمها^(٤).

(١) انظر: الشبهات المثارة على الاحتساب الفكري، فهد العجلان، موقع صيد الفوائد.

(٢) الترغيب والترهيب، ٢٣٠/٣، رقم ٨٥٩٨٦، حكمه: صحيح.

(٣) الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص ٣٧.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، ٥/٢، ط/١، دار ابن عفان،

وما ذكره الإمام الشاطبي رحمه الله هو أمر متقرر عند العلماء، فالشريعة مقصود بها جلب المصالح للناس، ودرء المفسد عنهم، ومقصود بها أيضا إفهام المخاطبين ما تضمنته من أحكام، وقصده أيضا تكليفهم بتلك الأحكام، والأمر الرابع هو امتثال العباد لكل ما تضمنته الشريعة من تشريع بما فيه الأمر والنهي.

إنّ تطبيق ما تقرر سابقاً على المنحرفين فكرياً سواءً كانوا في جانب الإفراط أو التفريط، أو في جانب الغلو في الدين أو الانفلات من الالتزام بالدين، يحقق المقاصد الشرعية الأربعة، كما يساعد كثيراً في المعالجة الفكرية وفي وضع الخطط المستقبلية للوقاية من وقوع أفراد المجتمع في الانحراف الفكري.

٥ - العلم بالواقع بكل أبعاده ثم الحكم عليه، فالمنحرفون فكرياً ليسوا على مستوى واحد من الانحراف، بل بينهم تفاوت وتباين كبير جداً، فهم يختلفون من عدة نواحي؛ منها: مستوى العلم، مرتبتهم في الاجتهاد، مرتبتهم في التقليد، في منهج التأويل، في هل هم دعاة لفكرهم أم غير دعاة، هل هم مسلحون ويقاثلوا لأجل فكرهم، أم غير مسلحين، فهناك اعتبارات كثيرة تجب معرفتها شريعةً، حتى تكون الأحكام الصادرة على المنحرفين فكرياً مبنية على الحجة والبرهان، وعلى مقتضى حال المحكوم عليه^(١).

٦ - ضرورة ضبط المفاهيم والمصطلحات عند الاحتساب على مقالات وأقوال أصحاب الانحراف الفكري، فيكثر عند من أصاب فكرهم انحراف عن الصراط المستقيم خلل عميق في استعمال الألفاظ وفهم معانيها وما تدل عليه، فيحرفون

(١) الأسس والمحددات لمواجهة الانحراف الفكري، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ص ١٦،

الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ص ٧٠،

ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

النصوص الشرعية (الألفاظ) عن معانيها وفق رؤية فكرية خاصة بهم، فريقٌ منهم للغلو والإرهاب والتشدد في التدين، وفريقٌ آخر للتحرر من تكاليف الشريعة أمراً ونهياً فلا يبقى من الإسلام عندهم إلا اسمه^(١).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله منهج السلف رحمهم الله في التعامل مع المصطلحات فقال: "فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحمل حقاً وباطلاً، نسبوه إلى البدعة أيضاً، وقالوا إنما قابل بدعة ببدعة ورد باطلاً بباطل"^(٢).

إن عناية القرآن الكريم بالمصطلحات وما تحمله من معاني عناية عظيمة جداً، تدل على أثر المفاهيم والمصطلحات في الفكر الإنساني وما يصدر عنه من سلوك. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣) وكذلك الشأن في السنة، فقال ﷺ: (لا يقولن أحدكم خبيث نفسي، ولكن ليقل لقسست نفسي)^(٤).

(١) انظر: معركة النص، فهد العجلان، ص ٢٥، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٤هـ، بدعة إعادة فهم النص، محمد المنجد، ص ٥٦، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٧هـ.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، ١/٢٥٤، ط/ دار الكنوز الأدبية، القاهرة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب، رقم ٢٢٥٠.

(٥) انظر: ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، سعود العتيبي، ص ٧، ط/١، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الرياض: ١٤٣٠هـ.

إن أسس الاحتساب الشرعي كثيرة منضبطة، فهي أصول كلية تُبنى عليها قواعد الاحتساب، ولأنَّ مقام البحث اختصاراً وتركيزاً فعرضتُ أهم هذه الأسس.

قواعد الاحتساب الشرعي على الانحراف الفكري المعاصر:

مفهوم القاعدة لغة واصطلاحاً:

القاعدة في اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي قعد، ومعناه: الثبات والاستقرار^(١).

وفي الاصطلاح: "هي أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته"^(٢).

والقواعد الكلية كثيرة، ولها أنواع وفروع منها: القواعد الفقهية، القواعد الأصولية، قواعد المقاصد، والذي يهمنا في هذا المبحث هو كيفية تطبيق القواعد الشرعية الكلية في باب الاحتساب على الانحراف الفكري، وسأعرض مجموعة من القواعد كأثلة للمراد من هذا المطلب.

أولاً: قاعدة الأمور بمقاصدها:

الأصل في هذه القاعدة قوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات)^(٣) ومعناها "إجمالاً أن أعمال المكلف وتصرفاته من قولية، أو فعلية تختلف نتائجها وأحكامها الشرعية التي تترتب عليها باختلاف مقصود الشخص وغايته، وهدفه من وراء تلك الأعمال والتصرفات، أي إن الحكم الذي يترتب على أمر يكون على مقتضى ما هو المقصود من ذلك الأمر"^(٤).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٣/٣٦٢.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ٥٣/٢. التعريفات، الجرجاني، ص ٢١٩، ط/١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، رقم ١، وأخرجه مسلم، كتاب: الأمارة، رقم ١٩٠٧.

(٤) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين الزاكي، ص ٥١، ط/١، مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

علاقة قاعدة الأمور بمقاصدها في الاحتساب:

يتم تطبيق هذه القاعدة الشرعية على المحتسب والمحتسب عليه كالاتي:

١ - إن صحة النية في الاحتساب للمحتسب الرسمي أو المتطوع واجبة شرعاً، فلا بد أن يكون قصده إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالاً لأمر الله تعالى وابتغاء مرضاته، لا طلب المال أو الجاه أو المنصب، ويدخل في معنى المحتسب الرسمي كل الوظائف التي تؤدي بغرض جلب مصالح الناس ودفع المفاسد عنهم، والوظائف الحكومية داخلة في هذا الباب، ولو أن كل موظف أخلص النية في عمله وأدى الواجب الذي عليه لما ظهر الفساد والظلم، ولما قلَّ العدل وضعف الإنصاف.

٢ - أما المحتسب عليه فإن كل لفظ صريح صدر منه سواءً كان مسموعاً بأي وسيلة من وسائل التقنية الحديثة المسموعة، أو لفظ مقروء ومكتوب، ويكون هذا اللفظ المسموع أو المقروء فيه مخالفة للشريعة الإسلامية سواء كانت في باب الاعتقاد أو المعاملات أو السلوك فإنه يُحتسب على القائل والكاتب ولا يُسأل عن قصده، لأن اللفظ الصريح لا يحتاج إلى نية^(١).

ومن ينظر في وسائل التواصل الحديثة من تويتر، وفيس بوك، ويوتيوب، وواتس آب، وتيليغرام، يجد من بعض الناس تجاوزات شرعية كبرى قد تصل إلى حد خطر جداً، وعدم الاحتساب على ذلك أدى إلى وجود انحرافات فكرية متباينة المستوى بين أفراد المجتمع، فالاحتساب عليها منذ ظهورها هو أحد العلاجات لتجفيف منابع الانحرافات الفكرية.

ثانياً: قاعدة الضرر يُزال:

أورد العلماء رحمهم الله هذه القاعدة الشرعية العظيمة بعدة صيغ منها: لا ضرر

(١) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين الزاكي، ص ٥٨.

ولا ضرار، الضرر لا يزال بالضرر، يزال الضرر بلا ضرر^(١)، وأصل هذه القاعدة قوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)^(٢).

ومعناها "أن كل ضرر يقع على شخص في نفسه، أو ماله، أو دمه فإنه واجب الإزالة، وبالنظر إلى لفظ لا ضرر ولا ضرار فإن معناه نفي الضرر والضرار، وهو نفي لما ليس بمنتهى حقيقة، فيكون المراد النهي والتحريم"^(٣).

يقول الأصولي ابن النجار رحمته الله: "وهذه القاعدة فيها من الفقه ما لا حصر له، ولعلها تتضمن نصفه، فإن الأحكام إما لجلب المنافع أو لدفع المضار؛ فيدخل فيها دفع - أي ما يمس - الضروريات الخمسة؛ التي هي: حفظ الدين، والسنفس، والنسب، والمال، والعرض"^(٤).

ويقول العلامة ابن قيم الجوزية: "إن حكمة الشارع اقتضت رفع الضرر عن المكلفين ما أمكن، فإن لم يمكن رفعه إلا بضرر أعظم منه؛ بقاءه على حاله، وإن أمكن رفعه بالتزام ضرر دونه؛ رفعه به"^(٥).

علاقة قاعدة الضرر يُزال في الاحتساب:

هذه القاعدة أصل في الاحتساب على كل ضرر ومفسدة تقع على المكلفين،

(١) المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ١/٤٤٨، رقم ١٩٠٩، درجة الحديث: صحيح.

(٣) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين الزاكي، ص ١٢٦.

(٤) شرح الكوكب المنير، محمد الفتوح المشهور بابن النجار، ٤/٤٤٣، ط/١، وزارة الأوقاف، الرياض: ١٤١٣هـ.

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه سعد، ٢/١١١، ط/ دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م.

حتى وإن لم يرد في الشريعة ما ينص عليها صراحةً، لأن المنصوص عليه أن الضرر يُزال، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ليس المراد من الشرائع التي أنزلها الله مجرد ضبط العوام، بل المراد منها الصلاح باطناً وظاهراً"^(١).

ويتم تطبيق هذه القاعدة في كل المجالات، وعلى كل الأفراد، كلاً بحسبه، فإذا ثبت أن جهةً أو فئةً أو مجالاً يصدر منه ما يتسبب في وقوع الظلم والتعدي والإفساد، فإنه ينبغي الاحتساب عليه ومنعه من الاستمرار في الإفساد والإيذاء، خاصة في مجال الانحراف الفكري.

ثالثاً: قاعدة الشريعة الإسلامية هي الأصل في تقرير المعروف والمنكر:

هذه القاعدة أصلٌ في تعريف المعروف والمنكر، فالمعروف هو: ما ثبت كونه معروفاً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والمنكر هو: ما ثبت كونه منكراً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. يقول ابن حجر الهيتمي رحمه الله: "المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بواجبات الشرع، والنهي عن محرماته"^(٢).

علاقة قاعدة الشريعة الإسلامية هي الأصل في تقرير المعروف والمنكر في

الاحتساب:

إنَّ المحتسب الرسمي والمتطوع حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهو يستند في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة ويجب عليه ذلك، ولا يجوز له شرعاً أن يحتسب وفق ميوله ورغباته، أو وفق استحسان عقله وتقييحه، وهذا في جانب المحتسب، أما في جانب المحتسب عليه عامةً، ومن عنده انحراف فكري خاصةً؛ فلا يجوز له أن يتخذ غير

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، ٤١١/١١، ط/ مجمع الملك

فهد للطباعة، المدينة المنورة: ١٤١٦هـ.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، ١٤٦/٢، ط/١، دار الفكر، بيروت:

١٤٠٧هـ.

الكتاب الكريم والسنة المطهرة مصدراً لتقرير ما هو معروف وما هو منكر، كأن يجعل تطور ظروف الزمان والمكان عما كانت عليه في السابق سبباً لجعل المعروف منكراً، والمنكر معروفاً كمثل استحلال المال والنفس والعرض المحرمة شرعاً.

رابعا: قاعدة حاضر المنكر باختياره كفاعله:

ومعنى القاعدة لا يجوز للمسلم حضور المنكرات لغير ضرورة وحاجة، فإن حضر أماكن المنكرات باختياره ورضاه فهو في حكم من فعل المنكر، وقد وردت نصوص كثيرة تمنع مجالسة أهل المنكرات، لأن في الجلوس معهم تقوية لشوكتهم، وتكثيرا لسوادهم، عدا ما في الاختلاط بهم من ضرر على تدين الإنسان واستقامته، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٣٠﴾﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾^(٢) ودلالة الآيتين على المقصود والمراد واضحة وبينه.

علاقة قاعدة حاضر المنكر باختياره كفاعله في باب الاحتساب:

إنَّ الشرع يأمر باعتزال المنكرات وعدم الجلوس إلى أصحابها صيانة لتدين المسلم وثبات استقامته، وقد ظهر تساهل كثير من الناس بالجلوس لأصحاب المنكرات ممن ظهر انحرافهم الفكري سواءً كان في باب الاعتقاد أو المعاملات أو السلوك، فأصابهم

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

ضرر وتأثر بفكرهم المنحرف، فظهرت عند من تساهلوا بالجلوس مع أصحاب المنكرات الشبهات والشكوك في الثوابت الشرعية فضلاً عن فروع الشريعة، مما يستوجب بيان هذه القاعدة وتعليمها للناس ترغيباً وترهيباً بأن من حضر المنكر باختياره فهو كفاعله في الاحتساب عليه.

وهذه القاعدة من المسائل المهمة التي تناولها العلماء رحمهم الله تعالى بالتفصيل والاستدلال، فتطلب في مظاهرها^(١).

خامساً: قاعدة شرط الاحتساب في ترك المعروف وفعل المنكر أن يكون ظاهراً^(٢):

إن الاحتساب يتعلق بالمنكرات الظاهرة المعلنة، لا المنكرات المخفية المستترة، لقوله ﷺ: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَاذِي إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يَصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فيقول: يا فلانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيَصْبِحُ يَكشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ)^(٣).

وتعريف الاحتساب ضابطه هو: أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وهذا القاعدة يُفرق فيها بين صلاحيات المحتسب الرسمي والمحتسب المتطوع.

علاقة قاعدة شرط الاحتساب في ترك المعروف وفعل المنكر أن يكون ظاهراً:
من صلاحيات المحتسب الرسمي أن يبحث عن أماكن المنكرات الظاهرة؛ فهذه

(١) للاستزادة انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٢٤٩/٩، ط/ عام، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

(٢) مسائل وقواعد في الاحتساب، عبد الله الوطيان، ص ١٦، ط/١، دار المحتسب، الرياض: ١٤٣١هـ.

(٣) أخرجه البخاري، رقم ٦٠٦٩.

وظيفته المولَّى عليها، ويضبطها ويرفعها لولي الأمر، وهذا ليس من صلاحيات المحتسب المتطوع^(١)، ويُنْبئ على هذا أنه لا يجوز له التحسس والترصد وكشف المنكر المستور، فإن أظهر شخص ما؛ فكرة منحرفة أو دعا لمذهب ضال أو مبتدع وجاهر بذلك بأية وسيلة كانت، مسموعة أو مقروءة أو مشاهدة، فإنه يجب الاحتساب عليه وإنكار فعله ومجاهرته، بمنعه وفق اللوائح التنفيذية المنصوص عليها في نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادسا: قاعدة درء المفسد مقدم على جلب المصالح:

من القواعد الشرعية أن الدين مبناه على تحقيق مصالح العباد في الدارين^(٢) وقد تتراحم المصالح وتتعارض المفسد وجاءت الشريعة مُبَيِّنَةً لكيفية التعامل مع ذلك عند تعارض المفسد والمصالح، فإن درء المفسد مقدم على جلب المصالح.

ومعنى هذه القاعدة إذا تعارضت المفسدة والمصلحة، يُقَدِّم المحتسب درء المفسدة على جلب المصلحة لأنها أولى شرطاً ألا تكون المفسدة مرجوحة والمصلحة راجحة، وهذه من المسائل الخلافية، والراجح فيها ما سبق، والله تعالى أعلم^(٣).

علاقة قاعدة درء المفسد مقدم على جلب المصالح في الاحتساب:

ومثال هذه القاعدة في باب الاحتساب على الانحراف الفكري، كأن يكون أحد الوالدين الأب أو الأم ممن لديه انحراف فكري أيًّا كان نوعه ودرجته وكان داعياً له، وكان الابن وال بنت على خلافهما في الصلاح والاستقامة، فهنا تعارض واجب السير

(١) مسائل وقواعد في الاحتساب، عبد الله الوطبان، ص ١٧-١٩.

(٢) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، ص ٣١٧، الموافقات، الشاطبي، ٣٠٠/٥.

(٣) المرجع السابق، ٣٣٦/٥.

والإحسان للوالدين مع مفسدة الدعوة للانحراف، فإنه يجب على الابن والبنات درء مفسدة الانحراف وعدم الاستجابة لدعوة الوالدين، مع بقاء واجب البر والإحسان لهما، فإن الكفر لا يُسقط البر، فكيف إذا كانا الوالدين مسلمين ولكن أصابهما انحراف فكري من ضلال أو ابتداع أو هوى.

إن قيام الوالدين أو أحدهما بعدم الرضى عن الأبناء والغضب عليهم حال مخالفتهم لما هم عليه من انحراف لا يعتبر شرعاً، ولا يجب على الأبناء طاعتهم في المعصية، ويجب عليهم برهم والإحسان إليهم.

سابعاً: قاعدة لا يشترط أن يكون المحتسب عدلاً مستقيماً:

من شروط الاحتساب المتفق عليها هي: الإسلام والتكليف والعلم والاستطاعة، وهناك شروط مختلف فيها منها: أن يكون المحتسب عدلاً مستقيماً، ويجب التفريق بين شروط الصحة وشروط الوجوب وشروط التولية^(١)، فيجوز الاحتساب ممن يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، والأولى والأصوب أن يكون المحتسب عدلاً مستقيماً، لكنه ليس شرطاً في وجوب الاحتساب للمتطوع، أما المحتسب المولى فالعدالة شرط له، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۗ﴾^(٣).

(١) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص ٨٨.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

تدل الآيات السابقة على أن المطلوب من المسلم فعل أربعة أمور^(١)؛ هي: فعل المعروف، والأمر بفعل المعروف، وترك المنكر، والنهي عن فعل المنكر، فهذه أمور أربعة يجب فعلها عبادة لله تعالى، وكثير من الناس يخلط بينهما، فيجعل وجوب النهي عن المنكر مرتبط بترك الإنسان للمنكرات، ويجعل وجوب الأمر بالمعروف مرتبط بفعل المعروف، وهذا من الشبهات المثارة في هذا الباب^(٢) فينبغي التنبه لذلك.

علاقة قاعدة لا يشترط أن يكون المحتسب عدلاً مستقيماً في الاحتساب على الانحراف الفكري:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي على كل مسلم لقوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(٣) فجميع أفراد المجتمع المسلم يلزمهم إنكار المنكرات وفق مراتب الإنكار ودرجاته^(٤) حتى الفاسق منهم له أن يحتسب احتساب المتطوع، فأهل الانحراف أنفسهم يجب أن ينكر بعضهم على بعض انحرافهم، فلو أنكر عليهم من ليس منهم ولكنه لم يكن عدلاً مستقيماً، فإن فعله صواب وهو مأجور عليه، وما يقوم به كثير من الناس من استنكار احتساب غير العدل لا يُعتد به شرعاً، لأن في استنكارهم إضعاف للحسبة وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع ما فيه من ترك للباطل كي يقوى دون إنكار.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٣/٢، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت:

١٤١٩هـ.

(٢) شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أ. د. فضل إلهي ظهير، ص ١٥، ط/١،

مكتبة المعارف، الرياض: ١٤١١هـ.

(٣) أخرجه مسلم، رقم ٤٩.

(٤) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص ١٤١.

ثامناً: قاعدة كل قصدٍ يخالفُ قصد الشارع تبارك وتعالى فهو باطل:

ومعنى القاعدة أن الشريعة التي شرعها الله تعالى لعباده غايتها ومقصدها تحقيق مصالح العباد، فإذا خالف المكلف ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى وتعارض قصده مع مقصود الشارع تعالى؛ فقصد المكلف يُعد باطلاً^(١)، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في تكاليف الشريعة ما لم تشرع له فعمله باطل"^(٢).

علاقة قاعدة كل قصدٍ يخالفُ قصد الشارع تبارك وتعالى فهو باطل؛ بالانحراف

الفكري:

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٤) إنما شرع الله شريعته للتيسير على عباده، ودلالتهم على ما يصلح حالهم في الدارين، ومخالفة تلك الشريعة هو اختيارٌ للعسر دون اليسر، ولفساد الحال دون صلاحه، فكيف يكون قتل النفس بتفجيرها، وضرب الجسد بالسياط، وتقييد الأطراف بالسلاسل، وشرب الخمر، والرقص والمعازف عبادة وتيسير، وهذا ظاهرٌ في كل من انحرف فكرياً وسلوكياً عن الصراط المستقيم، وأولها فقدان السكينة والطمأنينة وراحة البال وإن تظاهروا بغير ذلك، وثانيها اضطرابهم الفكري وتناقضهم فلا تجدهم على حالٍ ثابتة في الفكر والمعتقد، وثالثها كثرة تشعبهم وتفرقهم، ورابعها عداوتهم لبعضهم وتفرق قلوبهم، وغير هذا كثير، فلاحتساب على من أوقع نفسه بالمشاق والتهلكة ضرورة شرعية، يُستعان فيها بكل وسيلة وأسلوب.

(١) القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين زاكي، ص ٣٣٩.

(٢) الموافقات، الإمام الشاطبي، ٢/٢٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

تاسعا: قاعدة اعتبار المآل:

ومعنى القاعدة هو النظر في عواقب الأمور ونتائجها، وما تؤول إليه، فعلى المحتسب قبل احتسابه أن ينظر فيما يؤول إليه فعله وقوله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧٨) ﴿١﴾ فمنع الله تعالى سبَّ آلهة الباطل لأنَّ سبَّها سيؤدي إلى سبِّ الله تعالى، وقد امتنع النبي ﷺ عن قتل المنافقين وهو قادرٌ عليهم، لأنَّ قتلهم يؤول إلى مفسدة، قال رسول الله ﷺ: (أحاف أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) (٢).

علاقة قاعدة اعتبار المآل:

هذه القاعدة من أهم قواعد الاحتساب، وينبغي لكل محتسب رسمي أو متطوع أن يكون فقيها بها، متعمقاً في جزئياتها لأنه كثيرٌ من المنكرات يُسكَّت عن الإنكار عليها لما لها من نتائج تخالف مقصود الشارع تعالى، ولا يجوز اعتبار هذه القاعدة عند كل منكر حتى لا يتعطل الاحتساب (٣)، وللعلامة ابن قيم الجوزية في هذا الباب كلام ثمين معتبر (٤).

إنَّ المنحرفين فكربا هم جزء من المجتمع المسلم، وقد يكونوا من ذوي القربة للمحتسب، فقبل الاحتساب عليهم ينبغي النظر فيما يؤول إليه الاحتساب عليهم، فقطيعة الرحم والتناؤد بالألقاب وعقوق الوالدين، وزرع الشحاء والبغضاء، والتدابير

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٢) أخرجه البخاري، رقم ٤٩٠٥.

(٣) انظر: القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين زاكي، ص ٣٤٥.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ٤/٣.

والتحاسد، كلها مما نهى الشرع عن وجوده في علاقات المجتمع المسلم فيما بينهم، ومن باب أولى أن تكون بين ذوي القرابة.

كما يدخل في قاعدة اعتبار المال الاحتساب على ذوي الجاه والسلطان، فإنه ينبغي النظر في مال الاحتساب عليهم، فإن كانت تؤدي إلى مفاسد أكثر من المصالح، فتركها أولى وأوجب.

فيما سبق تم ذكر تسعة قواعد شرعية للاحتساب، وهذا الباب كبيرٌ ومفصلٌ والله الحمد في كتب الحسبة والمحتسبين وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذكرته إنما هو قطرة من بحر، والشاهد في ذلك أنه عند القيام بالاحتساب لا بد من مراعاة أسس الاحتساب التي سبق ذكرها، مع علمٍ ومعرفة تامة بقواعد الاحتساب الشرعية، كي تثمر شجرة الاحتساب مجتمعاً صالحاً تقل فيه المنكرات ومنها الانحراف الفكري.

المطلب الثاني: أسس دعوى الحسبة (الاحتساب القانوني) على الانحراف

الفكري المعاصر وفق اللوائح المنظمة للحكم في المملكة العربية السعودية:

تعريف القانون:

"كلمة قانون هي اقتباس من اليونانية، إذ إن كلمة **Canon** تعني: العصا المستقيمة، ويعبرون بها مجازياً عن **Regula** ومنها إلى فكرة الخط المستقيم الذي هو عكس الخط المنحني أو المنحرف أو المنكسر، وهذا تعبير استعاري للدلالة على الأفكار التالية: الاستقامة والتزاهة والصراحة في العلاقات الإنسانية.

ويستخلص من هذا أن كلمة قانون، تستعمل معياراً لقياس انحراف الأشخاص عن الطريق المستقيم، أي عن الطريق التي سطرها لهم القانون لكي يتبعوه في معاملاتهم، والقانون والحق مفهومان مترابطان متلازمان بحيث لا يذكر أحدهما إلا ويتبادر إلى الذهن المفهوم الآخر، ويمكن القول: أن الحق هو ثمرة القانون ونتيجته، كما أن القانون يتمثل عملياً حين تطبيقه بما ينجم عنه من حقوق."^(١)

ويعرف القانون بأنه: "مجموعة القواعد التي تنظم سلوك الأفراد في الجماعة، وتعمل السلطة العامة على تطبيق هذه القواعد من خلال توقيع الجزاء على من يخالفها. ويعرف أيضاً: مجموعة قواعد السلوك العامة الملزمة للأفراد في المجتمع، والتي تنظم العلاقات والروابط، ويناظر كفالة احترامها من خلال الجزاء الذي توقعه السلطة العامة على من يخالفها"^(٢).

(١) المدخل إلى القانون، محمد منصور، ص ٧، ط/١، منشورات الحلبي القانونية، بيروت

٢٠١٠م.

(٢) المدخل إلى القانون، محمد منصور، ص ٦.

دعوى الحسبة (الاحتساب القانوني):

دعوى الحسبة تتكون من كلمتين، دعوى وحسبة، وتعريف دعوى لغة هو: من ادَّعى يدعي، أي يطلب^(١).

وتعريف الدعوى اصطلاحاً هو: "قولٌ لدى القاضي يقصد به الإنسان طلب حقٍ قبل غيره، أو دفعُ خصمٍ عن حق نفسه"^(٢). وسبق تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً.

وتعريف دعوى الحسبة اصطلاحاً هو: "قولٌ لدى القاضي ونحوه، يقصد به المحتسب طلب حق الله تعالى قِبَلَ المحتسب عليه"^(٣) وحق الله تعالى قد يكون خالصاً أو غالباً.

ودعوى الحسبة تسمى أيضاً دعوى المصلحة العامة وهي: "حق الله تعالى أي ما يتعلق به النفع من غير اختصاص أحد، فينسب لله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه، وهي من الدعوى التي يُقبل من أي مسلم رفعها؛ للدفاع عن حق من حقوق الله تعالى والعمل على إزالة المنكر"^(٤).

والسبب الدافع لدعوى الحسبة هو: وقوع منكر متعلق بحق من حقوق الله تعالى الخالصة أو الغالبة، وذلك عندما يعجز المحتسب عن إزالة المنكر بكل ما يستطيع، أو يترجح عند المحتسب ضرورة رفع دعوى الحسبة^(٥).

فدعوى الحسبة تُرفع عند التماذي في فعل المنكر، والعجز عن تغييره، وظهور

(١) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ص ٢٠٥، مادة: دعا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، عبد الرحمن بن قاسم ٣٨٩/٣٥.

(٣) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص ١٤٩.

(٤) الوجيز في شرح المرافعات الشرعية في المملكة العربية السعودية، أحمد فؤاد، ص ١٦، ط/١،

الرياض: ١٤٢٥هـ.

(٥) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص ١٤٩.

ضرر المنكر على المجتمع، مثل: الدعوة إلى أقوال وأفعال هي في باب الشريعة من الانحرافات الفكرية، التي قد لا يصلح معها الستر على المحتسب عليه لتعدي ضرره، فيجوز عندئذ قيام المحتسب الرسمي والمتطوع برفع دعوى قانونية للجهات القضائية المختصة، على كل من يصدر منه مخالفة صريحة أو ضمنية للقوانين المنصوص عليها في النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية، سواء كان المخالف فرداً أو جماعة أو جهة، مواطناً كان أم مقيماً، وهذه تسمى دعوى الحسبة أو دعوى المصلحة العامة، ويجوز أيضاً تسميتها بالاحتساب القانوني أو القضائي.

إنّ دعوى الحسبة هي أحد الوسائل التي يتم من خلالها تحقيق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وسيلة فعّالة ومؤثرة، تهدف إلى حماية حقوق الأفراد في المجتمع ومن أعظم هذه الحقوق شأنًا، حق الأمن الفكري العام وسلامة الرأي العام للمجتمع من التأثير بالانحرافات الفكرية التي يبثها ويروج لها أدياؤها.

أركان دعوى الحسبة أو أسس الاحتساب القانوني:

- ١ - القاضي وهو: من يُعيّنه الملك أو نائبه للفصل بين الخصومات بين الناس.
- ٢ - المدعي وهو: كل مسلم سواء كان محتسب رسمي أو محتسب متطوع.
- ٣ - المدعى عليه وهو: المحتسب عليه الذي رُفعت الدعوى ضده ويدخل معه من يشاركه ويساعده ويدعمه.
- ٤ - المدعى به وهو: وهو الأمر المحتسب فيه، وهو المطالبة بحق الله تعالى بالمحافظة على سلامة المعتقد والشريعة، وهو حق كل مسلم بالأمن الفكري وعدم التأثير بالانحرافات الفكرية.

٥ - طرق الإثبات وهي:

- أ - الإقرار وذلك أن يعترف ويُقر المدعى عليه بما قاله أو فعله مما يُعد انحرافاً فكرياً عن صراط الله المستقيم.

ب - البيئَةُ على من أدعى واليمين على من أنكر، أصل هذه القاعدة الشرعية القانونية قوله عليه الصلاة والسلام: (لو يُعطى الناس بدعواهم؛ لادعى قومٌ دمَاءِ قومٍ وأموالهم، ولكنَّ البيئَةَ على من أدعى؛ واليمين على من أنكر)^{(١)(٢)}.

الأساس الأول في الدعوى القانونية هو أن يكون لدى المحتسب الرسمي أو المتطوع أدلة واضحة وصریحة ضد المدعى عليه في موضوع الدعوى وهي قضية الانحراف الفكري، فيتقدم بها طلباً لإقامة الحكم على المدعى عليه الذي صدر منه صراحة وبأدلة ثابتة شرعاً وقانوناً خروجه عنها، أو تطاوله عليها، أو التشكيك فيها، والتحريض على التمرد عليها، أو دعوة الناس إلى فكره ومعتقده، والانتصار له، باستخدامه لشيء الأساليب والوسائل التي تعبر عن الفكر والمعتقد، وهو يعلم أنه بذلك يخالف قانون الدولة المملكة العربية السعودية الذي ينص على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر الحكم.

إنَّ المحتسب الرسمي والمتطوع عندما يقيم دعوى قانونية مستوفية للشروط والأركان ضد كل صور الانحراف الفكري التي تصدر من أي مواطن أو مقيم على أرض المملكة، فإنه يساهم بدور متميز للقضاء على أية بادرة للانحراف الفكري. ويحتاج المحتسب إلى الصبر والاستمرار والثبات، وإنَّ هذه الصفات الثلاثة أساسية لتحقيق النجاح في كل دعوى قانونية، فلا بد من أن يصبر المحتسب، ويثبت على طول

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الأفضية، رقم ١٧١١.

(٢) للاستزادة انظر: نصاب الاحتساب، عمر السنامي، تحقيق: د. مريز عسيري، ط/١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة: ١٤٠٦هـ، الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سيد أبو سعدة، ط/١، مكتبة دار الأرقم، الكويت: ١٤٠٣هـ، معالم القربى في أحكام الحسبة، محمد القرشي ابن الأخوة، تحقيق: محمد شعبان، ط/ الهيئة العامة للكتاب، مصر:

المرافعات، والأخذ والرد، ويستمر في التعاطي مع كل متطلبات الدعوى، ويحتسب ذلك لله تعالى ولنصرة دينه، ولما فيه من تحقيق النفع للناس، ودفع الشر والضرر عنهم، ثم المطالبة بتطبيق الحكم القانوني والقضائي إذا صدر في حق المدعى عليه، الذي ثبت عليه الانحراف الفكري أو الدعوة إليه، وعدم التساهل في ذلك.

مجالات الاحتساب وموقع الانحراف الفكري منها:

يقسم أهل الاختصاص بالحسبة مجالاتها إلى ثلاثة مجالات هي^(١):

المجال الأول: حقوق الله تعالى الخاصة، وفيها التوحيد ويقابله الابتداع، وفيها الحدود الشرعية ويقابله تجاوز الحدود باستباحة وتحليل الحرام، وفيها المعاملات الشرعية ويقابله المعاملات المحرمة في البيوع والعقود من الربا وغيره.

المجال الثاني: حقوق العباد الخالصة، مثل استيفاء السديون، واستغلال العين المملوكة وغيرها.

المجال الثالث: الحقوق المشتركة بين الله تعالى وبين العباد، وفيها حق غالب وحق خالص، الحق الغالب مثل تحريم قتل النفس، وعدة المرأة والحدود، والحق الخالص للعبد مثل القصاص والنفقة.

والانحرافات الفكرية الموجودة في زماننا تدخل في المجالات الثلاثة، وإن كان أبرزها ما كان في حق الله تعالى، فالبدع والتطاول على الثوابت الشرعية، وتحريف النصوص عن معانيها وما أريدت له، وأيضا الانحراف الفكري موجود في الحدود فقتل النفس بالتفجير، وأستحلال المال الحرام بتفسيرات منسوبة للشريعة وهي منه براء، وغيرها.

(١) نحو مفهوم شامل للاحتساب، عبد الله الوطبان، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض:

وفيما يلي ذكر تطبيقات الحسبة من خلال مواد نظام الحكم في المملكة العربية السعودية، ويوجد أيضا تطبيقات للحسبة في نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيقات الحسبة من خلال مواد اللائحة التنفيذية لنظام الهيئة^(١). وإن بلادنا الحبيبة المملكة العربية السعودية بذلت جهودا جبارة ومتميزة للقضاء على الانحراف الفكري.

وفيما يلي بعض من نصوص الحكم في المملكة العربية السعودية:

النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية والصادر بالأمر الملكي ٩٠/أ بتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ والذي نُشر في جريدة أم القرى في عددها ٣٣٩٧ بتاريخ ١٤١٢/٩/٢هـ، في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى والمكون من ثلاثة وثمانون مادة، تبين نظام الحكم وتشريعاته في المملكة العربية السعودية والتي منها ما يخص موضوع البحث، ما يلي:

المادة الأولى^(٢): المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولغتها العربية.

المادة السادسة: يبايع المواطنون الملك على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره.

المادة السابعة: يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وهما الحاكمان على هذا النظام، وجميع أنظمة الدولة.

المادة الثامنة: يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل

(١) انظر: تطبيقات الحسبة في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية، عبد

العزيز التويجري، ص ١٧-٤٧.

(٢) انظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء.

والشورى والمساواة، وفق الشريعة الإسلامية.

المادة الثانية عشرة: تعزيز الوحدة الوطنية واجب، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام.

المادة الثالثة والعشرون: تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

المادة السادسة والعشرون: تحمي الدولة حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية.

المادة الخامسة والأربعون: مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ويبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء واختصاصاتها.

المادة السادسة والأربعون: القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية.

المادة الثامنة والأربعون: تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية، وفقا لما دل عليه الكتاب والسنة، وما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة.

المادة الخامسة والخمسون: يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية طبقا لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية، والأنظمة، والسياسة العامة للدولة، وحماية البلاد والدفاع عنها.

المادة السابعة والستون: تختص السلطة التنظيمية بوضع الأنظمة واللوائح، فيما يحقق المصلحة، ويرفع المفسدة في شؤون الدولة، وفق قواعد الشريعة الإسلامية، وتمارس اختصاصاتها وفقا لهذا النظام، ونظامي مجلس الوزراء ومجلس الشورى^(١).

(١) انظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء.

المبحث الثالث

الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب

على الانحراف الفكري

المطلب الأول: الأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري:

مفهوم التطبيق والمعاصرة:

تطبيق مفرد وجمعها تطبيقات، وأصله مشتق من الفعل: طَبَّقَ. ومعناه: تطبيق الشيء على الشيء أي جعله مساوياً له، والمطابقة هي الموافقة، والتطابق يعني الاتفاق والمساواة، وطابقت بين شيئين أي جعلتهما على حذو واحد ولزقتهما^(١). المعاصرة في اللغة مأخوذة من العصر، ومعناه: المستجد الحادث الذي يقابل القديم، والجديد هو: الشيء الذي لا عهد لك به، وجدَّ الشيء جدَّةً أي حدث بعد أن لم يكن^(٢).

مفهوم التطبيقات المعاصرة للحسبة:

تطبيقات الحسبة هي: "مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يمكن ممارستها في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية وآراء المسؤولين عن الشؤون الميدانية في الهيئة"^(٣).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٠/٢١٠، مادة: طبق، الكلبيات، الكفوي، ص ١٠٥.

(٢) المرجع السابق، ٣/١١٢، مادة: عصر.

(٣) تطبيقات الحسبة في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية، عبد العزيز التويجري، ص ٣، بحث علمي محكم ميداني ضمن بحوث مؤتمر التطبيقات المعاصرة للحسبة في المملكة العربية السعودية، ٣-٤/٤/١٤٣٣هـ، جامعة الملك سعود، كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة.

إن التطبيقات المعاصرة للحسبة هي: مجموعة الأساليب والوسائل المعاصرة؛ سواءً كانت مادية أم معنوية؛ والتي يتم تنفيذها وتطبيقها على كافة المنكرات القولية والفعلية، بهدف إزالتها أو التقليل من ضررها، لجلب المصالح النافعة للعباد في المعاش والمعاد.

مفهوم الأسلوب لغة واصطلاحاً:

الأسلوب معناه لغة: الطريق والفن، والمذهب والوجه، فيقال: سلكت أسلوب فلان في كذا؛ أي طريقته، وأسلوب الكاتب أي طريقته في الكتابة^(١).
والأسلوب اصطلاحاً: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه^(٢). والأسلوب في الاصطلاح يتغير معناه بحسب ما ينضاف إليه، فأساليب الكتابة تختلف عن أساليب الدعوة تختلف عن أساليب الحسبة، والمقصود هنا أساليب الحسبة وهي تعني: الفنون والكيفيات التي يسلكها المحتسب لتطبيق الاحتساب أو دعوى الحسبة^(٣).

متطلبات الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف

الفكري:

إنَّ الانحراف الفكري خطير جداً فهو يهدد مقومات الأمة الإسلامية في معتقدها وفكرها، والذي ينبني عليه السلوك الصادر من أفرادها، فكل سلوك يصدر عن عقيدة وفكر، كما أنه يهدد الأمن الوطني للدولة، لذلك فإن وقاية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري مطلب شرعي عالي الأهمية، وإنَّ معالجة الانحراف الفكري إذا وقع

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤٧٣/١، مادة: سلب.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧٣.

(٣) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيبي، ص ٢٩٠.

أيضا مطلب شرعي عالي الأهمية، ولا يصح أن تكون المعالجة ردود أفعال، أو هجمات استباقية، أو مسكنات وقتية، بل يجب أن تكون هناك خطط استراتيجية وجملية من الأمور هي متطلبات التطبيقات المعاصرة للاحتساب الفكري في الوسائل والأساليب، التي هي قنوات مرور المعالجة الفكرية للانحراف، وفيما يلي ذكر هذه المتطلبات:

١ - إن بلادنا الحبيبة حفظها الله من كل سوء، لديها رؤية واضحة، بعيدة المدى وقصيرة المدى لمواجهة الانحراف الفكري إذا وقع، وللوقاية من وقوعه، فالحمد لله لدينا كدولة خططاً استراتيجية وقائية وعلاجية^(١) وهذا والله الحمد موجود بفضل الله تعالى ثم بفضل وجهود القيادة العليا المثلة في خادم الحرمين الشريفين ملكنا الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله تعالى ذخراً للإسلام والمسلمين، واستمرار العمل على هذه الخطط والاستراتيجيات وتطويرها وفق المستجدات الحديثة يعدوا أهم المتطلبات.

(١) والله الحمد فقد قامت بلادنا الحبيبة مشكورة بوضع خطط استراتيجية لمواجهة الانحراف الفكري والذي يُعد التطرف والإرهاب أحد صوره، وقد أثمرت تلك الاستراتيجيات في وقف تمدد التطرف والإرهاب وإضعافه، وما زال العمل مستمر في مواجهة باقي الانحرافات الفكرية.

للاستزادة في مجال استراتيجيات الأمن الفكري والوطني انظر: نحو استراتيجية وطنية لتكريس مفهوم الأمن الفكري في المجتمع قراءة استطلاعية تحليلية إعلامية، نعيم الحكيم، نحو مجتمع آمن فكرياً "أ نموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمن الفكري"، عبدالحفيظ المالكي، التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالملكة العربية السعودية، سعيد القليبي، دور الأجهزة الأمنية في التعامل مع التطرف والإرهاب "حو استراتيجية للشراكة المجتمعية بين مؤسسات المجتمع والأجهزة الأمنية تعزيزاً للأمن الفكري"، علي الجحني، كل ما سبق بحوث علمية محكمة في كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ٢٢-٢٥/٥/١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض. انظر: موقع صيد الفوائد، بحوث المؤتمر.

٢ - وجود برنامج وقائي للحماية من تعرض أفراد المجتمع للانحرافات الفكرية، وهو ما يعرف بالأمن الوطني، على أن يكون هذا البرنامج تفصيلي شامل لكل المواصفات ذات الجودة في المحتوى والأسلوب لتطبيق البرنامج الوقائي. بمهنية وحرفية تؤتي أكلها وثمارها، وهذا البرنامج موجود والله الحمد، وتطويره وتوسيع قاعدته لتشمل المجتمع بكل فئاته، مع متابعة كل المستجدات والمتغيرات الفكرية، يعدوا من أهم المتطلبات.

٣ - وجود برنامج علاجي تطبيقي لمن لديهم انحرافات فكرية، على أن يكون هذا البرنامج تفصيلي شامل لكل المواصفات ذات الجودة في المحتوى والأسلوب لتطبيق البرنامج العلاجي. بمهنية وحرفية تؤتي أكلها وثمارها، وبرنامج المناصحة هو أحد البرامج العلاجية الناجحة التي تم تطبيقها على الفئة الضالة.

٤ - وجود معايير تقويم، وتقييم، وقياس، ورصد، ومتابعة، وتحليل، واستخلاص نتائج، للبرنامج الوقائي والعلاجي، يتمكن من خلالها أصحاب القرار والحكم في الدولة من إصدار القرارات والأحكام المبنية على رؤية واضحة مفسرة مستفاداً من تلك المعايير، وهو بفضل الله تعالى موجود، والمطالبة باستمراره وتطويره مطلب وطني.

٥ - زيادة تفعيل دور الكفاءات الوطنية المخلصة، وشحذ هممها لتقديم كل ما لديه من جهد وعمل، للمشاركة والمساهمة في تحقيق الأمن الفكري.

الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة على الاحتساب الفكري:

١ - أسلوب الموعدة الحسنة:

ودليل هذا الأسلوب الحكيم قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥).

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

والوعظ الحسن هو: "نصحٌ وتذكيرٌ مقترنٌ بتخويفٍ وترقيق."^(١) وقد طبقت المملكة العربية السعودية هذا الأسلوب فأثمر تراجع الكثير من انحرافوا فكرياً وذلك عن طريق برنامج المناصحة والرعاية الذي أنشأته وزارة الداخلية^(٢)، والموعظة الحسنة لها صور وأشكال كثيرة منها:

أ - القول الصريح اللين: ويكون بمواجهة صاحب الفكر المنحرف بقول صريح بأن فكره الذي يُعبّر عنه في قوله أو فعله إنما هو انحراف عن الصراط المستقيم، ومخالفة صريحة للشريعة الغراء، فبعض الناس يضعف استيعابه لنفسه، فلما تتم موعظته بلطف ولين، ويُنين له لوازم فكره، يحصل له نوع من الإدراك لخطورة فعله، وهذه ثمرة الرفق واللين في الموعظة، فليس كل من اتهمى لفكر منحرف هو بالضرورة يعتقد به ويؤمن به.

ب - الإشارة اللطيفة المفهومة: بعض الناس قد يتأثر بأفكار المنحرفين فكرياً دون أن يصل لمرحلة اعتقاد هذه الأفكار والموت من أجلها، فهذا تكفيه الإشارة اللطيفة المفهومة، واللييب من الإشارة يفهم، ويتم تضمين هذه الإشارة ذكر الثمرات المبررة في الدنيا والآخرة لمن يحمل فكراً منحرفاً؛ ويتبعه سلوكاً أشد إجراماً من فكره.

ج - التعريض والكناية المؤدية للغرض والتورية: وهذا النوع من الموعظة يُستخدم لمن تسمح لهم أنفسهم أن يتبنوا الأفكار المنحرفة أو حتى الدفاع عن أصحابها وأهلها بحجة حرية الرأي، أو فلنسمع ما عندهم، لمثل هؤلاء؛ فإن أسلوب التعريض والكناية

(١) وسائل الدعوة، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغدوي، ص ٦٥، ط ١/، دار إشبيلية، الرياض:

١٤٢٠هـ.

(٢) انظر: موقع مركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية www.mncc.org.sa، جهود

المملكة العربية السعودية في المعالجة الفكرية للإرهاب من خلال برنامج المناصحة والرعاية بوزارة الداخلية، فاطمة السلمي، بحث علمي محكم في كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.

الغير مباشرة قد يجدي نفعاً معهم.

د - التذكير بالنعم المستوجبة للشكر: فإن تذكير أهل الأهواء والبدع والضلال والفكر المنحرف بنعم الله تعالى عليهم في الرزق والصحة والعافية، وأن الله تعالى قادرٌ عليهم لا يُعجزه شيءٌ في الأرض والسماء، وأن محاربة ما شرعه الله تعالى من الأمر والنهي لعباده إنما هو لصالح حالهم في المعاد والمعاش^(١).

٢ - أسلوب الحوار والمجادلة والمناظرة:

إن حوار أهل البدع والأهواء وذوي الاتجاهات المنحرفة فكرياً من أقوى الأساليب وأهمها في بيان الحق وكشف زيف الباطل، ولأن دعاة الباطل ليسوا على مستوى واحد من العلم والمعرفة، فإن الحوار معهم يكون على مستويات:

أ - الحوار السهل مع المبتدئين المتأثرين بمقولات المنحرفين فكرياً، فهؤلاء في بداياتهم يستحسن معهم أسلوب الحوار غير المعقد، لكنه مبني على منهج علمي مقنع ومؤثر^(٢).

ب - الجدل والمجادلة والتي هي أحسن، وهؤلاء يمثلون المستوى الثاني من المتأثرين بالاتجاهات الفكرية المنحرفة وقد اعتقدوا تلك الاتجاهات، فتراهم يجادلون عنها ويدافعون، فالمناسب لهم أسلوب المجادلة، وقرع الحجّة بالحجّة، وتفنيذ البراهين والأدلة للوصول للحقيقة^(٣).

ج - المناظرة وهي عندما يصل الحال بين دعاة أهل الحق والاحتساب ودعاة أهل

(١) للاستزادة انظر: وسائل الدعوة، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغدوي، ص ٦١-٧١.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد المغامسي، ص ٣٢، ط/٤، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض: ١٤٢٨هـ.

(٣) انظر: مناهج الجدل، أ. د. زاهر الألمعي، ص ٥٠، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

البدع والأهواء والضلال والانحرافات الفكرية إلى مرحلة التخاصم والتصادم، فهنا أسلوب المناظرة هو المناسب، والمناظرة تقوم على تأمل الشيء ومعاينته، والمباراة في النظر واستحضار ما يراه ببصيرته، والغالب في هذا النوع من الحوار وهو أسلوب المناظرة لا يقوم به إلا أهل البصيرة ممن ارتفعت درجاتهم في العلم والعمل الصالح، لأنهم ببصيرتهم يفحمون خصومهم بفساد رأيهم وسوء فعالهم التي قد تخفى على كثير من الناس، ولكنها لا تخفى على أهل البصيرة من أن المنحرفون فكراً الغالب عليهم بغض الحق وكراهية انتشاره، والميل إلى اتباع الأهواء الدنيئة^(١).

د - المناقشة وهو حوار المحاسبة والاستقصاء، فيقوم دعاة الحق والحسبة بمحاسبة دعاة الباطل المنحرفون فكراً على أقوالهم وأفعالهم المعلنة والمشهورة بين الناس، والتي منها في زماننا خيانة الوطن، والغدر به بالتعاون من الأعداء عن طريق إثارة الفتن والقلاقل، وإشاعة الأكاذيب وترويج الشبهات في أوقات الشدة التي تمر بها البلاد. إن استقصاء كل تحركات وتصرفات أهل البدع والضلال والأهواء من انخرفوا فكراً وتبعها ثم مواجهتهم بها بأسلوب المناقشة لتجلية حقيقتهم أمام أنفسهم، يُعدوا أحد الأساليب الحكيمة في دعوتهم للرجوع للحق وامثاله.

٣ - أسلوب العقوبات الحسية والمعنوية:

إن أسلوب العقوبات الحسية والمعنوية باب كبير في فقه التعامل مع المخالفين لأهل السنة والجماعة^(٢) فإنه يُنظر في هذه العقوبات بحسب حال كل مخالف لوحده، فإن كانوا جماعة أو منظمة، أو جهة مؤسسية تعتمد التنظير والتخطيط، وصياغة

(١) الفرق المنهجي بين أهل السنة وأهل الأهواء، عبد العزيز العنقري، ص ٢٠، ط/١، دار التوحيد، الرياض: ١٤٣٠هـ.

(٢) انظر: فقه التعامل مع المخالف، أ. د. عبد الله الطريقي، ص ٥٧-٨٥، ط/١، دار الوطن للنشر، الرياض: ٢٠١١م.

الأهداف والمرحلية في التطبيق لأجل نشر بدعهم وضلالهم وأفكارهم المنحرفة، فإنها تُقابل بالمثل؛ بمعنى أن تتولى جهة رسمية تنفيذ العقوبات الحسية والمعنوية، وتكون مرحلية ومراعية حال من كان يدعو لفكر منحرف مستقلا لوحده، وحال من يدعون كجماعة ومؤسسة، وأن يكون كل ذلك وفق الضوابط والقواعد الشرعية في التعامل مع المخالفين، فلا يجوز التعدي والاستطالة عليهم بغير وجه حق، ولأن القصد والغاية هو هدايتهم وصلاحتهم^(١).

وهذا النوع من العقوبات من اختصاصات الدولة حفظها الله، وهو يدخل ضمن مسؤوليات وزارة الداخلية، وزارة العدل، والنيابة العامة، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، والرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء وهيئة كبار العلماء.

أمثلة للعقوبات المعنوية:

أ - التشهير بهم، والإعلان عنهم بأسمائهم الصريحة بأهم خارجون عن نظام الدولة^(٢)، وعن اتباع شريعة الإسلام، ونشر ذلك بكل وسائل التواصل الاجتماعي، وباستخدام التقنية والتكنولوجيا في التشهير بهم، والتشهير بالمنحرفين فكريا لا يكون إلا بحكم قضائي كعقوبة تعزيرية، وموافقة من المقام السامي، لأن المسلم له حرمة في عرضه^(٣).

(١) قواعد فقه التعامل مع المخالفين، سليمان الماجد، بحث الكرتوي بموقع الشيخ.

(٢) وهو ما يُعرف بالإعلان عن المطلوبين أمنيا ممن انحرفوا فكريا في القنوات الرسمية للدولة، ودعوة أفراد المجتمع للتبليغ عنهم.

(٣) انظر: جريمة التشهير وعقوبتها، عبد الرحمن الخليفة، ص ٣٠، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض:

إن قضية تعيين المخالفين لأهل السنة والجماعة في المعتقد والسلوك من أهل البدع والضلال والأهواء والمنحرفون فكراً، والتشهير بهم، ليست قضية سهلة وبسيطة، ويتكلم فيها أي أحد، بل هي من القضايا التي تتولاها القيادة العليا في الدولة، ويساعدهم في ذلك أهل الاختصاص من المحتسبين الرسميين في الدولة، وأهل العلم والفضل ممن اشتهر عنهم حسن السيرة وصلاح العمل، وذلك حتى لا تنقلب المصالح إلى مفسد، فلا بد من وزن عقوبة التشهير بميزان الشريعة والعقل والعرف.

ب - تحذير كافة أفراد المجتمع من التعامل معهم، والبيع والشراء لهم ومنهم، وخلق درجة من الخوف في حس المجتمع من هؤلاء المنحرفين فكراً سواء أكانوا في جانب التفريط أو الإفراط، الغلو أو الانفلات، وهذا ما يُعرف بالعزلة المعنوية، حتى يدركوا أنهم صاروا فئة غير مقبولة ومرفوضة في المجتمع المسلم، فهم نشاز فيهم.

ج - التواصي بين الناس بعدم حضور مجالس من عُرف عنهم انحرافهم الفكري، فإن بعض هؤلاء قد يكون لهم نشاط اجتماعي وخدمة مجتمعية، أو مركز ومنصب مرموق، وهو في ذات الوقت من دعاة الأفكار المنحرفة عن هداية الصراط المستقيم، فيمتنع الناس عن حضور ندواتهم ومناقشاتهم وكل ما يتصل بهم، عقوبة لهم على إصرارهم على الضلال.

د - عدم شراء كتبهم، أو متابعة مواقعهم في تويتر، والفييس بوك، والتليجرام، والانستغرام، والسناب، وكل وسيلة إعلامية يستخدمها المنحرفون فكراً تتم مقاطعتها، ودعوة الناس بالبعد عنها.

أمثلة للعقوبات الحسية:

أ - الفصل من العمل إن كانوا موظفين في الدولة، لأنه من خلال الرصد والمتابعة ثبت أنهم ينشرون فكرهم المنحرف لمن حولهم من زملاء العمل، وغايتهم تكثير سوادهم، وإظهارهم أهم أغلبية وكثرة تؤمن وتعتقد بما يدعون إليه من بسدع،

وضلال، وانحراف فكري، فيتم قطع الطريق على إفسادهم بفصلهم من العمل.

ب - حرمانهم من بعض حقوقهم المادية الوظيفية كأسلوب تعزير لهم، كحرمانهم من الراتب التقاعدي هذا بعد فصلهم، وإن كانوا على رأس العمل فيتم حرمانهم من البدلات والامتيازات المالية المقررة لكل موظف ولا يعدوا هذا ظلماً وبغياً عليهم، لأن اللوائح والأنظمة في مجال العمل تنص على منع استغلال الوظائف لنشر الأفكار والمعتقدات والتوجهات التي تُخالف نظام الدولة، وهي مخالفة لشريعة الله تعالى^(١).

ج - سجنهم وحبسهم لحماية المجتمع من نشر سمومهم وأفكارهم المنحرفة، وواقع بعض المسجونين في قضايا الإرهاب والفكر المتطرف، وقضايا تغريب الدولة ونشر العلمانية والمذاهب الهدامة، يؤكد ضرورة وأهمية اتخاذ هذا الإجراء وهو السجن والحبس.

د - تقرير عقوبة الجلد عليهم بحسب الجرم الذي ارتكبه، وهذا النوع من العقوبات المشروعة هو ما يُعرف بالحدود الشرعية التي جُعِلت للحفاظ على الضروريات الخمس لكل إنسان، وهي النفس والعرض والعقل والمال والدين، وما شُرعت هذه الحدود إلا لوجود أفراداً لا يستجيبون للحق ويتركون الباطل إلا إذا جُلدت ظهورهم، وأدميت جلودهم، فساعتها يستفيقون ويعودون لرشدهم.

هـ - نفيهم خارج البلاد وسحب جنسية البلد منهم، فتقطع كل علاقة لهم بالمجتمع المسلم الذي سعوا إلى إفساده وتخريبه، وهذا النوع من العقوبات الحسية يكون لتلك الفئة ذات المنصب والجاه، والتي يتعذر سجنهم أو إقامة الحدود عليهم لوجود حصانة خارجية لهم، فمثل هؤلاء تتبع الدولة معهم نظام سحب الجنسية فلا يعودون ينتمون للوطن، وإن سُمح لهم بالدخول فليس للإقامة بل للزيارة.

(١) انظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، النظام الأساسي للحكم.

إنَّ الأساليب التي يمكن للمحتسبين الرسميين والمتطوعين استخدامها لمواجهة وإزالة الانحرافات الفكرية أو التخفيف من أضرارها كثيرة ومتنوعة، ومنها: أسلوب الترغيب والترهيب، أسلوب عدم الالتفات للمستهزئين، وضرب الأمثال، وأسلوب استدعاء التاريخ وشواهدة لمن انحرفوا فكريا وبيان خاتمتهم، وأسلوب التيقظ والانتباه، وأسلوب المداراة لا المداهنة، وأسلوب التخيير، وغيرها؛ مما نجده في المنهج النبوي الشريف في التعامل مع الانحرافات الفكرية، وكذلك منهج الخلفاء الراشدين، ومنهج أهل الاحتساب عبر التاريخ الإسلامي، مما يساعد على مواجهة الانحرافات الفكرية المعاصرة.

المطلب الثاني: الوسائل في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف

الفكري:

مفهوم الوسائل:

الوسيلة في اللغة: ما يتوسل به إلى الغير أو إلى الشيء، والجمع وسائل، ويختلف معناها بحسب ما تنضاف إليه^(١)

فوسائل الدعوة هي: " ما يتوصل به إلى دعوة الناس بطريق شرعي صحيح"^(٢) ووسائل الحسبة هي: " كل ما يتوصل به المحتسب للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب مادية أو معنوية لتحقيق المنهج المرسوم والأساليب المختارة"^(٣).

والفرق بين الأساليب والوسائل، أن الأساليب أعم والوسائل أخص، وكلاهما لا ينفك عن الآخر، فحيثما كان الأسلوب كانت الوسيلة، فهما كالصورة بإطار، فالصورة هي الوسيلة؛ والإطار هو الأسلوب، فلا يمكن تقلص الوسيلة وعرضها بدون أسلوب، وكذلك الأساليب لا تكون إلا مع وسيلة، فالتداخل بينهما وثيق الارتباط.

الوسائل في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري :

١ - وسيلة القول:

وسيلة القول هي أول الوسائل المادية وأكثرها تأثيراً، فعن طريقها بلغ الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام دعوتهم واحتسبوا فيها، وهي الوسيلة الأكثر ذكراً في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فكم من آية ورد فيها قال، وقل، ويقولوا في أكثر من ثلاثمائة آية مع تصريحات القول ومشتقاته^(٤).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٧٢٤/١١، مادة: وسل.

(٢) وسائل الدعوة، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ص ١٦.

(٣) الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضيري، ص ٢٩١.

(٤) مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي. <https://nashr.qurancomplex.gov.sa/site>

إن الراصد والمتابع لأهل البدع والضلال، والأهواء والمنحرفون فكرياً، يجد أنهم ينشرون أفكارهم للناس ويبلغوهم إياها بأصواتهم؛ في زماننا عن طريق: القنوات الفضائية في البرامج الحوارية، وعن طريق قنوات خاصة بهم، وعن طريق قناة اليوتيوب والفيديو في الشبكة العنكبوتية، وعن طريق نسخ الروابط المسموعة ونشرها في برامج التواصل الاجتماعي، فعن طريق هذه الوسائل المنتشرة، يسمع الناس كل أقوالهم الداعية لفكرهم الشاذ المخالف، ومن تتبع منهجهم في الدعوة لفكرهم المنحرف بأصواتهم وجد ما يلي:

١ - العناية الفائقة باختيار الألفاظ، وانتقاء الجمل، التي يُعبِّرون من خلالها عن فكرهم ومعتقدهم المنحرف، وظهورهم بمظهر الناصح الأمين للناس، المشفق عليهم، والحريص على نقلهم إلى مصاف الأمم المتحضرة، والشعوب الحرة الراقية، وأنهم هم أهل الله وخاصته، وأهل البصيرة والوعي، والفهم العميق للدين وكيفية تطبيقه في الزمن المعاصر.

٢ - الاستدلال بالأدلة والبراهين وعرضها بأسلوب مقنع ومؤثر.

٣ - حسن المظهر في اللباس، وفخامة المنظر التي تُبهج النفوس، وهذا أكثر ظهوراً في جانب المنفلتين من التدين.

٤ - إتقان لغة الجسد المؤثرة في الآخرين، والتي تكون في حركات اليدين، ونظرات العينين، وطريقة الجلوس والقيام، ونبرات الصوت المتقنة في التعبير عن أفكارهم.

٥ - عدم الارتجال والاستعجال في برامجهم الصوتية التي يقدمونها لنشر انحرافهم، فهناك احتراف ومهنية عالية جداً في كل ما يقدمونه.

إن الصفات السابقة لأقوال ذوي الاتجاهات المنحرفة فكرياً هي من الأسباب

القوية التي جعلت بعض الناس يتأثرون بهم، وجعلت البعض الآخر يفكرون فيما يقولونه، وترك البعض الآخر متشكك حائر بين حبه لدينه وتمسكه بسنة نبيه ﷺ على جهل عنده بتفاصيل الشريعة، وبين ميله لأقوالهم^(١).

إنَّ الحكمة في القول في الاحتساب على المنحرفين فكرياً، تُوجب بل تستلزم أن يكون الاحتساب بوسيلة القول على نفس المستوى بل وأكثر احترافية ومنهجية، لأنَّ ديننا عظيم، وهو دين الحق والهدى ويستحق أن نبذل في التعريف به ونشره، ورد الشبهات عنه، كل ما يتوفر من أدوات ووسائل قديمة وحديثة.

آليات عملية لتطبيق وسيلة القول في الاحتساب الفكري:

أ - أن تتولى جهة رسمية كهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعاهد الدعوة، والجمعيات العلمية الدعوية والحسبية، وكراسي البحث العلمية، والقنوات الفضائية الرسمية للدولة، والقنوات الأخرى المعتدلة، ووزارة الثقافة والإعلام، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وهيئة كبار العلماء، وخطب الجمعة والعيدين، والقطاع الخاص، أن يتولوا مسؤولية الاحتساب على الانحراف الفكري بالقول المسموع عن طريق: تكليف فريق يتم تدريبه تدريباً عالياً، بحيث يكون من يتصد لدعاة الباطل فئة متخصصة محترفة تمتلك كل عوامل التأثير والإقناع.

ب - أن يكون من ضمن عمل تلك الجهات الرسمية فريق للرصد والمتابعة، فأى شيء يبثه دعاة الباطل يتم رصده وتحليله والرد عليه بنفس المنهج والآلية^(٢)، حتى نصل

(١) للاستزادة انظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر العقل، ط/١، دار إشبيلية، الرياض: ١٤١٨هـ.

(٢) من الجهود المباركة لبلادنا الحبيبة في هذا المجال افتتاح مركز الحرب الفكرية وهو: مركز عالمي يتبع وزارة الدفاع بالملكة العربية السعودية ويختص بمواجهة جذور التطرف والإرهاب، وترسيخ مفاهيم الدين الحق. وافتتاح المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف.

إلى مستوى الحصانة الكاملة للمجتمع من التأثير بكل دعوات أهل الباطل ممن انحرفوا فكرياً.

والحقيقة الظاهرة كضوء الشمس أن الجهود المبذولة من الجهات السابقة تستحق الشكر والإشادة، وأن الله تعالى من فضله وكرمه عصم المملكة العربية السعودية وشعبها من أن يكون لدعاة الباطل موقِعاً مؤثراً بين الناس.

ت - كل ما يتم تقديمه من برامج وفعاليات متنوعة ومختلفة تخاطب المنحرفين فكرياً يتم إيصاله إليهم، لكل فرد ولكل مجموعة أو حزب أو طائفة، أو أي انتماء على غير هدى من الله تعالى، لأنَّ القصد من كل الجهود، هو إعادتهم إلى الحق والاستقامة على صراط الله المستقيم، وتحقيق الحياة الطيبة لهم في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

ث - الجهود الفردية وتكون كلاً بحسب حاله، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب في ذلك واجب على كل مسلم ومسلمة، وهذا الوجوب من أجدديات الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، فيسعى كل مسلم بتسميع الآخرين الحق والصواب في كل شبهة وباطل تصدر من أهل الضلال، عن طريق نقل البرامج والروابط المسموعة والمرئية الصحيحة والصادرة عن علماء ومصلحين مشهود لهم بالفضل والإمامة في الدين.

ج - استمرار إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات والمحاضرات والمواعظ والدورات العلمية ودروس إذاعة القرآن الكريم وإذاعة نداء الإسلام وبرامج القنوات التلفزيونية التي تنشر وتعزز مفاهيم الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتخصيص موضوعاتها عن كيفية الاحتساب على أصحاب الانحراف الفكري، فهذا يعزز تحصيل الرأي العام في المجتمع من أن يُصاب أو يتأثر بالانحرافات الفكرية.

ح - خطب الجمع وخطب الأعياد من الوسائل المهمة جداً لاجتماع عدد كبير من المسلمين فيها، فهي وسائل قوية لبيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وتعليم الناس فقه الاحتساب ومجالاته وأركانه، وطرق الاحتساب على الانحراف الفكري.

٢ - وسيلة الكتابة:

القصد من هذه الوسيلة هو مكاتبة المنحرفون فكرياً سراً وجهراً، ودعوتهم بالحسنى لتحقيق غاية استجابتهم للحق، ويكون عن طريق:

أ - إرسال رسائل مكتوبة إلى بريدهم الإلكتروني أو العادي.

ب - تكرار إرسال الرسائل المكتوبة بأسلوب الوعظ الحسن، والتذكير بالله تعالى، والترغيب بجنّته، والترهيب من ناره، مع ذكر محاسن المحتسب عليه وفضائله، وثناء الناس عليه فيما قدم من خير لهم.

ج - تأليف الكتب التي ترد على كتب أهل الضلال وتبين زيف أدلتهم، وبطلان دعواهم، وهذه الطريقة موجودة منذ صدر الإسلام، ومؤلفات أهل السنة في بيان فرق الضلال ودعواهم كثيرة والله الحمد والمثنة.

د - إهداء هذه الكتب للمنحرفين فكرياً ودعوتهم للنظر فيها ومقارنتها بما عندهم، لعله يظهر لهم انحراف فكرهم.

٣ - وسيلة الردود وتفنيدهم الشبهات:

والمقصود بها الرد على كل شبهات الغلاة المتطرفين، والمفرطين المتحررين من الدين، وهذا منهج القرآن الكريم مع أهل الشبهات والشهوات، الرد على كل ما يوردونه من شبه وأباطيل قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) وقوله ﷺ: (١) (بِحَمَلُ هَذَا الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عَدُوْلُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

الجاهلین، وانتحال المبطلین، وتأویل الغالین^(١).

برنامج مقترح لتفعيل وسيلة الردود وتفنيده الشبهات:

إن ردود العلماء وأهل الحسبة الربانيون على شبهات وأباطيل المنحرفون فكرياً؛ مبنية على الدليل من الكتاب والسنة، وعلى منهج الاستدلال في أصوله وقواعده، مما يصعب على عامة الناس من غير المتخصصين فهمه وإدراكه، بل قد يصعب على أهل الشبهات أنفسهم الذين لا نصيب لهم ولا حظ في العلم الشرعي إلا ندرة منهم، فتظل الشبهة عالقة في ذهن المنحرف فكرياً، وذهن عامة الناس الذين تأثروا بهم، وتصبح تلك الردود الشرعية التي بُذلت فيها الجهود حبيسة الكتب والمجلدات فاقرح:

أ - تبسيط لغة الردود الشرعية بما يتوافق مع المستوى المعرفي لعامة المسلمين، كأن تكون في صورة سؤال وجواب مرفق معه الآية والحديث.

ب - استخدام التقنية المعاصرة في إخراج الردود الشرعية على شبهات وأباطيل المنحرفين فكرياً بشكل جذاب وملفت للنظر، يجذب الناس للاطلاع عليها واقتناؤها، كمطويات وبطاقات، ورسائل واتس، وفيس بوك وجملة كبيرة من الوسائل الحديثة التي يعرفها المتخصصون بالدعاية والإعلان، ومما اشتهر إقبال الناس عليها.

ج - عمل المختصرات للردود في كتيبات صغيرة تحمل في الجيب والحقيبة.

٤ - وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة:

وهي كل التطبيقات الحديثة في التكنولوجيا المعاصرة، وهي منتشرة بين الناس، والتي هي وسيلة تسهل عليهم التواصل الاجتماعي وتبادل المعلومات والخبرات، وتعدوا من نعم الله تعالى على البشرية، فله الحمد والمنة.

إن وسائل التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين، فعن طريقه يمكن نشر الشر لأكبر عدد من الناس، وعن طريقه أيضاً يمكن نشر الخير لأكبر عدد من الناس،

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي الهيثمي، ١/١٤٥، ط/ مؤسسة المعارف: ١٤٠٦هـ.

والتجارب المعاصرة في ثورات الربيع العربي، وفي إرهاب المتطرفين من تنظيم داعش، وتنظيم القاعدة ودعوات التيارات العلمانية والليبرالية وغيرهم، يؤكد هذه الحقيقة؛ أن وسائل التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين.

وتتم الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي في تطبيق الاحتساب على الانحراف الفكري في مجالين:

المجال الأول: على مستوى الدولة:

إن من واجبات الدولة ضبط هذه الوسائل العالمية، وعدم تركها مفتوحة بلا قيود ولا ضوابط، لأنها جلبت الشرور للدول والشعوب، فالحرية مطلب إنساني مشروع، واحترام سيادة الدول ومعتقدات الناس أيضاً مطلب مشروع ومهمة الدولة هو إتاحة هذه التطبيقات للناس مع وضع قانون ملزم للجميع ينظم آلية التواصل الاجتماعي، وقد وضعت المملكة العربية السعودية بلادنا الحبيبة قوانين لذلك، فبيّنت ما هو مسموح وما هو ممنوع، وشرعت العقوبات المناسبة لمن يخالف نظام الدولة ودستورها في هذا المجال^(١).

المجال الثاني: على مستوى الشعب أفراداً وجماعات:

من الواجبات المقررة على الناس لضمان سلامتهم في أوطانهم، وسلامة دينهم لهم، أن يلتزموا بما تشرعه الدولة من قوانين خاصة بوسائل التواصل الاجتماعي، وأن يستشعروا هذه المسؤولية والواجب المنوط بهم، وأن يتعبدوا لله تعالى بطاعة ولي الأمر فيما يحقق مصالحهم في دنياهم.

إن التطاول على الذات الإلهية، وعلى مقدسات المسلمين، ونشر معتقدات أهل

(١) انظر: نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، المادة السادسة والسابعة والتاسعة، هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات.

البدع والضلال، والترويج للتيارات الفكرية المنحرفة، والطعن في ولاية الأمر من الحكام، وهمز العلماء ولمزهم، وتأليب الناس عليهم، كل ذلك ممنوع ومحظور تداوله، لأنه فتح لأبواب الفتن والشبهات، وإثارة الفتن والقتال، و تفرقة الصفوف وتصعد العلاقات، وواجب الناس أن يستجيبوا لذلك، وأن يحتسبوا على كل من يصدر منه مخالفة للأنظمة، حتى تقوى شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفوس الناس، وتصير الحسبة والاحتساب صفة ثابتة وغالبة على المجتمع.

إن الوسائل التي يمكن للمحتسبين الرسميين والمتطوعين - كلا بحسب موقعه - استخدامها لمواجهة وإزالة الانحرافات الفكرية أو التخفيف من أضرارها كثيرة ومتنوعة، ومنها: وسيلة الدعاء لهم وعليهم، ووسيلة الهجر، والتهادي، والاستعانة بالأعوان، والتأليف بالمال، أو الجاه والنسب، ووسيلة الزيارة لهم، والسفر معهم، ووسيلة اغتنام الفرص للنصح والتوجيه، ووسيلة الصمت والصبر، ووسيلة الاتصال بأصحاب النفوذ والقرار لتنبههم، ووسيلة الهبة، والوسائل غير هذه كثيرة ومتنوعة بل ومعاصرة تتوافق مع متطلبات العصر من التطور والتقدم في مجال التواصل، وكلها وسائل مشروعة تساعد المحتسبين والمتطوعين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، استجابةً لأمر الله تعالى وإتباعاً لهديه عليه الصلاة والسلام.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وله سبحانه عظيم الشكر والإحسان على فضله وكرمه، ومعونته وتيسيره على إنجاز هذا البحث المعنون له بي: أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري، وتطبيقاته المعاصرة.

إن دعوة الناس لفعل المعروف الذي أمر الله تعالى به، والاحتساب عليهم عند فعل المنكر الذي نهى الله تعالى عنه، عملٌ صالحٌ، ومهمة عظيمة، هي وظيفة رسل الله تعالى وأنبيأؤه عليهم الصلاة والسلام، ومن أشد المنكرات خطراً وإثمًا، المنكرات المتعلقة بالفكر الإنساني، فإنَّ الانحرافات الفكرية شديدة الخطورة، وآثارها مدمرة، وأقوى الأدلة على ذلك ما يحدث في العالم اليوم من إرهاب وتطرف، نتج عنه قتل وتشريد، وسفك لدماء الأبرياء، وأكل لحقوق الناس وضياع المعيشة، مع ضلال وحيرة وتيه عن صراط الله المستقيم، تحرم الإنسان من الأمن النفسي والفكري، وبات الأمر شكوى وأنين عالمي في كل قُطرٍ ومِصرٍ.

والمخرج الوحيد، والحل السليم، والمنهج القويم، للحال العالمي في باب الانحرافات الفكرية هو إقامة شريعة الله تعالى السمحة السهلة في واقع الحياة، وهي الوحيدة الكفيلة بإصلاح ما فسد على الأرض، والمملكة العربية السعودية بلادنا الحبيبة اتخذت خطوات كبيرة وجبارة، فيها الحكمة والرشد، وإتباع الشرع القويم في معالجة الانحرافات الفكرية، حتى صارت دولة يُقتدى بها في معالجة الانحرافات الفكرية، فأثمرت أعمالها تجفيف منابع الشر، وقتل بذوره قبل أن تنمو، فأكرمها الله تعالى بالأمن والأمان، وأسأل الله تعالى أن يديمه علينا، وأن يجعلنا جميعاً حكاماً ومحكومين ممن يعلي شريعة الإسلام ويحافظ عليها، ويدافع عنها.

وقد احتوى هذا البحث على بيان أسس وقواعد الاحتساب الشرعي على

الانحرافات الفكرية، وأسس الاحتساب القانوني على الانحرافات الفكرية، وهما آليات لكيفية القضاء على كل انحراف فكري عبر أساليب ووسائل هي تطبيقات معاصرة تساعد المحتسبين والآمريين بالمعروف والناهين عن المنكر لأداء هذه الفريضة العظيمة، شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نتائج البحث:

١ - إنَّ الانحرافات الفكرية موجودة منذ بداية البشرية، فهي قديمة وحديثة، توجد في كل زمان ومكان، وتتفاوت شدةً وضعفاً بحسب استجابة الناس لها، وبحسب قوة الحق أو ضعفه.

٢ - المقياس الأساسي والمعياري الحقيقي في الحكم على فكرة ما أو سلوك ما بأنه منحرف أو مستقيم، هو الرجوع للكتاب الكريم والسنة المطهرة فهما الفيصل في ذلك، لأنَّ الانحرافات الفكرية نسبية تتعلق بالمرجعية العليا لكل نظام.

٣ - مفهوم الانحراف الفكري المعتمد والراجح لدى أهل العلم والمعرفة مع تنوع تخصصاتهم في الأمة الإسلامية هو البعد عن المفاهيم الصحيحة في الاعتقاد والتشريع للدين الإسلامي الحنيف.

٤ - تُعد الانحرافات الفكرية حالة مرضية تُفسد العقائد والسلوكيات والقيم الأخلاقية الإنسانية، وهي شديدة الخطورة وآثارها عنيفة على الفرد والمجتمع والدولة.

٥ - الانحرافات الفكرية تهدد منظومة الأمن الشاملة، الأمن النفسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والوطني والدولي.

٦ - الانحرافات الفكرية ليست نوعاً واحداً، ويمكن تصنيفها بحسب الحكم عليها وبحسب نوعها، فقد تكون شديدة الخطورة فتصل إلى حد الكفر، وقد تكون أقل من ذلك، وهي تظهر في أنواع متعددة ومسميات مختلفة، كالفرق والمذاهب والطوائف، والجماعات والتنظيمات والحركات والاتجاهات.

٧ - إن الحِسبة ولاية من الولايات ونظاماً من الأنظمة، وهي فرضٌ على القائم بأمور الأمة يُعين لذلك من يراه أهلاً لذلك.

٨ - إنَّ شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر الإسلام العظيمة التي هي بمثابة أداة ضبط في المجتمع المسلم، ضبط للأفكار والسلوك، تحفظ للمجتمع استقراره وأمنه الفكري.

٩ - إنَّ الاحتساب على الانحرافات الفكرية له أسس شرعية مهمة تعتمد القرآن الكريم والسنة المطهرة مصدراً أساسياً في الحكم على الأفكار والأقوال والأفعال.

١٠ - إنَّ الاحتساب على الانحرافات الفكرية له مقاصد شرعية تحقيقها يُعد مطلب شرعي معتبر.

١١ - ضرورة العلم بالواقع بكل أبعاده ثم الحكم عليه، فالمنحرفون فكراً ليسوا على مستوى واحد من الانحراف، بل بينهم تفاوت وتباين كبير جداً، فهم يختلفون من عدة نواحي؛ منها: مستوى العلم، مرتبتهم في الاجتهاد، مرتبتهم في التقليد، في منهج التأويل، في هل هم دعاة لفكرهم أم غير دعاة، هل هم مسلحون ويقاثلوا لأجل فكرهم، أم غير مسلحين، فهناك اعتبارات كثيرة تجب معرفتها شريعةً، حتى تكون الأحكام الصادرة على المنحرفين فكراً والاحتساب عليهم مبنية على الحجة والبرهان، وعلى مقتضى حال المحكوم عليه.

١٢ - إنَّ أصحاب الاتجاهات المنحرفة فكراً ليسوا على درجة واحدة، ففيهم الجاهل المقلد، وفيهم المتعصب الحاقد، وفيهم المتورط الذي يتعذر عليه فراقهم، وفيهم من عرف الحق لكنه أضعف من أن يتركهم ويلتحق بأصحاب الحق، وغير ذلك من الأسباب التي جعلت بعض الناس يعتقد تلك الانحرافات الفكرية وينتسب لها، كل ذلك لا بد من اعتباره واعتماده عند الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحرافات الفكرية، وعند إصدار الحكم عليهم، فإن العدل أساس بقاء المجتمع، وأعظم العدل؛ العدل مع من ظلم نفسه.

- ١٣ - أن الحسبة علم قائم بذاته له مفهومه الخاص به، وله أركانه، ومجالاته، وأسبابه، وقواعده، وأنظمتها، ولوائحها المقررة من قبل الدولة.
- ١٤ - إن دعوى الحسبة ودعوى المصلحة العامة والاحتساب القانوني كلها بمعنى واحد وتؤدي نفس الغاية والغرض.
- ١٥ - أن الوسائل والأساليب في التطبيقات المعاصرة للاحتساب على الانحراف الفكري كثيرة ومتنوعة ومتجددة.
- ١٦ - من أساليب الاحتساب على الانحراف الفكري، أسلوب الموعظة الحسنة، أسلوب الحوار والمجادلة والتي هي أحسن، وأسلوب المناظرة، وأسلوب العقوبات الحسية والمعنوية.
- ١٧ - من وسائل الاحتساب على الانحراف الفكري، وسيلة القول، ووسيلة الكتابة، ووسيلة الردود وتفنيد الشبهات، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة.
- ١٨ - التدرج في الاحتساب على الانحرافات الفكرية يعدوا خطة استراتيجية، وهو ما قامت به مملكتنا الحبيبة المملكة العربية السعودية، فتدرجت في توجيه وإرشاد المنحرفون فكرياً، ثم محاورتهم ومناظرهم ثم نصحهم ومجادلتهم والتي هي أحسن، حتى إذا كان هناك فئة رفضت كل أشكال التعاون والتسامح فهنا الحزم والجد يعدوا واجباً شرعياً لحفظ الأرواح وصيانة الحقوق، فتكون العقوبات الحسية من التعزير بالقتل والحبس والجلد والنفي.
- ١٩ - إن الهدف الأساسي والغاية العظمى من الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو هداية الناس ودلاتهم على الحق ليتبعوه، وإن الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في احتسابه على المنكرات، والاهتداء بهديه في ذلك يُعدُّ من أنجح الأساليب في استجابة المنحرفين فكرياً ومنهجية التعامل معهم.

التوصيات:

١ - دعوة الجهات المسؤولة والمختصة للاستمرار فيما تقوم به من جهود متميزة في التوجيه والإرشاد والبيان لكافة أفراد المجتمع عن خطر الانحرافات الفكرية وعواقبها الوخيمة على الفرد والمجتمع والدولة، ومن هذه الجهات المعنية بالتوجيه والإرشاد والبيان: وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد، وهيئة كبار العلماء، ومعاهد وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكراسي البحث العلمية المختصة بالحسبة، ووزارة الإعلام وما يتفرع عنها من قنوات تلفزيونية، وإذاعات، ومجلات، وصحف ورقية والإلكترونية، ومطبوعات.

٢ - إعلاء شأن خطب الجمعة، والأعياد، والدروس العلمية بالمساجد، والمؤتمرات، والملتقيات، والمحاضرات، والندوات، التي تخاطب مباشرة أفراد المجتمع بكافة مستوياته، ودعمها وتطويرها لأداء دورها المثمر في تحقيق الأمن الفكري للمجتمع، وإزالة الانحرافات الفكرية.

٣ - إنَّ الوقاية من الانحرافات الفكرية مطلب مهم، ووجود جهة رسمية ترصد كل انحراف فكري منذ نشأته والتعامل معه بما ينبغي، يساعد كثيراً في زوال الانحرافات الفكرية في المجتمع.

٤ - نشر كتب السلف الصالح رحمهم الله تعالى خاصة كتب الحسبة، والتي فيها الاحتساب على الانحراف الفكري في زمنهم، لنشر الوعي والمعرفة لكافة أفراد المجتمع، ويكون ذلك بأساليب ووسائل حديثة، يتحقق عن طريقها نشر علم وعمل السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

٥ - العناية بنشر سير المحتسبين وجهودهم العظيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع بيان الثمرات الطيبة والنتائج الحسنة لاحتسابهم، من هداية الناس وغلبة الصلاح على المجتمع.

٦ - الوقاية خيرٌ من العلاج، فبناء مناهج التعليم على أسس الوقاية والحماية الفكرية مطلبٌ ملزم، واقترح أن يضاف للتعليم الجامعي مقرر: الأمن الفكري كمتطلب جامعي يتم تدريسه في كل جامعات المملكة، للوقاية من الانحرافات الفكرية والتأثر بها، وأن يكون للتعليم العام نصيبه من ذلك فهو مرحلة تأسيسية.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ط/١، دار الحديث، القاهرة: ٢٠١٠م.
٣. أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، أ. د. صالح بن غانم السدلان، ١٤٢٥/٣/٣هـ، بحث علمي مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٤. أسباب الانحراف الفكري عند الشباب، محمد السعيد، بحث مقدم لمؤتمر الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الإسلامي.
٥. الاستشراف المستقبلي لمجالات الاحتساب في المملكة العربية السعودية، عبدالله الدوسري، بحث علمي محكم ضمن بحوث ندوة الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١١ - ١٢/١٤٣١هـ.
٦. الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، ط/١، دار ابن عفان، الرياض: ١٤١٢هـ.
٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه سعد، ط/ دار الجليل، بيروت: ١٩٧٣م.
٨. اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط/ مكتبة ابن رشد، الرياض.
٩. الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، محمد دغيم، ط/١، الأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربي، الرياض: ٢٠٠٦م.

١٠. الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، محمد الخطيب، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢٦هـ.
١١. الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري، عبد الرحمن الحارثي، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: ١٤٣٣هـ.
١٢. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت: ٢٠١٠م.
١٣. بدعة إعادة فهم النص، محمد المنجد، ط ١، ١٤٣٧هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
١٤. التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية، سعيد القليطي موقع صيد الفوائد، بحوث المؤتمر <https://saaid.net>
١٥. التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحراف، سعيد المغامسي، ط/١، مكتبة دار العلوم، المدينة المنورة: ١٤٢٤هـ.
١٦. تطبيقات الحسبة في ضوء النظام الأساسي للحكم ونظام الهيئة ولائحته التنفيذية، عبد العزيز التويجري، بحث علمي محكم ميداني ضمن بحوث مؤتمر التطبيقات المعاصرة للحسبة في المملكة العربية السعودية، ٣ - ٤/٤/١٤٣٣هـ، جامعة الملك سعود، كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة.
١٧. التعريفات، محمد بن علي الجرجاني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ.
١٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩هـ.

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ.

٢٠. جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، دار هجر للطباعة، القاهرة: ١٤٢٢هـ.

٢١. جريمة التشهير وعقوبتها، عبد الرحمن الخليفي، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٣٢هـ.

٢٢. جهود المملكة العربية السعودية في المعالجة الفكرية للإرهاب من خلال برنامج المناصحة والرعاية بوزارة الداخلية، فاطمة السلمي، بحث علمي محكم في كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.

٢٣. الحسبة العملية والشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. ناجي حضييري، ط/١، دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٦هـ.

٢٤. الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥. حماية المجتمع المسلم من الانحراف، عبد الله الزايد، ط/مجلة البحوث الإسلامية الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١٤٢٦هـ.

٢٦. الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد المغامسي، ط/٤، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض: ١٤٢٨هـ.

٢٧. درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/دار الكنوز الأدبية، القاهرة.

٢٨. دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط/١، دار إشبيلية، الرياض: ١٤١٨هـ.

٢٩. دعوى الحسبة في نظام المرافعات الشرعية السعودي، عبد الرحمن الحسري، رسالة ماجستير في العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٣٦هـ.

٣٠. دور الأجهزة الأمنية في التعامل مع التطرف والإرهاب "نحو استراتيجية للشراكة المجتمعية بين مؤسسات المجتمع والأجهزة الأمنية تعزيزاً للأمن الفكري"، د. علي الجحني، كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ٢٢ - ١٤٣٠/٥/٢٥هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.

٣١. دور الأسرة في انحراف الأولاد، الأسباب والعلاج، محمد النجمي، ورقة مقدمة إلى ندوة المجتمع والأمن، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض: ٢٠٠٤م.

٣٢. دور المربي ورجل الأعمال والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف، عمر التومي، ندوة: دور المواطن في الوقاية من الجريمة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

٣٣. الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٧هـ.

٣٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض: ١٤٠٧هـ.

٣٥. شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أ. د. فضل إلهي ظهير، ط/١، دار المعارف، الرياض: ١٤١١هـ.

٣٦. شرح الكوكب المنير، محمد الفتوح المشهور بابن النجار، ط/١، وزارة الأوقاف، الرياض: ١٤١٣هـ.

٣٧. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط/، المكتبة السلفية، القاهرة: ١٤٠٠هـ.

٣٨. صحيح سنن ابن ماجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض: ١٤٠٧هـ.
٣٩. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاؤه: ١٣٧٤هـ.
٤٠. ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، سعود العتيبي، ط/١، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الرياض: ١٤٣٠هـ.
٤١. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد الفقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢. العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف الأسس والمحددات، أ. د. عبسد الرحمن اللويحق، بحث علمي مقدم لمؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض: ١٤٣٦هـ.
٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.
٤٤. الفرق المنهجية بين أهل السنة وأهل الأهواء، عبد العزيز العنقري، ط/١، دار التوحيد، الرياض: ١٤٣٠هـ.
٤٥. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد سليم، ط/ دار العلم والثقافة، القاهرة: ٢٠١٠م.
٤٦. فقه التعامل مع المخالف، أ. د. عبد الله الطريقي، ط/١، دار الوطن للنشر، الرياض: ٢٠١١م.
٤٧. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ط/ دار إحياء التراث، بيروت.

٤٨. قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد الصبيني، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ.

٤٩. القواعد الشرعية المتعلقة بالاحتساب، علاء الدين الزاكي، ط/١، مطبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٥٠. لسان العرب، ابن منظور، ط/ دار صادر، بيروت.

٥١. اللغو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحيق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي الهيثمي، ط/ مؤسسة المعارف: ١٤٠٦هـ.

٥٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، عبد الرحمن بن قاسم، ط/ مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة: ١٤١٦هـ.

٥٤. مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ، ط/ المكتبة العصرية، بيروت.

٥٥. المدخل إلى القانون، محمد منصور، ط/١، منشورات الحلبي القانونية، بيروت: ٢٠١٠م.

٥٦. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، ط/١، المكتبة العصرية الذهبية، جدة: ١٤٢٧هـ.

٥٧. مذاهب فكرية معاصرة، محمود مزروعة، ط/١، مكتبة كنوز المعرفة، جدة: ١٤٢٥هـ.

٥٨. مسائل وقواعد في الاحتساب، عبد الله الوطبان، ط/١، دار المحتسب، الرياض: ١٤٣١هـ.

٥٩. معالم القربى في أحكام الحسبة، محمد القرشي ابن الأخوة، تحقيق: محمد شعبان، ط/ الهيئة العامة للكتاب، مصر: ١٩٧٦م.

٦٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط/١، مجمع اللغة العربية، القاهرة: ٢٠١٠م.
٦١. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ط/ دار الفكر، سوريا.
٦٢. معركة النص، فهد العجلان، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٤هـ.
٦٣. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ.
٦٤. مناهج الجدل والمناظرة، أ. د. زاهر بن عواد الألمي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٥. المنهج الخفي والمعلن اتفاقا واختلافا، محمد الخطيب، بحث مقدم لمنتدى أهما الثقافي، ٦/١٤٢٥هـ.
٦٦. الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ط/١، دار ابن عفسان، الرياض: ١٤١٧هـ.
٦٧. مؤتمر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الإسلام، بالشراكة بين الجامعة الإسلامية وجائزة الأمير نايف العالمية في الفترة ٢٢ - ٢٣/٨/١٤٣٨هـ، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٦٨. موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف: علوي السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية: ١٤٣٣هـ.
٦٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد مجموعة من المؤلفين بإشراف: مانع الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/١، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض: ١٤١٨هـ.

٧٠. نحو استراتيجية وطنية لتكريس مفهوم الأمن الفكري في المجتمع قراءة استطلاعية تحليلية إعلامية، نعيم الحكيم، كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري، ٢٢ - ٢٥/٥/١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، الرياض.
٧١. نحو مجتمع آمن فكرياً، أنموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمن الفكري، عبد الحفيظ المالكي، أبحاث المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (رسالة دكتوراه) جامعة الملك سعود كرسي الأمن الفكري، موقع: مكتبة صيد الفوائد، أوراق المؤتمرات العلمية.
٧٢. نحو مفهوم شامل للاحتساب، عبد الله الوطبان، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٣٧هـ.
٧٣. نصاب الاحتساب، عمر السنامي، تحقيق: د. مريزن عسيري، ط (١) ١٤٠٦هـ، مكتبة الطالب الجامعي، مكة.
٧٤. الوجيز في شرح المرافعات الشرعية في المملكة العربية السعودية، أحمد فؤاد، ط/١، الرياض: ١٤٢٥هـ.
٧٥. وسائل الدعوة، أ. د. عبد الرحيم المغذوي، ط/١، دار إشبيلية، الرياض: ١٤٢٠هـ.
٧٦. الوسطية في الإسلام، سعيد المغامسي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٣٨، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

البحث رقم (٥)

منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية

إعداد

د. إبراهيم طلبة حسين

الأستاذ المشارك في قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين، وبعد:

فإن الشباب عماد حضارة الأمم، وسر نهضتها؛ لأهم في سن الهمم المتوثبة، والجهود المبذولة، سن البذل والعطاء، والحركة والبناء، وغالباً ما يمثل الشباب النسبة العظمى من السكان، الأمر الذي يقتضي مزيداً من الاهتمام به، والاستثمار فيه، حيث يعتمد نمو خيرات هذه المجتمعات، وملاحقتها لمطالب التطور، وتفوق هيكل عملها وجودته؛ على مدى جدوى عنصر الشباب فيها، ولهذا السبب نجد أنه سرعان ما ينهار أي مجتمع وتضيع قيمه إذا ما وهنَ شبابه، وأغلقت دونه نوافذ العلم والخبرة، بينما تتقدم المجتمعات الأخرى وتسبق غيرها معتمدة على فارق الزمن في إطلاق هذه الطاقات لأقصى ما تستطيع، وكلما اغتنمت الدول طاقات شبابها في العلم والإنتاج وبناء الحضارة زاد إنتاجها وحققت أهدافها.

وما من شك أن الشباب في هذه الفترة يعاني من متغيرات حضارية أثرت على العديد من جوانب الفكر والثقافة، وأحدثت ارتباكاً لدى الشباب في كيفية استثمار طاقاته على الوجه الصحيح. إن التآزم الحضاري ومشكلاته وتقنياته ينصب تأثيره على الشباب في المقام الأول، والناظر المتأمل في نصوص الشريعة يجد أن الإسلام تبني منهجاً متكاملًا لتوجيه طاقات الشباب على الوجه الصحيح، ليكون قادراً على مواجهة المتغيرات الحضارية من خلال التحصين والمناعة التي يضيفها منهج الإسلام على أتباعه وأبنائه من الشباب.

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١/ ضغط المتغيرات الحضارية المعاصرة على الشباب، وضرورة توجيه الشباب إزاء هذه المتغيرات.

- ٢ / أهمية فئة الشباب في أي مجتمع من المجتمعات لأنهم عماد النهضة.
- ٣ / تحصيل فئة الشباب من الانحرافات الفكرية يمثل أهمية كبيرة لأنهم الفئة المستهدفة والتي يسهل اختراقها للنيل من ثوابت الأمة ووحدها.
- ٤ / تعدد طاقات الشباب وتنوع وتوجيه هذه الطاقات وتوظيفها توظيفاً صحيحاً يسهم في البناء الحضاري للأمة.
- ٥ / استقطاب فئة الشباب وتوجيههم يمثل أهمية كبيرة للمتخصصين في الشريعة والثقافة الإسلامية.

- أهداف البحث:

- ١ / الكشف عن أهم طاقات الشباب الكامنة، ومدى عناية الإسلام بالشباب.
- ٢ / إبراز منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب المتعددة.
- ٣ / التعرف على المشكلات والمتغيرات الحضارية الضاغطة على الشباب وعلاج الإسلام لها.
- ٤ / محاولة توظيف طاقات الشباب في البناء والنهوض الحضاري.
- ٥ / تحصيل الشباب ضد الأفكار الهدامة والمتطرفة؛ ليكونوا أداة بناء للوطن، وسواعد فتية تعمل على رفعة وريادته.

- الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي تناولت بعض القضايا المتعلقة بالشباب، ولكنها بعيدة عن موضوع بحثي ومن ذلك:

- ١ / طاقات الشباب الجامعي الفلسطيني في ضوء تحديات العولمة، والمعلوماتية، واقتصاد المعرفة، رجاء زهير عسيلي، (٢٠٠٧)، وهو بحث أجري على مجموعة من الطلاب بكلية التربية بالجامعة الفلسطينية وركز فيه الباحث على القيم وتأثيرها وعلاقتها بالبيئة. في حين أن دراستي ستتطرق للشباب بشكل عام، ولا تختص بدراسة القيم بل طاقات الشباب المختلفة.

٢/ القيم لدى شباب الجامعة في مصر ومتغيرات القرن الحادي والعشرين، د. هاني محمد يونس، مجلة التربية المعاصرة، السنة العشرون. (٢٠٠٣م) وركز فيه الباحث على موضوع القيم أيضاً فقط وانحصرت دراسته في شباب الجامعة في مصر، بينما ستركز دراستي على استكشاف طاقات الشباب المختلفة وكيفية توجيهها وتوظيفها في ضوء المتغيرات الحضارية.

٣/ مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامي، محجوب، عباس (١٤٠٦هـ): كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، قطر. ركز فيه الباحث على المشكلة الجنسية تحديداً وتناول بعض الجوانب السياسية ولم يتطرق إلى المتغيرات الحضارية المعاصرة خاصة وأنه صدر قبل تسعة وعشرين عاماً. بينما ستركز دراستي على مجمل طاقات الشباب ومنهج الإسلام في توجيهها كما ستتطرق دراستي لبعض المتغيرات الحضارية التي تواجه الشباب.

٤/ تربية الشباب؛ الأهداف والوسائل، محمد بن عبد الله الدويش، (٢٠٠١): الرياض، المملكة العربية السعودية. وهو كتاب تربوي دعوي ولم يرتبط بالجوانب الحضارية، ولم يتطرق لطاقات الشباب المختلفة وكيفية توجيهها وتوظيفها. وهذا ما ستركزه هذه الدراسة مع الربط بالواقع الحضاري.

- منهج البحث :

- سأستخدم في هذا البحث المنهج التكاملي حيث سأجمع بين:
- المنهج الاستدلالي في تأصيل قضايا الشباب ومعالجتها في ضوء الكتاب والسنة.
- المنهج التحليلي في تحليل طاقات الشباب وسبل توجيهها.
- المنهج الاستنباطي في كيفية توظيف طاقات الشباب في البناء الحضاري.

- تقسيمات البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وفيها:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

- أهداف الموضوع.

- منهج البحث.

- الدراسات السابقة.

- تقسيمات البحث.

تمهيد: ويشتمل على:

١/ تعريف مصطلحات البحث.

٢/ أهمية مرحلة الشباب واستثمار طاقاتهم.

المبحث الأول: منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية في ضوء المتغيرات الحضارية.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في توجيه الطاقة العقلية في ضوء المتغيرات الحضارية.

المبحث الثالث: منهج الإسلام في توجيه الطاقة البدنية في ضوء المتغيرات الحضارية.

المبحث الرابع: منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية في ضوء المتغيرات الحضارية.

المبحث الخامس: منهج الإسلام في توجيه الطاقة النفسية في ضوء المتغيرات

الحضارية.

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً فأسأل الله التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه

الكريم، وأرجو أن أكون قد وفقت في المساهمة في معالجة جزء من قضايا الشباب التي

لا تزال تحتاج على مزيد من البحث والدراسة، خاصة وأن الشباب هم ثروتنا

الحقيقية، وأملنا في غدٍ مشرقٍ يحملون فيه رسالة الإسلام، ليكونوا صورة حقيقة معبرة

عن دينهم، ويأخذوا بيد أمتهم إلى النهوض الحضاري، والازدهار الفكري والمعرفي،
للتبوأ أمتنا مكانها - الحق - بين الأمم.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
ممثلة في عمادة البحث العلمي التي مولت هذا البحث ودعمته، في إطار دورها الريادي
للهوض بالبحث العلمي؛ ليكون في خدمة المجتمع، والنهوض بشبابه.

والشكر والتقدير لكل من ساهم وأعان وشجع ودعم ونصح وسدد - فرحم الله
امراً أهدى إليّ عيوبي - وكان على الحق والخير معيناً.
والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد

١/ تعريف مصطلحات البحث:

من الأهمية بمكان قبل الولوج إلى موضوع بحثنا أن نعرِّج على بيان أبرز مصطلحات البحث، ودلالاتها وتعريفاتها، حتى يظهر المقصود بموضوع البحث، ومن هذه المصطلحات ما يأتي:

أ/ منهج: "طريق نهج: يبين واضح والجمع نَهَجَات ونُهْج ونهْج ونهْج الطريق وضحه، والمنهاج كالمنهج، وأنهج الطريق: وضع واستبان والمنهاج: الطريق الواضح، وفي القرآن الكريم: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (١). والنهج الطريق المستقيم" (٢). والمنهاج: "الطريق الواضح، والخطة المرسومة، والجمع مناهج، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، وأنهج الطريق: وضع واستبان" (٣). فالمنهج والمنهاج تعني: الطريق الواضح والخطة المرسومة، والطريق المستقيم.

وأما منهج في الاصطلاح: فهي "مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين، لبلوغ هدف معين" (٤).

فالمنهج "هو" الكيفية التي بها نقول شيئاً، أو نعلمه، أو نفعله طبقاً لمبادئ معينة، وحسب ترتيب معين". "وهو: الخطة أو التخطيط اللازم لشيء ما" (٥).

ولدى علماء المناهج المنهج هو: "علم التفكير، أو طريقة كسب المعرفة، أو أنه خطوات منظمة ومحددة يسلكها الباحث في معالجة موضوع ما، أو فن التنظيم

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) لسان العرب، محمد جمال الدين بن منظور، ٢٠٦/٢.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٩٥٧/٢.

(٤) الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفني، ص ٤٧١.

(٥) مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، ص ١٦.

الصحيح لسلسلة من الفكر العديدة من أجل كشف الحقيقة حين الجهل بها، أو البرهنة عليها حين العلم بها" (١).

ب/ الإسلام: من الفعل أسلم أي: "انقاد، وصار مسلماً، كتسلم، والعدو: خذله، وأمره إلى الله تعالى: سلمه. وتسالماً: تصالحاً. وسالماً: صالحاً" (٢). "والاستسلام: الانقياد. والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه" (٣).

والإسلام اصطلاحاً يطلق على معنيين: الأول: بمعنى التوحيد وأصول العقائد المشتركة بين جميع الأديان المترلة من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ (٤).

ووصف الله تعالى أتباع الأنبياء بالإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٥).

والإسلام بهذا المعنى ضد الشرك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَنْتُمْ وَلِيَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

(١) مناهج البحث في العلوم الطبيعية وعلاقتها بالحضارة الإسلامية، السيد محمد السيد علي، ص ٢٥.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١/١١٢٢.

(٣) لسان العرب، محمد جمال الدين بن منظور، ٢/٢٩٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ (١).

الثاني: بمعنى الدين الذي بعث به نبينا محمد ﷺ من الأصول والعقائد والتكاليف بالعبادات والتعاليم الخلقية، وتشريع المعاملات، وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢).

ومقصودنا في البحث المعنى الثاني للإسلام؛ فمنهج الإسلام: أي ما جاء من طرق واضحة مستقيمة في الشريعة الإسلامية من التزم بها لا يزيغ ولا ينحرف.

ج/ توجيه: التوجيه من الفعل وجه والواو والجميم والهاء: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُقَابَلَةٍ لشيءٍ. وَالْوَجْهُ مُسْتَقْبَلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ وَجَّهَ الرَّجُلُ وَغَيْرُهُ. وَوَجَّهْتُ فَلَانًا: جَعَلْتُ وَجْهِي تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، وَالْوَجْهَةُ: كُلُّ مَوْضِعٍ اسْتَقْبَلْتَهُ. وَوَجَّهْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُهُ عَلَى جِهَةٍ (٣). (وجه) انْفَادَ وَاتَّبَعَ يُقَالُ قَادَ فُلَانٌ فُلَانًا فَوَجَّهَ انْفَادَ وَاتَّبَعَ، وَإِلَى الشَّيْءِ تَوَجَّهَ بِمَعْنَى ولى وَجْهَهُ إِلَيْهِ (اتجه) إِلَيْهِ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَيْهِ (تواجهها) تقابلا والجمع: توجيهات (٤).

ومن هذا يظهر أن التوجيه مصدر وجّه، أي وجّهه إلى إرشادات أو نُصَح أو بيان اختارَ توجيهاً يتلاءم مع تكوينه: إتجاهاً، توجّهاً، ويحتاجُ إلى توجيهِ سَلِيمٍ: أي إلى إرشادٍ، والتوجيهات: التعليمات التي يُزودُ بها المسئول مرؤوسيه والتي ترسم كيفية تنفيذ الأعمال (٥).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٦ / ٨٨.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢ / ١٠١٥.

(٥) المرجع السابق ٢ / ١٠١٥.

د/طاقات: جمع طاقة: "وأَطَقْتُ الشَّيْءَ إِطَاقَةً قَدَرْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مُطِيقٌ وَالْإِسْمُ الطَّاقَةُ مِثْلُ الطَّاعَةِ مِنْ أَطَاعَ" (١). والطَّاقَةُ: "الْقُدْرَةُ وَمَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِمَشَقَّةٍ" (٢).

وعلى هذا فالطاقات كل ما يمكن الإنسان أن يفعله وله قدرة عليه؛ فالطاقة: "من الطوق، وهو ما استقل به الفاعل ولم يعجزه" (٣).

والطاقة: بالتحريك مصدر طاق، الوسع، والقدرة على الشيء" (٤). وقد ترتبط هذه القدرة مع المشقة في فعل الشيء كما قال الكفوي: "الطَّاقَةُ: هِيَ اسْمٌ لِمَقْدَارِ مَا يُمَكِّنُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِمَشَقَّةٍ، وَذَلِكَ تَشْبِيهِهُ بِالطُّوقِ الْمُحِيطِ بِالشَّيْءِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (٥). لَيْسَ مَعْنَاهُ مَا لَا قُدْرَةَ لَنَا بِهِ بَلْ مَا يَصْعَبُ عَلَيْنَا" (٦). وقد تعدد طاقات الإنسان فهناك الطاقة الإيمانية، والطاقة العقلية، والطاقة البدنية، والطاقة الجنسية، والطاقة النفسية إلى غير ذلك.

هـ/الشباب: والشباب من أهم المصطلحات التي تحتاج إلى بيان المراد بها، لكون البحث يدور عليها، ويمكننا القول بأن مفهوم الشباب يقصد به: الفتاء والحادثة، شب يشب شبابا وشبيبة. "الشَّابُّ مَنْ أَدْرَكَ سِنَّ الْبُلُوغِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى سِنَّ الرَّجُولَةِ (ج)

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ٢ / ٣٨١.

(٢) المعجم الوسيط، ٢ / ٥٧١.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٢٣٥.

(٤) معجم لغة الفقهاء، قلنجي ص ٢٨٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٦) الكلبيات، أبو البقاء الكفوي، ص ٥٨٦.

شَبَّانٌ وَهِيَ شَابَةٌ (ج) شَوَابٌ (الشَّبَاب) الفتاة والحداثة وشباب الشَّيْءِ أوله" (١).
 والشاب: "اسم فاعل من شب، ج شباب وشبان وشبية، من كان في سن
 الشباب على اختلاف الأقوال: من خمس عشرة سنة إلى الثلاثين ما لم يبلغ عليه
 الشيب، أو من سن التاسعة عشرة إلى الرابعة والثلاثين، أو بين الثلاثين والأربعين" (٢).
 وهناك مرادفات كثيرة لكلمة الشباب منها مثلاً مراهق، وفتى، وصبي، وهي
 كلمات لا تدل على مراحل عمرية محددة ومفصلة بقدر ما تشير إلى خصائص جسمية
 ونفسية لفترة من الحياة، وهي تعني القوة والنشاط والحركة والحماس (٣).
 فالشباب هو الفترة بين الطفولة وسن البلوغ، وهي فترة العطاء والانتعاش، وهو
 الشخص غير المتقدم في السن، وله جمال وخصائص الشباب من حيث الناحية البدنية
 والجسمانية (٤).

ويبدو من خلال المعجم اللغوي، أن الشباب في المعجم العربي، يدل على المرحلة
 التي يكون فيها الفرد في مظهر حسن، ووجه حسن، وجسد مفعم بالحيوية، في حين
 نجد المعجم الأجنبي يشير على أن المراهقة يستعمل كمرادف لمفهوم الشباب، لأن
 المرحلة العمرية التي تحدث ما بين الطفولة وسن الرشد يحصل فيها مجموعة من التغيرات
 النفسية والبيولوجية والاجتماعية.

وانطلاقاً من التحديد اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الشباب يمكننا القول أن معالم
 مفهوم الشباب من الصعب علينا إعطاؤه تعريفاً واحداً وتعريفاً جزمياً ونهائياً، حيث
 نجد عدم الاتفاق على تعريف موحد شامل، يعود لأسباب كثيرة أهمها اختلاف

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١ / ٤٧٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء ص ٢٥٥.

(٣) انظر: سوسيلوجيا الشباب المغربي، عبد الرحيم العطري، ص ١٢ - ١٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤.

الأهداف المنشودة من وضع التعريف وتباين المفاهيم.

كما أنه يمكن القول أن التقسيم الذي وضعه العلماء خصوصاً علماء النفس وعلماء الاجتماع للشباب يكرس هذا الاختلاف ويساهم في ترسيخه، على اعتبار أنهم لم يضعوا معايير ثابتة وموحدة يتم فيها التمييز بين فئة الشباب وباقي الفئات العمرية الأخرى. المهم هي أن الكل يتفق بأن الشباب يمثل القوة المحركة لكل شعب، وهو الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمعات وتشكل هذه الفئة في كل المجتمعات الشريفة الأكثر تأثراً بالأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة، وهي الفئة الأكثر دينامية وتحركاً في المجتمع. فالشباب عبارة عن طاقات متجددة تساهم في تقدم المجتمع. وهو مفهوم يعبر عن خصائص تتمثل أساساً في القوة والحيوية والطاقة، والقدرة على التحمل وعلى الإنتاج في مرحلة معينة من عمر الفرد.

ومما يجب التأكيد عليه أن تحديد مرحلة الشباب في أي سن يبدأ؟ وفي أي سن ينتهي؟ من أكثر الصعوبات التي تواجه أي باحث، حيث إن مفهوم الشباب على المستوى السوسولوجي^(١). مفهوم ليس له حدود واضحة ومضبوطة، "فالحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية حدود اعتباطية فنحن لا نعرف أين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة مثلما لا يمكننا أن نقدر أين ينتهي الفقر ليبدأ الغنى"^(٢). وتظهر هذه الصعوبة في تنوع المراحل العمرية للشباب، وتكمن المرجعية هنا أن مرحلة الشباب تعرف مجموعة من التغيرات في المرحلة التي حددنا فيها السن، فعلى مستوى البيولوجي يكون كل من الشاب والشابة قد استكملا نموها الجنسي وقادرين على الإنجاب، وعلى المستوى القانوني الذي يحدد سن الرشد في ١٨ سنة، وعلى المستوى النفسي

(١) دراسة المجتمعات الإنسانية والمجموعات البشرية وظواهرها الاجتماعية.

(٢) الشباب العربي ومشكلاته، عزت حجازي، ص ٢٧ - ٢٨.

يكون الفرد قد تجاوز مرحلة المراهقة، ومن الناحية الاجتماعية يكون الفرد قادراً على أداء دور اجتماعي يسمح له بالوصول إلى مكانة اجتماعية من داخل المجتمع الذي ينتمي إليه.

وبالجملة "فالإنسان إذا بلغ السادسة عشر من عمره يسمى (شاباً) حتى سن الأربعين ثم هو كهل حتى سن الستين، ومن ثم يسمى (هرماً) حتى يموت. وهذه الحدود ليست موضع اتفاق ولا هي حدود بارزة كحدود الحجرات، في المنزل ولكنها حدود وهمية كخطوط العرض والطول" (١).

والذي أراه وأميل إليه أن الشباب يطلق على تلك المرحلة من البلوغ حتى سن الأربعين وهي مرحلة بلوغ الأشد؛ حيث تشهد مرحلة الشباب التغيرات الجسمية والنفسية والعقلية المختلفة، وعدم القدرة على التفكير السليم المنطقي والاندفاع والحماس، وعدم القدرة على التحصين الفكري إلا من رحم ربي وعصم، وهي تلك الفترة التي تحتاج إلى عناية ورعاية وتوجيه وإرشاد حتى يستفاد مما حياى الله به الشباب من خصائص وطاقات، أما مرحلة ما بعد الأربعين فهي مرحلة الرشد والهدوء والقدرة على موازنة الأمور والترجيح، وأيضاً مرحلة الاستقرار النفسي والعقلي، وقد خص الله هذه المرحلة بالذكر في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي ۖ إِنَّي بِنُتِّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢).

قال الرازي رحمته الله: "وهذا هو السن - أي الأربعون - الذي يحصل فيه الكمال اللائق بالإنسان شرعاً وطباً، فإن في هذا الوقت تسكن أفعال القوى الطبيعية بعض

(١) التربية الإسلامية للشباب، عبد الرحمن بله علي، ص ١٩٠.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

السكون، وتنتهي له أفعال القوة الحيوانية غايتها، وتبتدئ أفعال القوة النفسانية بالقوة والكمال، فالبلوغ إلى الأربعين عبارة عن الوصول إلى آخر مدة الشباب، فهذا يدل على أن توجه الإنسان إلى عالم العبودية والاشتغال بطاعة الله إنما يحصل من هذا الوقت، وهذا تصريح بأن القوة النفسانية العقلية النطقية إنما تبتدئ بالاستكمال من هذا الوقت" (١).

وأكد هذا ابن عاشور رحمته الله بقوله: "والأشد: حالة اشتداد القوى العقلية والجسدية، ووقته ما بعد الثلاثين سنة وتماهه عند الأربعين سنة فقوله: وبلغ أربعين سنة أي بلغ الأشد ووصل إلى أكمله" (٢).

وكما أكدت سابقاً أن الأمر نسبي يختلف من حال شخص إلى آخر؛ فربما شاب في مقتبل حياته، ويمتلك من الرشد والحكمة ما لا يوجد لدى من جاوز الأربعين، وربما من بلغ الأربعين يتعامل ونظرته للأمور، وتقييمه للمواقف والأحداث بعقل الشباب الصغير، ولكن الحكم هنا على الأعم الأغلب.

و/المتغيرات: والمتغيرات: جمع المتغير، وهو من تغير إذا اختلف وقبل التغير (٣). والتغير هو الاختلاف في الصور، أو الأجزاء، أو الحقائق أو في إحداها، قال أبو البقاء الكفوي: "والتغير هو عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى مثل تغيير الأحمر إلى الأبيض، والتغير إما في ذات الشيء، أو جزئه، أو الخارج عنه" (٤).

وعلى هذا فالمتغيرات: "الظواهر التي يمكن أن تتغير أو تتحمل معاني وقيماً

(١) تفسير الرازي، ١٨ / ٢٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦ / ٣٣.

(٣) انظر: القاموس المحيط، ولسان العرب، والمعجم الوسيط: مادة غير .

(٤) الكلبيات، أبو البقاء الكفوي، ص ٢٩٤.

مختلفة" (١).

ز/ الحضارية: الحضارة لغة: من الحضر والحضرة والحاضرة وهي: خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الدير التي يكون لهم بها قرار (٢).

ولقد استخدم ابن منظور الحضارة بمعنى الحضر وهو الاستخدام الوحيد، وقد أورد استخدامات أخرى للحضر بطريقة مختلفة، وهي: الحضور نقيض الغيب، وحضر حضوراً حضارة. والحضر خلاف البدو، والحضارة الإقامة في الحضرة. الحاضر: الحاضر العظيم، والحاضر ضد المسافر (٣).

وبذلك تلاقت المعاني لتصب في حوض الإقامة في الحضرة الذي يعني التفاعل المؤثر والمثمر (٤).

الحضارة اصطلاحاً: أول من توسّع في الكلام عن الحضارة والتفريق بينها وبين البداوة هو "عبد الرحمن بن خلدون" الذي يرى أنّ الناس حين تخطّوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأثّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضّر.

"ثمّ تزيد حالة الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأثّق في علاج القوت واستجدادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/ ١٦٥٦.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤/ ١٩٧.

(٣) المرجع السابق ٤/ ١٩٧.

(٤) انظر: الحضارة العربية الإسلامية، د. طه خضر عبيد ص ١٤ ١٥.

الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويحرون فيها المياه ويعالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها ويختلفون من استحادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضرة، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان" (١).

والتأمل في كلام "ابن خلدون" يجد أنّ كلمة "الحضارة" عنده لم تخرج عن معناها اللغوي. وكلّ ما كان منه أن توسّع قليلاً في شرح حال أهل الحضرة أو المدن والتميز بينهم وبين البدو أهل البادية.

كما عرّف ول ديورانت الحضارة بأنها "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء وبعده لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازهارها" (٢).

إنه لم يتفق الباحثون في التاريخ والاجتماع والحضارة على تعريف معين لها، وإنما اختلفت تعريفاتهم تبعاً لاختلاف عقائدهم ومذاهبهم ومدارسهم، وجاء العرب المحدثون ليقول البعض منهم إن الحضارة: "هي عقائد دينية، وازدهار اقتصادي، وإنجازات إنشائية، وأنظمة تشريعية، وتضامن اجتماعي، وفق تقاليد وعادات موحدة، أو قوى حربية.

ومنهم من عدّها بأنها: الإنجازات التي تحققت للبشرية، أو تحققها البشرية، من

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ص ١٣٢.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ٢٠/١.

خلق وسلوك ومعارف، بينما يراها آخر بأنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان الجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة، مقصوداً أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية. ويجدها آخر بأنها: البحث الفكري، والبحث الروحي (١).

وبعد استعراض مصطلحات البحث واحدة تلو الأخرى يجدر بنا أن نبرز المراد بعنوان البحث: "منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية" أن المراد به:

ما جاء به الإسلام من توجيهات وإرشادات لكي يوظف الشباب طاقاتهم المختلفة على تعدد أنواعها من طاقات إيمانية أو عقلية أو بدنية أو جنسية أو نفسية توظيفاً صحيحاً يتفق وتعاليم الإسلام وينأى بهم عن التيارات المنحرفة والاتجاهات الخاطئة، ويكونوا لبنة صالحة في بناء أمتهم، والنهوض بها في شتى المجالات؛ في ظل التغير الدائم تقنياً وعلمياً وفكرياً، وفي ضوء مستحداث الحضارة الحديثة التي تتخطف الشباب بمنة ويسرة، وتشدهم ببريقها وزخرفها مما يلزم تكوين حائط صدّ يحصن الشباب ضد هذه المخاطر.

٢/أهمية مرحلة الشباب واستثمار طاقاتهم.

تعتبر مرحلة الشباب من أهم المراحل فالشباب هو رأس المال الأمة، وعدتها وعتادها، وحاضرها ومستقبلها، وهو ثروة الأمة التي تفوق ثروتها ومواردها كلها، فإذا أدركت الأمة كيف تحافظ على أعلى ثروتها، وكيف تنميها وترعاها، وكيف توجهها وتستفيد منها وتغيرها، استطاعت أن تؤدّي رسالتها في الحياة تحقيقاً لسرّ وجودها، وتعميراً للأرض، وإثراءً للحياة، وسعادة للبشرية في دينها ودنياها، وإن لم تدرك ذلك كتب لها الشقاء والتعاسة في دينها ودنياها.

(١) مفهوم الحضارة كما يصورها القرآن، سيف صفاء عبد الكريم الدوري، ص ٥.

"ولهذا كان الاهتمام بالشباب ضرورة تفرضه مصلحة الشباب من ناحية، والأمة من ناحية ثانية، وعلى الشباب أن يضع يده على ما أودع الله فيه من طاقات وإمكانات وقدرات عظيمة، وهو بحاجة إلى تربية تشمل جسمه وعقله وروحه وعواطفه وانفعالاته، وإلى علم يربطه بترائه، وقيمه وأهداف مجتمعه" (١).

ورعاية الشباب على هذا الأساس تعدُّ عملية استثمارية على المدى البعيد، فعلى قدر ما نعطي الشباب، ونرعاهم ونعدِّهم الإعداد السليم، بقدر ما يعود هذا العطاء سخياً على شكل خبرات بشرية، أصبحت بحق هي ثروة العصر، وعدة الأمة في حاضرها، ومستقبلها، لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية، بمهمة وعزم لا يلسين في عالم سريع التغير (٢). ويمثل الشباب في كل أمة عمودها الفقري، وقلبها النابض، ويدها القوية التي تبني وتحمي، ومخزون طاقتها المتدفق الذي يملأها حيوية ونشاطاً، وهمزة الوصل التي تربط بين الحاضر والمستقبل، ومن هنا وجبت العناية بهم، والحرص على حسن تربيتهم وإعدادهم.

ويمكن أن نبرز أهمية مرحلة الشباب وأهمية استثمار طاقاتهم في النقاط التالية:

١/ سرعة وتيرة التغيرات الحضارية: حيث يعتبر الشباب وقوداً لحركات التغيير في كل المجتمعات، لما يتمتعون به من حماسة القلب، وذكاء العقل، وحب المغامرة والتجديد، والتطلع دائماً إلى كل جديد، والثورة على التبعية والتقاليد، إلا ما كان ديناً قوياً، أو تراثاً صحيحاً.

"ونظراً لما يشهده العصر الحالي من التغيرات المتسارعة في كل مجالات الحياة، كالثورة المعلوماتية، والتطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والقفزة الهائلة في

(١) مشكلات الشباب "الحلول المطروحة والحل الإسلامي"، عباس محبوب، ص ١٢.

(٢) انظر: الشباب في البادية الأردنية، د. محمود قطام السرحان، ص ٤.

نظم الاتصالات وفضائيات الإعلام، وغير ذلك من مظاهر التغير اللامتناهية، مما يسم حياتنا بعدم الثبات والاستقرار، من هنا وجب علينا أن نربي شبابنا التربية المرنة التي تعلمهم كيف يتعلمون لا ماذا يتعلمون؟، تربيهم كيف يتعاملون مع التكنولوجيا الحديثة بقيم الثقافة التليدة، كيف يضعون بصمتهم على الدنيا فيضيفون ويبدعون، بدل أن يكونوا عالة على أمم الغرب يستهلكون" (١).

ومما يدل على تنامي وسرعة التغيرات الحضارية والمعرفية، أن نشير إلى أن "الإنترنت دخل تونس كأول بلد عربي عام ١٩٩١، ثم تلتها الكويت عام ١٩٩٢، ثم مصر والإمارات عام ١٩٩٣، ولبنان والمغرب عام ١٩٩٤، فقطر وسوريا عام ١٩٩٦، ثم السعودية عام ١٩٩٩ وهكذا.

وتضاعف عدد مستخدمي الإنترنت عالمياً ست مرات من عام ٢٠٠٠م حتى عام ٢٠١١م، في حين تضاعف ٢٣ مرة في المنطقة العربية لنفس الفترة. وحسب إحصاء العام ٢٠١٥م تحتل الإمارات العربية المركز الأول بين الدول العربية من حيث نسبة المستخدمين للإنترنت من إجمالي عدد السكان حيث تبلغ ٩٣% تليها السعودية بنسبة ٦٥% ثم المغرب بنسبة ٦٠% ثم مصر بنسبة ٥٤% فالعراق بنسبة ٣٣%. وأن إجمالي أعداد مستخدمي الإنترنت من العرب كانوا ١٢٣ مليون في عام ٢٠١٥م" (٢).

وتعاني كثير من شركات العالم من تأثير الإنترنت على أداء موظفيها، حيث انخفض انخفاضاً ملحوظاً، لانشغال الموظفين بقضاياهم الشخصية، أو حتى الوصول إلى مواقع مشبوهة. وأورد تقرير إدارة استشارات شبكة (Management consultant web sense) مفاده أن "أكثر من ربع الشركات البريطانية قامت بفصل موظفين لإساءتهم استخدام الإنترنت في الشركة، وقد جاء استعراض المواقع الإباحية في الدرجة

(١) شبابنا في عالم التغيير، نسرین حمزة عباس السلطاني، ص ٢.

(٢) انظر: موقع إنترنت وورلد ستاتس. <http://www.internetworldstats.com>.

الأولى، تلاه برامج المحادثات (Chat) ثم البريد الإلكتروني. وفي البلاد العربية، وجدت دراسة أن ٩٣% من مستخدمي الإنترنت في مستشفى خاص، استخدموه استخداماً غير محمود أخلاقياً، و٤% لأغراض مختلفة و٣% للبحث العلمي^(١).

٢/ ازدياد الصراعات العقدية والمذاهب الفكرية؛ حيث نعيش في عصر الصراعات العقدية، والمذاهب الفكرية ذات الطابع السياسي والحضاري والاقتصادي، وفي منطقة مستهدفة في عقيدتها، وتراثها، وتطلعاتها؛ وشبابها هم الذين يعكسون آثار الصراعات السياسية في تفكيرهم وسلوكهم، ومقاومتهم واستسلامهم، وإعجابهم ورفضهم. وبخاصة أننا نعيش في ظل المد الديمقراطي، والتعددية بكافة أشكالها وأنماطها.

والتربية الاجتماعية السليمة هي التي تؤدي إلى تماسك المجتمع، واعتزاز شبابه بثقافته، وقيمه وأخلاقه، وتقاليده وعاداته، وهي التي تعصمه من الاتجاهات غير المرغوب فيها، والتقاليد الوافدة، والمظاهر السلوكية الشاذة، والتفلت من قيم المجتمع، وضوابطه السلوكية والأخلاقية^(٢).

٣/ الشباب ثروة بشرية: فإنّ الشباب هو الثروة البشرية، والطاقة الإنتاجية التي تحتاج إلى تعليم موجه، يستثمرها، ويزيد من قدراتها ومهاراتها على أسس علمية أخلاقية تربط بين العمل وما يستلزمه من أخلاقيات، وقيم توجهه لخير المجتمع ورفائه وسعادته. ففي التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام (٢٠٠٠م) أظهرت أرقامه أن من كان تحت عمر ١٥ سنة كانوا يشكلون ٣٨,٤% من إجمالي سكان الوطن العربي، ومن كانوا بين ١٥ و ٦٤ سنة كانوا يشكلون ٥٨,٤% من السكان، وما فوق ذلك

(١) المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، ص ٣٧٤.

(٢) انظر: مشكلات الشباب، أحمد حنفي، ص ٥٠.

كانوا يشكلون ٣,٢% من إجمالي السكان (١). في حين أن نسبة من هم دون الخامسة عشر من أعمارهم في الدول المتقدمة بلغت ٢٢% ومن هم بين ١٥ و ٦٤ سنة بلغت ٦٧% ومن هم أكثر من ذلك بلغت ١١% (٢).

ولقد نظرت العديد من دول العالم إلى الشباب كمشروع وطني وقومي، تتحدد من خلاله ملامح الحاضر والمستقبل، باعتباره مؤشراً بارزاً إلى قدرة الدولة، والمجتمع في توجيه المستقبل، والتمكن من إدارته بفاعلية عالية.

"إن الشباب يعد عنصراً أساسياً في العملية التنموية نماءً وإثراءً، وبه ومن خلاله نرى مستقبل الوطن، ورعاية الشباب على هذا الأساس تعد عملية استثمارية على المدى البعيد، فعلى قدر ما نعطي الشباب، ونرعاهم بقدر ما يعود هذا العطاء سخياً على شكل خبرات بشرية هي ثروة العصر، وعدة الأمة في قادم الأيام" (٣).

٤/ الاستلاب الثقافي والهيمنة الأجنبية: عصرنا الذي نعيشه هو عصر الانفتاح والتفجر المعرفي، وإن سرعة التقدم في أنظمة الاتصال الدولي والمواصلات وتطوير أنظمة المعلومات والأقمار الصناعية زاد من سرعة الانفتاح العالمي والتعاون الدولي مما جعل العالم يتجه نحو التوحد والتكتل كما حصل في أوروبا وألمانيا، وقد أصبح العالم بفضل ثورة الاتصالات والمواصلات قرية صغيرة في خريطة الكون، وأصبحت الهيمنة الثقافية من الدول القوية على البلدان النامية أمراً محققاً، وفي ظل هذا التطور تحولت التربية من شأن مجتمعي محدود إلى قضية كلية أو عالمية أو شأن دولي، وأخذت كبرى منظمات الأمم المتحدة «البنك الدولي، اليونسكو، اليونسف، برنامج الأمم المتحدة

(١) انظر: سكان الوطن العربي "دراسة تحليلية"، منصور الراوي، ١/٣٦٠.

(٢) انظر: سكان العالم العربي حاضراً ومستقبلاً، عبد الرحيم عمران، ص ١٤٧.

(٣) دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية

الإثمائي» على عاتقها تكوين تحالف دولي من أجل التربية للجميع.

وتجدر الإشارة إلى أن الصناعات الثقافية بأشكالها المختلفة تمثل غزواً اقتصادياً للوطن العربي، فضلاً عن الغزو الثقافي الفكري، وتنتشر السلع الثقافية الأجنبية انتشار النار في الهشيم في أوساط الشباب بصورة خاصة، ولا تمثل الصحف والسدوريات والكتب إلا جانباً ضئيلاً من هذه السلع.

أما كثرتها الكاثرة فتتجلى في الأفلام السينمائية وفي أدوات الموسيقى من أشرطة وأسطوانات وآلات وغير ذلك من أجهزة الفيديو والتسجيل وأجهزة التصوير المتطورة فضلاً عن الألعاب الخاصة بالأطفال والشباب ولا سيما الإلكترونية منها وسائر مبتكرات الصناعات الثقافية الإلكترونية، "ويمثل هذا الغزو للمنتجات الثقافية تهديداً حقيقياً للوطن العربي اقتصادياً وفكرياً فضلاً عن تأثيره في سائر أنماط السلوك وخاصة عبر القنوات الفضائية، إذ تسرب تمجيد العنف واستثارة الغرائز والشهوات. ونحن مصابون على نطاق الساحة العربية بعقدتي التصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه الثقافة العربية الإسلامية، مما يشكل خطراً كبيراً على الهوية الثقافية العربية ويعمل على خلخلة الانتماء"^(١).

٥/ حب الشباب للتغيير والقدرة على بناء المستقبل: إن التغيير سنة إلهية يقوم

عليها هذا الكون في كل مكوناته المادية والمعنوية، وتتأثر المجتمعات البشرية بسنة التغيير بشكل واضح وإن ظهر بطيئاً أحياناً، وبناء على ريادة الشباب لعملية التغيير فإن "حركات التغيير في التاريخ العالمي اتجهت إلى الشباب لتجعل منه وسيلتها، ومادتها، ومحل أفكارها، وإطار حركتها، ومنجم تضحياتها، ومن طبيعة الشباب أن يستهويه كل جديد، ويرواده كل أمل في التغيير وحسب تقرير البنك الدولي للتنمية البشرية

(١) شبابنا في عالم التغيير، نسرین حمزة عباس السلطاني، ٢٠١٣م، ص ٢.

للعام ٢٠٠٧م، فإنه يعيش في البلدان النامية (١,٣ بليون شاب)، ويعلق التقرير على ذلك قائلاً: "إنه نظراً لوجود ١.٣ بليون شاب يعيشون حالياً في بلدان العالم النامية — وهو أكبر رقم تبلغه شريحة الشباب على مر التاريخ، لم يكن هناك وقت أفضل من الآن للاستثمار فيهم، حيث إنهم أفضل صحة وأوفر حظاً من التعليم مقارنة بالأجيال السابقة، وحيث إنهم يدخلون قوة العمل في ظل انخفاض عدد المعالين بسبب تغير العوامل الديموغرافية. إلا أن من شأن الإخفاق في اغتنام هذه الفرصة لزيادة فعالية ما يتلقونه من تدريب ليلائم احتياجات سوق العمل، ولجعلهم مواطنين فاعلين في مجتمعاتهم أن يؤدي إلى تفشي حالة من الإحباط وخيبة الأمل، ومن ثم إلى توترات اجتماعية"^(١).

وما دام أن الشباب يمثل هذا العدد من سكان الدول النامية والدول العربية جزء كبير منها، فهذا العدد يعطي الشباب قدرة التأثير على مستقبل المنطقة في حالة أن ينهض الشباب ليرسموا مستقبلهم من خلال مؤسسات تنظم طاقاتهم.

"وتعتبر المجتمعات العربية والإسلامية مجتمعات شابة قياساً إلى المجتمعات الغربية التي تتجه نحو الشيخوخة، ويمثل هذا المعطى حافزاً لأهل الإصلاح والتغيير من الدعاة والمصلحين لوضع البرامج الكفيلة باستثمار هذه الطاقات الشابة لتغيير الواقع الإسلامي أولاً ثم الواقع العالمي ثانياً، لحسم مستقبل شبابنا"^(٢).

٦/مرحلة الشباب تتسم بالحماس والطاقة والحيوية والعطاء: فإذا رسمنا منحنى بيانياً يمثل نسبة العطاء والحيوية في مراحل العمر، سنجد أن قمة هذا المنحنى في مرحلة الشباب، ففيها الدراسة والاجتهاد العلمي، وفيها العمل وتحصيل الرزق، وفيها الانخراط في العمل السياسي والاجتماعي، ولذا أوصى النبي ﷺ باغتنام هذه

(١) البنك الدولي: تقرير التنمية في العالم لعام ٢٠٠٧م، التنمية والجيل التالي، <http://wbln.018.worldbank.org/MNA/ArabicWeb.nsf>

(٢) شبابنا في عالم التغيير، نسرین حمزة عباس السلطاني، ص ٢.

وقد ينتج عن الطاقة والحيوية حماسة واندفاع وهي تعلق وولع بالأمر يدعو إلى التشدد فيه، والجرأة والشجاعة في إنفاذه، فهو يبدأ بشعور وعاطفة وتعلق، ينبثق منه حينئذٍ تغير وسلوك نفسي يتولد من خلاله جرأة تترجم إلى شجاعة في إنفاذ الأمر وعدم التساهل أو الترخص فيه (٢).

وقد عبر ابن الأثير رحمته الله عن هذه الحماسة الزائدة، والاندفاع الغير محسوب لدى الشباب بقوله: " وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ قَدْ يُسْرِعُ إِلَى قِلَّةِ الْعَقْلِ لِمَا فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ الْمَيْلِ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى الْمَضَارِّ " (٣).

٧/ ازدياد التغيرات النفسية والعقلية في مرحلة الشباب: ومما يؤكد أهمية

مرحلة الشباب، وضرورة العناية بها ما يطرأ فيها من تغيرات نفسية وعقلية على الشاب "فعلى المستوى النفسي فإن الحاجة إلى الاستقلال والتمركز حول الذات تظهر بقوة عند فئة الشباب، فهم لا يرغبون بالبقاء في البيت أو الجلوس في صحبة الأهل مثل المرحلة السابقة التي كانوا فيها محبين للبيت والأهل أي: مرحلة الطفولة، فهم يرفضون أن تكون هناك سلطة عليهم سواء داخل مؤسسة العائلة أو خارجها، مما يجعلهم يفضلون البحث عن علاقات جديدة قريبة من سنهم بذريعة أن الكبار لا يفهمونهم ومتسلطين، وغالباً ما يحاولون إثبات وجودهم وتميزهم من خلال الأعمال التي يقومون بها، والتي تتصف بالجرأة والتهور أحياناً داخل ما يسمى بالنظام الاجتماعي للمجتمع، إنها فئة متصارعة مع ذاتها ومع المجتمع من أجل الوجود، فالشباب يتصف بأنماط

(١) انظر: الشباب المسلم في مواجهة التحديات، عبد الله ناصح علوان، ص ١٢.

(٢) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبد الله الدويش، ص ٢٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٢ / ٤٧٧.

سلوكية ترتبط بالتوترات بين الذات والمجتمع والنفور من الأشخاص ذوي السلطة المطلقة" (١).

ومن حيث المستوى العقلي، فإنه يمكن القول: "إن مرحلة الشباب تعرف نمواً في نسبة الذكاء بشكل حاد، وارتفاع في القدرة على الإبداع والتفكير بشكل متعمق في الموضوعات، بحيث ينمو الانتباه والتذكر، والتخيل لا على أساس آلي، كما كان من قبل، وإنما على استنتاج العلاقات الجديدة بين الموضوعات، ويصير التخيل خصباً مبنياً على الواقع والصور المجردة، غير محصور في نطاق الصورة الحسية، كما كان لدى الطفل" (٢).

إن كل الاعتبارات السابقة تؤكد بجلاء أهمية مرحلة الشباب وضرورة استثمارها في نهضة الأمة، وأهمية توظيف طاقات الشباب توظيفاً صحيحاً وفق منهج الإسلام الصحيح.

فإن الشباب هم "الكتلة الحرجة التي تحمل أهم فرص نماء المجتمع وصناعة مستقبله، كما أنهم في الآن عينه يشكلون التحدي الكبير في عملية تأطيرهم وإدماجهم في مسارات الحياة الاجتماعية والوطنية والإنتاجية النشطة والمشاركة إنهم يشكلون العبء الذي تضيق به السلطات ذرعاً، وتخشاه أيما خشية، في الوقت نفسه الذي تقتصر فيه أيما تقصير في وضع الاستراتيجية الكفيلة بحين توظيف طاقاتهم الإنتاجية، وتوقعهم إلى البذل والعطاء" (٣).

ومما ينبغي التأكيد عليه في هذا البحث أن فئة الشباب تختلف من حيث ظروفها وخصائصها وإمكاناتها وطموحاتها، وليسوا شريحة واحدة كما تروج لها بعض

(١) علم النفس النمو، عادل عز الدين الأشول، ص ٦٦.

(٢) الشباب العربي ومشكلاته، عزت حجازي، ص ٣٢.

(٣) الإنسان المهدور "دراسة تحليلية نفسية اجتماعية"، مصطفى حجازي، ص ٢٠٣.

الأديبات، "فتتوزع فئة الشباب بين الفئة المحظية المترفة وهي فئة قليلة، والفئة المنغرسية اجتماعياً ومدرسياً، وهي تمثل جيل النخبة من الشباب، وفئة طامحة لبناء مكانتها اجتماعياً بدأت تأخذ حظها من الفرص، وأخيراً فئة الشباب المهدور وهي الأكثر فئة حضوراً داخل المجتمع، والتي لا تدخل ضمن حسابات السلطة ومخططاتها، إلا في مجال القمع والردع. هذا وتشير بعض الدراسات الأنثروبولوجية التي اهتمت بالشباب، اعتبرت على أنهم يختلفون من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، حيث تلعب الثقافة تأثيراً كبيراً على انتقال الأطفال إلى سن الشباب، فالأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان ككائن ثقافي" (١).

وإذا نظرنا بعين الحقيقة إلى فترة الشباب، وجدناها فترة التأثير والتأثر، والعطاء والبذل، "لأننا ونحن نعد الشباب نستثمر مواهبه، ونفجر طاقاته، ونستغلها في البناء والتعمير، ودفع العدو المغير، هي فترة الحاجة الماسة إلى التوجيه والترشيد والتبصير والعناية والرعاية.. هي فترة وضع حجر الأساس، وكلما كان الأساس متيناً كان البناء قوياً شامخ الذرى، وكلما كان الأساس ضعيفاً كان البناء هشاً سرعان ما يتحطم وينهار عند أول هبة ريح أو رشة مطر. إذن هي فترة لها ما بعدها، ومرحلة لها أثرها الخطير في المستقبل: سلباً أو إيجاباً. صلاحاً أو فساداً، سموً أو هبوطاً" (٢).

وبعد هذا التمهيد جدير بنا أن نتعرف على أبرز طاقات الشباب، ومنهج الإسلام في توجيهها بما يتفق وشريعتنا الإسلامية، ولما فيه صالح المجتمعات، وبما يعود على الجميع بالخير والنفع العميم، في ظل المستجدات والتغيرات الحضارية المتسارعة المتلاحقة.

(١) الإنسان المهدور "دراسة تحليلية نفسية اجتماعية"، مصطفى حجازي، ص ٢٠٩.

(٢) التربية الإسلامية للشباب، عبد الرحمن بله علي، ص ١٩٠.

المبحث الأول

منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية في ضوء المتغيرات الحضارية

إن الإيمان من أهم الأمور في حياة الشباب، فكل خير في الدنيا والآخرة متوقف على الإيمان الصحيح، وكم للإيمان الصحيح من الفوائد المغدقة، والثمار اليانعة، والخير المستمر، أمور لا تحصى، وفوائد لا تستقصى عاجلة وآجلة.

قال ابن القيم رحمه الله: "أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢). وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية، ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقتهم، حتى إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو الذي به تنال السعادة، وليس كذلك، بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع، بل قد سدوا على نفوسهم طرق العلم والإيمان اللذين جاء بهما الرسول صلوات الله عليه ودعا إليهما الأمة، وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على منهاجهم وآثارهم... " (٣).

إن جميع الرغبات التي يبحث عنها الإنسان ويفتش، ويتمناها في ليله ونهاره، وحله وترحاله؛ لا تتحقق إلا بإيمان صادق "فبالإيمان يحيا العبد حياة طيبة في الدارين، وينجو من المكارِه والشُرور والشدائد، ويدرك جميع الغايات والمطالب، وينال ثواب الآخرة

(١) سورة الروم، الآية: ٥٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص ١٩١.

فيدخل جنة عرضها كعرض السماء والأرض، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وينجو من نار عذابها شديد وقعرها بعيد، وأعظم من ذلك كله أن يفوز برضى الرب سبحانه فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم، وما ثمة مطلقاً نعيم أعظم ولا أكمل من هذا النعيم. وبالجملة فالخير كله فرع عن الإيمان ومترتب عليه، والمهلك والدمار والشر كله إنما يكون بفقد الإيمان ونقصه" (١).

ويحمل الشباب بين جنباتهم طاقة إيمانية كبيرة، تحتاج إلى توجيه وإرشاد حتى يستفاد من الطاقة الإيمانية على الوجه الصحيح، ويمكن لنا أن نتبين ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الحفاظ على الطاقة الإيمانية من الملوثات الفكرية.

ففي ظل الانفتاح الثقافي والفكري من خلال وسائل التقنية الحديثة ظهرت أفكار ودعوات إلحادية تشكك الشباب في ثوابت الدين وقواعده، ومن ثم فمنهج الإسلام هو حماية الطاقة الإيمانية من التجاذبات الفكرية، والأخطار المحدقة بسلامة الإيمان من الانحراف في ظل ما يعرض في الوسائل المسموعة والمرئية، التي تبث سمومها في كل اتجاه مستغلة ما يشهده العالم من ثورة معلومات واتصالات سريعة، وتعدد وسائل الاتصال مع أطراف الشباب المختلفة.

وقد مدح الله عز وجل الشباب الذين حرصوا على حماية إيمانهم من الملوثات، وقصّ علينا نبأهم وخبرهم فقال سبحانه مادحاً لهم: ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ ءِإِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝١٤ هَتُّوْا قَوْمَنَا أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِإِلَٰهَةً

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، أ. د. عبد الرزاق عبد المحسن البدر، ص ٦.

لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ بَيِّنٌ مِّمَّنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ (١).

قال ابن كثير رحمه الله: "فذكر تعالى أنهم فتية - وهم الشباب - وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعتوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستحيين لله ولرسوله ﷺ شباباً. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل" (٢).

فهؤلاء فتية.. فيهم شباب، وقوة ونضارة.. قد هدتهم فطرتهم السليمة منذ مطلع شبابهم، قبل أن يمتد بهم العمر، وينضح عليهم ما تفيض به بيئتهم من ضلالات وجهالات، وإذا هم يخرجون على مألوف قومهم، وينكرون ما عليه آباؤهم من كفر وإلحاد.

إن الشباب دائماً، مفعم بالحيوية والنشاط، حيث التفتح للحياة، والقدرة على التفاعل معها.. فإذا ولّى الشباب فهيات أن تتحرك في الإنسان رغبة إلى اتجاه غير الاتجاه الذي قطع فيه هذه المرحلة الممتدة من عمره..

وفي وصف القرآن الكريم لهم: «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» إشارة إلى أنهم اتجهوا إلى الله، ووضعوا أقدامهم على الطريق إليه، فاستقبلهم الله سبحانه وتعالى بالطفاه على الطريق، ودفع بهم إلى مرفأ الأمن والسلامة.. وهذا يعني أنه مطلوب من الإنسان أن يتحرك نحو الغاية التي يقصدها، فإن كانت حركته على طريق الخير، وجد من الله سبحانه العون والسداد، وإن كان على طريق الضلال والفساد، تركه الله لهواه، وأسلمه لشیطانه..!

- وفي قوله تعالى: «وَرَبَّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا» - في هذا توكيد للعون الذي

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٣-١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ١٤٠/٥.

أمدّهم الله به، منذ أن اتجهت قلوبهم إليه، وانعقدت نياتهم على الإيمان به.

- وفي قوله تعالى: «إِذْ قَامُوا» إشارة إلى أن ما تتجه إليه القلوب، وتنعقد عليه النيات- وإن كان مقدّمة طيبة من مقدمات الفوز والنجاح- سيظلّ جسداً هامداً، حتى تنفخ فيه الإرادة، وينضحه العمل، فإذا هو كائن سوى الخلق، داني القطوف. وهؤلاء الفتية، لم يقفوا عند حدّ النية، بل «قاموا» أي تحركوا، وعملوا، فربط الله على قلوبهم تلك التي اتجهت إليه، وشدّ على هذه النيات التي انعقدت على الإيمان به..

وإذ يتجه الفتية إلى الله هذا الاتجاه القوى الخالص من شوائب الشرك، وإذ تفيض قلوبهم إيماناً يباعد بينهم وبين قومهم، فلا يشاركونهم فيما هم فيه من ضلال الوثنية وسخافاتهما- عندئذ يجدون أنهم غرباء في قومهم، معرضون للسخط، والازدراء، ثم القطيعة، ثم الطرد، وربما القتل! إنهم قلة صالحة في مجتمع فاسد.. فليطلبوا لهم وجهاً في الأرض.. وإلا ساءت العاقبة، ووقع البلاء، وتعرضوا للفتنة في دينهم، الذي ارتضوه وآمنوا به. وتناجى الفتية فيما بينهم، وارتادوا مواقع النجاة والسلامة لهم، ولدينهم..(١).

وبين لنا القرآن كيف أن شغلهم الشاغل، وحرصهم الدائم كان أن يحموا إيمانهم من الأمور الدخيلة، ومن الفتن التي تبعدهم عن الفلاح، وعن الملوثات التي قد تحيد بهم عن طريق الحق، وعن المؤثرات التي ربما تعصف بعقولهم فتخبو حرارة الإيمان في قلوبهم؛ حيث قال بعضهم لبعض عندما طلبوا الطعام: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١١﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ٥٩٨ / ٨.

تُقْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا ﴿٤٠﴾ (١).

وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم بين أمرين، إما الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنواهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبداً، بل يحشرون في دينهم ودنياهم وأحراهم.

"وقد دلت هاتان الآيتان، على عدة فوائد: منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين. ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة، في دينهم وتركهم أوطانهم في الله. ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين، والمتأخرين" (٢).

إن من التوجيهات المهمة للشباب أن يحافظوا على طاقتهم الإيمانية، وأن يحفظوا الله تعالى في أمورهم كلها فإن الإيمان يزيد وينقص. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين، وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية... (٣)". فالإيمان يتفاوت قوة وضعفاً في القلوب. وشعب الإيمان بعضها أقوى وأعلى من بعض.

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي ص ٤٧٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٥٠٥/٧.

حيث إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن بعض خصاله أعلى من بعض، وأن أهله يتفاوتون فيه قوة وضعفاً. "وعلى هذا القول السلف الصالح -رضوان الله عليهم- أهل الذكر الذين لازموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واستمدوا علومهم منهما" (١).

وواجب الشباب أن يحرصوا على كل ما يزيد طاقتهم الإيمانية، والبعد عن كل ما ينقصها؛ فالإيمان سبب قوى مؤثر في تخليص وتحسين القلوب والمجتمعات من الشرور الجاهلية الفكرية وغيرها. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: ((يَا غَلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْتَفَ فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَكَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)) (٢).

فهذه وصية عظيمة من رسول الله ﷺ لابن عمه الغلام ابن عباس، وصية يتكفل الله سبحانه وتعالى لمن عمل بها أن يحفظه في أموره كلها، ومن حملتها أعز ما يملكه الإنسان إيمانه بربه، فيحفظه الله سبحانه وتعالى من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان (٣).

ولاشك أن الشباب في العصر الحاضر بحاجة ماسة إلى تعاهد إيمانه بالوصايا

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، ص ٣٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة، ٤/٦٦٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في كتابه صحيح سنن الترمذي ٢/٣٠٩.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ص ١٦٣.

النافعة، لما يواجهونه في حياتهم من التحديات وكثرة المغريات، ومن نعمة الله سبحانه وتعالى علينا أن بقيت وصايا رسول الله ﷺ محفوظة إلى هذا الزمان، وستبقى إلى أن يشاء الله، فعلينا أن ندرك هذه الوصايا جيداً ونعيها ونتعاهد بها شبابنا.

"ووصايا رسول الله ﷺ في مجال العقيدة فيها مادة غنية لتعاهد إيمان الشباب، فعلى سبيل المثال الوصية (احفظ الله يحفظك) مهمة للناس عامة وللشباب خاصة لأنهم معرضون أكثر من الكبار للتغير والانحراف، أضف إلى هذه الطبيعة ما استحدث في هذا العصر من وسائل الإغراء الموجهة للشباب خاصة. ومع هذا أيضاً فإنه يجب على أولياء أمور الشباب أن يكونوا عوناً لهؤلاء الشباب حتى يتمكنوا من تنفيذ هذه الوصية، وذلك يعني أن لا نتيح لهم وسائل المعصية ثم نطالبهم بتنفيذ هذه الوصية، بل لا بد أن نبعدهم ونبعد عنهم كل ما هو سبب لمخالفة هذه الوصية الجليلة" (١).

إن الطاقة الإيمانية لا بد من المداومة على الحفاظ عليها ووقايتها من الانحرافات وتحسينها من الشبهات، وذلك بتعميق الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر في نفوس الشباب وغرس العقيدة السليمة، في أعماقهم لتكون مصدراً للسلوك الشريف، والمعاملة الصادقة، فالعقيدة هي سفينة النجاة وصمام الأمان، "ومما يقوي العقيدة ويعمق جذورها الصلاة على وقتها وفي جماعة، وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، وقراءة السيرة النبوية وسير الصحابة الأجلاء والسلف الصالح. ولا بد من متابعته حتى لا ينحرف بها عن الجادة أو يخلطها بشيء من البدع والخرافات" (٢).

ويتضح مما سبق أن التربية الإيمانية "هي تنشئة المسلم على العقيدة الإسلامية الصحيحة وتعميق أصولها في نفسه (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) في جميع نواحي حياته ومختلف مراحل نموه في ضوء أساليب

(١) المنهج النبوي في التربية الإيمانية للشباب، أ. د. سليمان بن قاسم العيد، ص ١٨.

(٢) التربية الإسلامية للشباب، عبد الرحمن بله علي، ص ١٩٨.

وطرق التربية الإسلامية" (١).

ولما كان الحال كذلك من أهمية العلم في الصغر، فقد اهتم رسول الله ﷺ بتعليم صغار الصحابة رضي الله عنهم أمور العقيدة، ومما يدل على ذلك ما ورد عن جندب بن عبد الله قال: ((كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة (٢). فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازدنا به إيماناً)) (٣).

(١) التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحرافات، ص ٢٥ - ٢٧.

(٢) حزاورة: جمع حزور، وهو الغلام إذا اشتد وقوي وخدم الصحاح، الجوهري، ٦٢٩/٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه، المقدمة، باب: في الإيمان، ٢٣/١. والحديث صححه الألباني في كتابه صحيح سنن ابن ماجه، ١٦/١.

المطلب الثاني: توظيف الطاقة الإيمانية في الدعوة إلى الله تعالى:

مع المتغيرات الحضارية المتسارعة، وسرعة التقدم العلمي والتكنولوجي؛ فإن الشباب يجب عليهم أن يوظفوا طاقتهم الإيمانية، وحماسهم للدين في الدعوة إلى الله؛ خاصة في ظل تيسر وسائل الدعوة في العصر الحديث عبر منافذ متعددة، فإن من خير الأعمال التي يقوم بها المسلم الدعوة إلى الله تعالى قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) (١).

قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: دعا عباد الله إليه، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله صلوات الله عليه أولى الناس بذلك" (٢).

وقال القاسمي رحمه الله: "أي لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين المؤتمرين، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد. وإنما قدم الدعوة إلى الحق والتكميل، لكونه أشرف المراتب، ولا لاستلزامه الكمال العلمي والعملية. وإلا لما صحت الدعوة. ويدخل في الآية كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق المشروعة، وسبيل من السبل المأثورة. لأن الدعوة الصحيحة هي الدعوة النبوية. ثم ما انتهج منهجها في الصدع بالحق، وإيثاره على الخلق. وفي الآية دليل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى لأن الدعوة إلى الله أحسن الأعمال. وكل ما كان أحسن

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٧/ ١٧٩.

الأعمال، فهو واجب" (١).

ولقد أعطى القرآن نماذج كثيرة لشباب حرصوا على بيان الحق والدعوة إليه، ومن ذلك ما قصه الله علينا من صنيع نبي الله إبراهيم عليه السلام من دعوة قومه إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، وأمام صيحته القوية العالية، انخلعت قلوب القوم، وخابت وخسرت أصنامهم.. قال سبحانه: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۗ﴾ (٢).

قال ابن عاشور رحمته الله: "والفتى: الذكر الذي قوي شبابه. ويكون من الناس ومن الإبل. والأنتى: فتاة، وقد يطلقونه صفة مدح دالة على استكمال خصال الرجل المحمودة.

وهذا العمل الذي عمله إبراهيم - عليه السلام - عمله بعد أن جادل أباه وقومه في عبادة الأصنام والكواكب ورأى جماهم عن الحجة الواضحة. وقول قومه من فعل هذا بالهتنة إنه لمن الظالمين يدل على أنهم لم يخطر ببالهم أن يكون كبير الآلهة فعل ذلك، وهؤلاء القوم هم فريق لم يسمع تواعد إبراهيم إياهم بأن يكيد أصنامهم والذين قالوا سمعنا فتى يذكرهم هم الذين تواعد إبراهيم الأصنام بمسمع منهم" (٣).

إن الإسلام يرشد الشباب ويوجههم أن يوظفوا طاقاتهم الإيمانية في تحقيق الدعوة إليه، وبيان الحق الذي يؤمنون به، حتى تكون لهم رسالة وطموح، وهدف وغاية. "وإن الشباب لقادرون على ذلك إذا وجدوا العناية الفائقة، والتوجيه السديد، والمتابعة الدقيقة التي ترأب خطوهم، وتزيل العقبات من دروهم. ونحن نرى كيف أن

(١) محاسن التأويل، القاسمي، ٨ / ٣٣٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٥٩-٦٠.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧ / ٩٩.

المذاهب المختلفة تتلقف الشباب، وتحتضنهم بالجماعات، وتعدّهم إعداداً، ليقوموا بمهمة الدعوة إليها والدود عنها، وهي في سبيل ذلك ترسم الخطط المحكمة، وتجنّد الطاقات الهائلة، وتنفق الأموال الطائلة، لتضمن بقاءها على أيدٍ قوية، وعزائم ماضية فتية. وعلى الشباب أن يدركوا هذه الحقيقة، ويعوا تلك الغاية البعيدة المدى، وتكون همهم الملازم ينامون به، ويقومون به ويمشون به بين الناس، عاقدين عليه قلوبهم، حانين فوقه ضلوعهم" (١).

إنه بإمكان الشباب في العصر الحديث أن يستخدموا التقنية الحديثة، ووسائل التواصل الاجتماعي في نشر الهدى والخير، وتعميم الفضيلة بين الناس، وإصلاح الاعوجاج في التصرفات والسلوك، وتصحيح المفاهيم عن الإسلام، وإزالة الغش والشبهات حول قضايا الإسلام، ومحاربة البدع والخرافات ليحققوا الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة وهدى.

لقد أسند النبي ﷺ مهمة الدعوة في المدينة إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه و"كان شاباً في مقتبل العمر - فقام بواجبه على خير وجه، وبلغ من التوفيق والنجاح أن أهل المدينة يمكن القول أنهم قد أسلموا جميعاً على يديه" (٢).

فلقد رجع مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى مكة وأصبح الأمر أكثر استقراراً، "ثم أتى ذلك الموسم الذي لقي فيه النبي ﷺ نفراً من الأنصار، وكانوا رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً" (٣). فعرض عليهم الإسلام فأمنوا به وصدقوه، ثم جاء العام الذي بعده فوافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوا النبي ﷺ وبايعوه على بيعة

(١) التربية الإسلامية للشباب، عبد الرحمن بله علي، ص ١٩٢.

(٢) آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير، عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري،

النساء فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه قال: إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: ((بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل النفس التي حرم الله، ولا ننتهب، ولا نعصي، بالجنة إن فعلنا ذلك، فإن غشنا من ذلك شيئاً، كان قضاء ذلك إلى الله)) (١).

فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان مصعب يسمى المقرئ بالمدينة، وكان مترله على أسعد بن زرارة، "وكان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض" (٢).

فكان رضي الله عنه أول من قدم على الأنصار في المدينة فعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: ((أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس..)) (٣).

فهو أول من هاجر إلى المدينة رضي الله عنه للإقامة بها ولتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، "فله الأولة في الهجرة إلى المدينة من هذه الجهة" (٤).
ومن صور توظيف الطاقة الإيمانية في الدعوة ما كان من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وجهره بالقرآن أمام قريش وقد لاقى في سبيل ذلك ما لاقى؛ لكن حماسه الإيماني كان أكبر من أي إيذاء في سبيل تبليغ الدعوة، وإسماع المخالفين آيات القرآن.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٨٩٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ١ / ٤٣٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: مقدم النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٩٢٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٧ / ٢٦١.

فعن محمد بن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: "كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهرُ لها به قط، فمن رجلٌ يُسمعُهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: إننا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرةٌ تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال: دَعُونِي، فإن الله سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديةها، حتى قام عند المقام، فقال رافعاً صوته: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الرَّحْمَنُ ﴿۱﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿۲﴾﴾ (١). فاستقبلها فقرأ بها، فتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أمّ عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله قط أهونَ عليّ منهم الآن، ولئن شتمت غاديتهم بمثلها غداً؟ قالوا: حَسْبُكَ، قد أسمعتهم ما يكرهون" (٢).

إن الدعوة والتعليم: زكاة العلم، وواجب على من تعلم العلم الشرعي أن يبلغه لغيره، وأن يساهم في هداية الكفار إلى الإسلام، وهداية العصاة إلى الاستقامة. والشباب طاقة متوقدة وعماد تقوم عليه أركان الدعوة بعد العلماء الربانيين، وليس معنى توظيف الطاقة الإيمانية للشباب في الدعوة إلى الله أن يترك الباب مفتوحاً لكل من يريد؛ بل لا بدّ من وجود المؤهلات المناسبة، والمعرفة التخصصية، والخبرة المعرفية بسبل الدعوة وأساليبها ووسائلها ومناهجها، والاطلاع على غاياتها وأهدافها، ومعرفة أحوال المدعوين وفقه الدعوة.

إن الشباب لهم شأن؛ لأنهم عصب الأمة وقوتها بعد الله، ويرجى فيهم الخير

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ٣/٣٥٥.

العظيم والنصر لدين الله في مستقبل الزمان إذا استقاموا وثقفوا في الدين كما يرجى فيهم النفع للأمة والرفع من شأنها وإعلاء دين الله وجهاد أعدائه. وعلى الشباب واجب كبير في نصر الحق وأهله ومكافحة الباطل، وكشف زيغته.

"فالواجب على كل شاب مكلف أنه يهتم بدينه وأن يعتني به وأن يتفقه فيه من طريق الكتاب والسنة بواسطة العلماء المعروفين بالعلم والفضل وحسن العقيدة حتى يستقيم على دينه على بصيرة ويدعو إليه على بصيرة وحتى يدع ما حرم الله عليه على بصيرة. وطريق ذلك العناية بالقرآن الكريم حفظا وتدبرا وتعقلا والإكثار من تلاوته؛ لأنه صراط الله المستقيم وحبله المتين وذكره الحكيم ولأنه الهادي إلى كل الخير، وعلى الشباب أيضا وغيرهم من المسلمين أن يعتنوا بسنة رسول الله ﷺ وهي أحاديثه وسيرته ويتفقهوا فيها ويحفظوا ما تيسر منها ويدعوا الناس إلى ذلك؛ لأنها الوحي الثاني والأصل الثاني من أصول الشريعة بإجماع أهل العلم فجدير بأهل العلم من الشباب وغيرهم أن يعضوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالنواجذ وأن يتفقهوا فيهما وأن يهتدوا بهما إلى صراط الله المستقيم الموصل إليه وإلى دار كرامته وجنته وأن يسيروا على ذلك في المدارس والجامعات وفي الحلقات العلمية وغير ذلك من مجالس العلم مع سؤال علماء الحق عما أشكل عليهم في الأحكام" (١).

(١) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز، د. محمد بن سعد الشويعر، ١١٧/٥.

المطلب الثالث: الابتعاد بالطاقة الإيمانية عن مزالق الغلو والتشدد:

ومن منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية لدى الشباب الابتعاد بهم عن مزالق الغلو والتشدد، والتعسير؛ فليس معنى الإيمان: الشدة والعسر والتزمت والمشقة على النفس.

ولقد حرص الرسول ﷺ في تربيته لشباب الصحابة على التوسط الذي لا غلو فيه ولا جفاء، وذلك بإعطاء كل شيء حقه، فالنفس لها حظها من العبادة والطاعة ولها حظها من الترويح والراحة. والجسد له حقه وحظه من المأكل والمشرب وأن لا يكلف ما لا يطيق والأهل من الزوجة والأولاد لهم حقه من الرعاية العينية ولكل شيء حقه. والإسلام أعطى كل شيء حقه.

والرسول ﷺ سار في تربية أصحابه سيراً متوازناً لم يكلفهم ما يغلبهم ولم يكثر عليهم فيملهم ويُسئِمهم. ولم يُعْط جانباً على حساب الجوانب الأخرى بل توسط لا إفراط فيه ولا تفريط، وهذا المنهج هو الأدهى للاستقامة والمداومة على العمل وهو المنهج الشامل الصالح لكل البشر.

"أما الإسلام فيتفرد بشمولية منهجه التربوي لهذا الكائن وتوازنه، فيعالجه معالجة شاملة متوازنة لا تغفل عن شيء: روحه وعقله وجسده، وما يتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاوِل فيها نشاطه منسجماً مع مناخات العناصر الأخرى، والسبب في تحول الإسلام النجاح في هذا المضمار أنه دين الله عز وجل وهو الصانع والمبدع والخالق لهذا الكائن وبالتالي فهو أعلم وأخبر بصنعه وهو الحقيق أن يوجد المنهج الملائم مع هذه الفطرة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١).

ونتيجة لهذه الشمولية يتوصل الإسلام إلى استغلال كل طاقات هذا الكائن بل يصل إلى الحد الأقصى لهذه الطاقات؛ ولذلك فإن استثمار الإسلام في عهده الأول

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

للعدد القليل من المسلمين وقدرته على الوصول والاستفادة من الحد الأقصى لطاقتهم صنع الأعاجيب في عالم الأرض وأمام جحافل الغناء من البشر الذين لم تستطع مناهجهم أن تستثمر طاقتهم الفطرية المكنونة، فالكائن البشري هو الكائن البشري ولكن النتيجة متباينة ومختلفة بين منهج الإسلام ومنهج الناس" (١).

إن هذا التوازن والشمول الذي تميز به الإسلام دلت عليه النصوص الكثيرة فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت فلانة تذكر من صلاحها قال: ((مه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا)) وكان أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه (٢). وعنها رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وإن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل)) (٣). وعنها رضي الله عنها قالت: ((كان أحب العمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذي يدوم عليه صاحبه)) (٤). وعنها رضي الله عنها قالت: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ((أي الأعمال أحب إلى الله قال: أدومها وإن قل. وقال: اكلفوا من الأعمال ما تطيقون)) (٥).

فترى من خلال الأحاديث السابقة أن النبي صلى الله عليه وسلم يهديننا إلى أن القليل المداوم عليه من العمل خير من الكثير المنقطع والقليل المستمر أحب إلى الله ورسوله وذلك

(١) طريق البناء التربوي الإسلامي، د. عقيل قاسم النشمي ص ٨٨، ٨٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان باب أحب الدين إلى الله أدومه، رقم الحديث ٤٣، وأخرجه

مسلم في صلاة المسافرين باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن رقم ٧٨٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٤،

وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب لن يدخل أحد الجنة بعمله رقم ٢٨١٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٢.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٥.

ما يتواءم مع فطرة الإنسان وقدرته، فهو أدعى لتطبيق شريعة الله دون حرج ولا مشقة، وذلكم هو اليسر والسماحة، وهو الرفق والتوسط وهذه الصفات من سمة المنهج الإسلامي الرباني، ومن خصائص التربية النبوية. ثم إن التشدد والغلو والتنطع سبب للهلاك كما كان حال السابقين الذين تشددوا فشدد الله عليهم وتنطعوا فهلكوا ويؤكد ذلك الرسول ﷺ بقوله: ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثاً (١).

ولقد كان الرسول ﷺ يسير مع أصحابه سيراً واقعياً بعيداً عن إحداث المشقة والحرص مما يباعد المسلم عن السأمة والملل. روى البخاري في صحيحه عن أبي وائل قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يذكر الناس كل خميس، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن لو ددت أنك ذكرتنا كل يوم قال أما إنه يمنعني من ذلك أنني أكره أن أملككم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السأمة علينا. (٢).

فهذا الهدى النبوي يتناسق مع ما تقتضيه سماحة الإسلام ويسره. وعندما رأى ﷺ في بعض أصحابه جنوحاً عن التوسط وبعداً عن السماحة واليسر ضبط ﷺ طاقتهم الإيمانية فردهم إلى سنته وهديه. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر فلا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم، ولكيني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد

(١) أخرجه مسلم، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، رقم الحديث ٢٦٧٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب: العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، رقم الحديث ٧٠.

وأخرجه مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الاقتصاد في الموعظة، رقم

الحديث ٢٨٢١.

وأَتْرُوجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)) (١).

فَهَذِهِ سُنَّتُهُ ﷺ لَيْسَ فِيهَا غُلُوٌّ وَلَا إِجْحَافٌ فِي حَقِّ النَّفْسِ وَإِعْطَاءٌ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقَّهُ. وَتَوَسُّطٌ فِي الْأُمُورِ. وَلَمْ يَقِرَّ ﷺ مِنْ يَشِقُّ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعِبَادَةِ وَيَتَجَاوَزُ الْإِعْتِدَالَ. دَخَلَ مَرَّةً ﷺ فَإِذَا حَبِلَ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِيَزَيَّبَ إِذَا فُتِرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا، حُلُّهُ لِيَصِلَ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ إِذَا فُتِرَ فَلْيَقْعُدْ)) (٢).

وَأَقْرَبُ ﷺ سَلْمَانَ ﷺ لَمَّا أَنْكَرَ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ تَشَدُّدَهُ وَتَقْصِيرَهُ فِي حَقِّ أَهْلِهِ وَنَفْسِهِ، فَعَنَّ أَبِي جُحَيْفَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ ﷺ قَالَ: أَخَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانَ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبِي الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نِم. فَتَأَمَّ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نِم فَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانَ: قُمْ الْآنَ فَصَلِّ يَا جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانَ: إِنْ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلَا هَلْكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((صَدَقَ سَلْمَانُ)) (٣).

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب: النكاح، باب: التغيب في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٣، ومسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه، رقم الحديث ١٤٠١.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: ما يكره من التشدد في العبادة، رقم الحديث ١١٥٠، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته، رقم الحديث ٧٨٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم الحديث

"ويؤكد ﷺ مِنْهَجَ التَّوَسُّطِ وَالْإِعْتِدَالِ وَإِعْطَاءَ كُلِّ شَيْءٍ حَقَّهُ بِإِلَّا غَلُوَ وَلَا تَغْلِبَ جَانِبَ عَلَى آخَرَ؛ فَأَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه لما أَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ وَآثَرَ الْعِبَادَةَ وَالزَّهْدَ وَغَلَبَ ذَلِكَ عَلَى حَقِّ أَهْلِهِ وَجَسَدِهِ أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَخُوهُ سَلْمَانَ رضي الله عنه فَالْأَخُوَّةَ بَيْنَهُمَا تَقْتَضِي التَّنَاصُحَ وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ. وَمَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: صَدَّقَ سَلْمَانٌ فِي قَوْلِهِ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ وَالْمَنْهَجُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَتَّبَعَ" (١).

ولما علم ﷺ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ. دَعَاهُ وَقَالَ: "يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أَخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟" فَقُلْتَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَدِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُزُوقِكَ — أَيِ ضَيْفِكَ — عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامَ الدَّهْرِ كُلِّهِ، فَشَدَّدْتَ فَشَدَّدَ عَلَيَّ". قُلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةَ قَالَ "فَصِمِ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ" قُلْتَ: وَمَا كَانَ صِيَامَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: "نِصْفَ الدَّهْرِ" — فَكَانَ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبْلْتَ رِخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٢).

فَهَذَا مِنْهَجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهَجَ اعْتِدَالٍ وَتَوْسُطٍ، وَعَلَى هَذَا رَبِّي أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم فَنَعْمَ الْمُرِي وَنَعْمَ الْمُرِي (٣).

والابتعاد بالطاقة الإيمانية عن مزالق الغلو والتشدد ليس في أمور العبادة فحسب بل حتى في أمور الحكم على الناس وتكفيرهم وتفسيقهم. فقد يظن بعض الشباب، وقد

(١) وفيات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته، د. عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد، ص ١٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، باب: حق الجسم في الصوم، رقم الحديث ١٩٧٥.

(٣) انظر: وفيات مع أحاديث تربية النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته ص ١٥٤.

أخذته الحماس الديني، وازدادت طاقته الإيمانية أن كل من يترك أمراً، أو يرتكب مخالفة، أو يقع في معصية يحكم بكفره، وهذا مزلق خطير يجب التنبه إليه، والحذر منه.

"فإن للشيطان مدخلين على المسلمين ينفذ منهما إلى إغوائهم وإضلالهم: أحدهما: أنه إذا كان المسلم من أهل التفريط والمعاصي، زين له المعاصي والشهوات ليبقى بعيداً عن طاعة الله ورسوله ﷺ.

والثاني: أنه إذا كان المسلم من أهل الطاعة والعبادة زين له الإفراط والغلو في الدين ليفسد عليه دينه، ومن مكائد الشيطان لهؤلاء المفرطين الغالين أنه يُزين لهم اتباع الهوى وركوب رؤوسهم وسوء الفهم في الدين، ويُزهدهم في الرجوع إلى أهل العلم؛ لئلاً يُضروهم ويُرشدوهم إلى الصواب، وليبقوا في غيهم وضلالهم، ومن سوء الفهم في الدين ما حصل للخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وقتلوه، فإنهم فهموا النصوص الشرعية فهماً خاطئاً مخالفاً لفهم الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا لمّا ناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما بين لهم الفهم الصحيح للنصوص، فرجع من رجع منهم، وبقي من لم يرجع على ضلال" (١).

وحدائث السنن مظنة سوء الفهم يدل ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بإسناده إلى هشام بن عروة، عن أبيه أنه قال: ((قلت لعائشة زوج النبي ﷺ وأنا يومئذ حديث السنن:

أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَأَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨) (٢).

(١) بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً؟! وبحكم... أفيقوا يا شباب!!، عبد المحسن بن

حمد العباد البدر، ص ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوّف بهما، فقالت عائشة: كلا! لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوّف بهما، إنّما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلّون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرّجون أن يطوّفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألو رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ (١). (٢).

وعروة بن الزبير رضي الله عنه من خيار التابعين، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة في عصر التابعين، قد مهّد لعُذره في خطئه في الفهم بكونه في ذلك الوقت الذي سأل فيه حديث السنّ، وهو واضح في أنّ حادثة السنّ مظنة سوء الفهم، وأن الرجوع إلى أهل العلم فيه الخير والسلامة (٣).

وفي التحذير من التسرع في التكفير، والولوج فيه، يقول الغزالي رحمه الله محذراً: "والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه: الاحتراز من التكفير، ما وجد إليه سبيلاً. فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم" (٤).

ومن خلال ما سبق يظهر لنا بجلاء منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية لدى الشباب واستثمارها على الوجه الصحيح حتى لا يضلوا ويزلوا، أو يقعوا في مزالق ومخاطر من قبل من يستغل حماسهم الديني، وعاطفتهم الإيمانية، فيوظفها في خدمة أغراضه ومراميه.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب العمرة، باب: يفعل في العمرة ما يفعل في الحج، رقم الحديث .١٧٩٠.

(٣) بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهادا؟! عبد المحسن البدر، ص ١٠.

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ص ٨١.

المبحث الثاني

منهج الإسلام في توجيه الطاقة العقلية

في ضوء المتغيرات الحضارية

إن العقل هو الذي يعطي الإنسان المعنى الصحيح لإنسانيته. والإسلام بتكاليفه وأحكامه، خاطب الإنسان.. كل إنسان.. من دون فصل أو تقسيم.. معتبراً إياه شيئاً واحداً، فلم يخاطب فيه جانباً دون الآخر ولم يعامله على أنه جسم حي متحرك كسائر الحيوان.. ولا على أنه لطيف مجرد كالملائكة.. "بل وجه إليه الخطاب بالتكليف، باعتباره إنساناً متكاملًا، وخاطبه بالترغيب والترهيب، اختباراً لحواسه ومواهبه وعقله، وأخبره بأنه إن أحسن فلنفسه، وإن أساء فعليها، وبأن المؤمن سيدخل الجنة بجسده وعقله وروحه، وكلّ حواسه، وأن الكافر سيدخل النار كذلك" (١).

وقد وبّخ الله تعالى الكافرين، بأنهم شرّ من دبّ على وجه الأرض، لأنهم كفروا، وجرّدوا أنفسهم من نعمة الانتفاع بالعقل، فقال عز وجل:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢). وقال سبحانه:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣). وأخبرنا عن حسرتهم يوم القيامة لعدم انتفاعهم بطاقة العقل في الدنيا فقال سبحانه مخبراً عنهم:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٤).

وهذا يؤكد لنا ضرورة الاستفادة بالطاقة العقلية لدى شبابنا، والحفاظ عليها؛ فإن

(١) أزمات الشباب "أسباب وحلول"، القاضي محمد أحمد كنعان، ص ٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الملك، الآيتان: ١٠-١١.

الشباب مفعم بالحوية والطاقة، وعقله وقّاد، ويمتلك من المهارات والقدرات العقلية ما يحتاج أن يوظفه توظيفاً صحيحاً نافعاً للاستفادة القصوى مما حياى الله به الشباب من قدرات وإمكانيات عقلية، ويمكن أن نستحلي منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب العقلية من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: حماية الطاقة العقلية لدى الشباب من المهلكات

والمفسدات:

يوجه الإسلام إلى حماية عقول الشباب من كل ما يضر بها، واستثمارها فيما يعود بالنفع على المجتمع بأكمله؛ ولذا حرم الإسلام الخمر والمخدرات بأنواعها، وكل ما يفسد العقل ويضر به. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (١).

قال ابن عطية رحمه الله: "والخطاب للمؤمنين جميعاً، لأن هذه الأشياء شهوات وعادات قد تلبس بها في الجاهلية وغلبت على النفوس فكان بقي منها في نفوس كثير من المؤمنين، فأما الخمر فكانت لم تحرم بعد، وأما الميسر ففيه قمار ولذة للفارغ من النفوس ونفع أيضا بوجه ما، وأما الأنصاب وهي حجارة يذكون عندها لفضل يعتقدونه فيها، وقيل هي الأصنام المعبودة كانوا يذبحون لها وعندها في الجاهلية" (٢).

"والخمر أي: الشراب الذي خامر العقل، أي خالطه فستره؛ لأن الخمر تضعيع العقل، وما دون السكر داع إلى ما يستكمله، فأقيم مقامه في الشرع الكامل" (٣).

فهذه المنكرات لها سلطاتها المتسلط على النفوس، بما فيها من مغويات تدعو الإنسان إلى التحلل من سلطان العقل، وما يدعو إليه من وقار، وجدّ، لتحمله على

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ٢ / ٢٣٢.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، ٤ / ٢٤٣.

أجنحة الخلاعة والعبث والمجون.. ومن وراء ذلك شيطان يستحث أهواء النفس، ويشير غرائزها الحيوانية الخسيسة.. فإذا لم يأخذ الإنسان حذره ويتجرد لحرب هذه المغويات المتسلطة عليه، ويلقاها بإيمان وثيق وعزم ثابت، غلبته على أمره، وأخذته من مقوده، وأقامته على هذا المرعى الوبيل، ليطعم منه، ويعيش عليه(١).

ومما يلحق بالخمير المخدرات وحرمتها ومنعها في الشريعة واضح ظاهر لما تفعله في عقول شبابنا من أضرار، ومسوخ وتشويه، وركود وخمود؛ تجعل الشباب خامداً هامداً معطلاً لطاقته العقلية التي منحها الله إياها.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: ((نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر)) (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الحشيشة حرام يجلد صاحبها كما يجلد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهي داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظاً ومعنى" (٣).

وقال أيضاً رحمه الله: "... وأما الحشيشة الملعونة المسكرة فهي بمنزلة غيرها من

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ٤ / ٢١.

(٢) رواه أحمد في كتاب: حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٢٦٠٩٤، وأبو داود في الأشربة برقم ٣٦٨٦ وابن أبي شيبة في الأشربة برقم ٩ والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب: الأشربة والحد فيها برقم ١٧٨٨٧. وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قولها: ومفتر، فقد عده الحافظ صالح بن محمد البغدادي من تفردات شهر بن حوشب وهو ضعيف، لأنه لم يذكر في شيء من الحديث. وعده الحافظ الذهبي في "الميزان" من مناكيره. لكن حسن إسناده الحافظ ابن حجر في "الفتح" ١٠ / ٤٤! ونقل المناوي في "فيض القدير" ٦ / ٣٣٨ عن الحافظ العراقي أنه صحح إسناده. انظر: سنن أبي داود تحقيق: الأرنؤوط ٥ / ٥٢٩.

(٣) السياسة الشرعية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١١٦.

المسكرات، والمسكر فيها حرام باتفاق العلماء" (١).

وقال الزركشي رحمه الله: "وقد أجمع الفقهاء من أصحابنا وغيرهم على أنه يحرم

تناول المسكر وعمم النبات" (٢).

وقال صاحب تهذيب الفروق: "واتفق فقهاء أهل العصر على المنع من النبات

المعروف بالحشيشة التي يتعاطاها أهل الفسوق. . " (٣).

وإذا كان من الضروريات التي حرص الإسلام على المحافظة عليها حفظ النفس

وحفظ العقل، فإنه في سبيل هذا حرم الموبقات والمهلكات المذهبات للعقل والمفسدات

له؛ فإن أحداً من الناس لا يشك في أن سعادة الإنسان رهينة بحفظ عقله، لأن العقل

كالروح من الجسد. به يعرف الخير من الشر، والضار من النافع، وبه رفع الله الإنسان

فضله وكرمه على سائر مخلوقاته، وجعله به مسؤولاً عن عمله، ولما كان العقل بهذه

المثابة فقد حرم الله كل ما يذهب حرمته قطعية. ومن أجل هذا حرم تعاطي ما يؤدي

بالنفس وبالعقل من مطعوم أو مشروب واتفقت سائر المذاهب الإسلامية على تحريم

المخدرات بجميع أصنافها.

والمادة المخدرة "هي كل مادة خام أو مستحضرة تحتوي على عناصر منبهة أو

مسكنة من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية أن تؤدي إلى حالة

من التعود أو الإدمان عليها مما يضر بالفرد والمجتمع جسماً واجتماعياً

ونفسياً....." (٤).

وقيل "هي مادة تسبب في الإنسان والحيوان فقدان الوعي بدرجات متفاوتة، وقد

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٢٠٤٣/٣٤.

(٢) زهر العريش في تحريم الحشيش، بدر الدين الزركشي، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٣) تهذيب الفروق، محمد علي بن حسين المالكي، ٢١٤/١.

(٤) مجلة الجندي المسلم، ص ٥٢ - ٥٣.

ينتهي إلى غيبوبة تعقبها الوفاة" (١).

وعرفها بعضهم بأنها: "كل مادة يؤدي تعاطيها إلى حالة تخدير كلي أو جزئي مع فقدان الوعي أو دونه، أو تعطي شعوراً كاذباً بالنشوة والسعادة مع الهروب من عالم الخيال" (٢).

ويعرفها البعض الآخر: "كل مادة تعمل على تعطيل أو تغير الإحساس في الجهاز العصبي لدى الإنسان أو الحيوان، وذلك من الناحية الطبية، أما من الناحية الشرعية فهي كل مادة تقود الإنسان إلى الإدمان وتؤثر على الجهاز العصبي" (٣).

ورغم تعدد التعريفات للمخدرات بالنظر إلى البعد الذي تنتمي إليه قانونياً أم طبياً أم شرعياً فإن الجميع يتفق على خطورة المخدرات وأضرارها على الإبداع العقلي والفكري للناس عموماً وللشباب خصوصاً؛ فإن الشاب كثيراً ما يعاني في مواقف مختلفة من الشعور بالإحباط نتيجة فشله في تحقيق ما يطمح إليه من أهداف، ويتعمق هذا الشعور كلما اصطدم من صعوبات وعراقيل مما يشعره بالقلق والاكتئاب والعجز. "وعندئذ تتتاب شخصية الفرد حالة من عدم التوازن النفسي تجعله يبحث عن حلول بديلة تعيد لشخصيته هذا التوازن، بحيث يحقق الفرد ما لم يستطع أن يحققه في الواقع. في هذه الحالة قد يلجأ الفرد لتعاطي المخدر كي يقطع صلته بالواقع الذي لم يتح له تحقيق ما يطمح إليه، ويسبح في عالم من الخيال والأحلام يسمح له - ولو عن طريق الوهم والخيال - بإشباع رغباته وطموحاته" (٤).

(١) الموسوعة الميسرة، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٥/٢.

(٢) أثر المخدرات على الأمة وسبل الوقاية منها، د. أحمد عطية بن علي الغامدي، ص ١٠.

(٣) النظرية الإسلامية لمكافحة المخدرات، د. محمد بن جمعة بن سالم، ص ٢١.

(٤) قضايا الشباب في المجتمع المعاصر، د. محمد عباس نور الدين، ص ٦٠-٦١.

إنه منذ بزوغ فجر الإسلام وهو يؤسس للبشرية ما يحفظ عليها خصائصها، وبقائها ما يفسد عليها حياتها، ويدمر مستقبلها، ويعددها عن التكريم الذي أنعم الله به عليها، ولذلك حذر منذ البداية من أمهات القبائح والمفاسد، ومنابع الهلاك صوتاً للبشرية ورعاية لمصالحها.

ولذلك حذر وحرّم وتوعّد عليها برغم أنها لم تكن في بداية الدعوة الإسلامية بالخطورة التي وصلت إليها اليوم، وما ذلك إلا بعلم سابق، وحكمة بالغة، ورحمة بالعباد. ومن تلك الخبائث والمفاسد القبيحة المسكرات بأنواعها حفظاً للعقول في مجالات الحياة كلها. "لأن المس بالعقل معناه حصول الخلل في مركز القيادة والتسيير والفهم وفي معيار جلب المصالح، ودرء المفاسد، وإذا حدث خلل في العقل ضاع فهم الدين، وضاعت المصالح، واضطربت الحياة، وحلّ الفساد محلّ الصلاح، والانحراف محلّ الاستقامة، والضرر محلّ السلامة"^(١).

ومن يشاهد في عصرنا كيف استيقظت البشرية على الخطر المحدق عندما انتشرت المخدرات، وصرخت بالويل والثبور وتداعت إلى وقفة كونية لمحاربتها والوقاية منها، يعلم يقيناً أن ما حذر منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما أوصوا به هو المخرج للبشرية، فلا أحد يحمي الإنسان من نفسه وهواه إلا رب العالمين في شريعته المعصومة الخاتمة التي دعت إلى حفظ العقل وحمايته من كل ما يغتاله ويغويه، وذلك بتحريم كل مسكر ومفتر.

إن المخدرات تفقد عقل متعاطيها وتغويه، وهو أشرف شيء كرم الله به الآدمي فهو بذلك يتزل نفسه مترلة البهائم وتشبه بالجانين في تصرفاتهم مع ما ينتاب المدمن من نوبات صرع كثيرة لفقده أي قدرة على ملكية زمام نفسه بل يصبح عبداً للعقار "وتعتري المتعاطي للمخدرات آفات عصبية عرضية وإضرابية ناجمة عن التهاب السحايا

(١) مواجهة خطر المخدرات، د. محمد المدني بو ساق، ص ٨.

أو التهاب الدماغ وبالجملمة فإن المتعاطي للمخدرات يصبح جسداً فاقداً لإرادة الحياة والنجاة محشواً بعاهات نفسية تفقده كل كرامة أو اعتبار، وتحمله على الأفعال الدنيئة والتصرفات القبيحة كالجن والكذب والاستهانة بالقيم الأخلاقية والمثل العليا. وقد تذهب به المخدرات إلى مستوى أخط من الحيوان، وتحيط بمتعاطي المخدرات الآفات النفسية من كآبة وقلق وضيق وحيرة وتردد وكثرة الشكوى، وتقلب المزاج، وضعف الفهم، وفقد الذاكرة، وقلة التركيز وغير ذلك من العاهات والآفات والعقد^(١).

وتعاطي المخدرات مفسدة كبيرة لا يلحق ضررها العقل فحسب، بل يعم ضررها جميع الضروريات من دين ونفس وعقل ونسل ومال ومعلوم شرعاً أنه قد تقرر ضرورة حفظ هذه الضروريات وحمايتها والمحافظة عليها وعد كل اعتداء على واحدة منها جريمة من أشد الجرائم يستحق مرتكبها أشد العقوبات حماية للفرد وصيانة للمجتمع فكيف بالاعتداء على المقاصد الكلية جميعها، فقد بان لنا فيما تقدم خطورتها وضررها على العقل والدين والصحة والأسرة والمجتمع، والمال "وبهذا يحصل القطع واليقين بتحريمها، ودفع ضررها بما يلائم ويناسب من العقوبات الرادعة"^(٢).

(١) المنذرات في عقوبة المخدرات، محمد بن فهد الودعان، ص ٤١.

(٢) المخدرات في الفقه الإسلامي، أ. د. عبدالله بن محمد الطيار، ص ١٠٢-١٠٣.

المطلب الثاني: الاستفادة من الطاقة العقلية في العلم:

إن الطاقة العقلية لدى الشباب يجب أن يستفاد منها في زيادة التحصيل من العلم والطلب، والنصوص الشرعية كثيرة في بيان فضل العلم وتعلمه؛ فكما أن نمو الجسم بالطعام فإن نمو العقل بالعلم إذ بهذا يكون الإيمان عن إدراك أوسع وفهم أعمق واقتناع أتم؛ بل قرن سبحانه ذكر أولى العلم بذكره عز وجل، وذكر ملائكته، فقال جل شأنه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) ﴿١﴾. وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) ﴿٢﴾. وجعل الرفعة والتفاضل بالعلم والتعلم فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) ﴿٣﴾.

ولقد بَوَّبَ الطبراني في معجمه باباً سماه (باب حث الشباب على طلب العلم). وساق فيه جملة من الأحاديث منها ما جاء عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء)) (٤).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، وفيه مروان بن سالم الشامي، ضعفه البخاري ومسلم وأبو حاتم، وأخرجه السيوطي في "اللائع المصنوعة" ١/ ١٩٦ - ١٩٧ من طريق الطبراني، وأخرجه أيضاً ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" ١/ ٨٢ من طريق خلف بن القاسم، وقال: وهذا إسناد فيه طلحة بن زيد وهو متروك، وصدقة بن عبد الله، وعبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مرثم. وهما ضعيفان، وسعيد بن أحمد بن جعفر الفهري ما عرفته. وانظر تزيه الشريعة ١/ ٢٥٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تحقيق: حسين أسد، ٢/ ٢٥٩.

ومن نماذج شباب الصحابة في استغلالهم لطاقتهم العقلية في العلم والتعلم ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما:

مع حرصه على ملازمة النبي ﷺ قبل وفاته، ودعائه له ﷺ كان مجتهدا في طلب العلم من فقهاء الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ فعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير قال فقال واعجبا لك أترى الناس يفتقرون إليك قال فترك ذلك وأقبلت أسأل فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول لا أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث فعاش الرجل الأنصاري حتى رأي وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فقال هذا الفتى كان أعقل مني)) (١).

ومرحلة الشباب هي مرحلة القوة في طلب العلم والمذاكرة كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: جمعت القرآن كله في ليلة. فقال رسول الله ﷺ: ((إني أخشى أن يطول عليك الزمان، وأن تمل فافراه في شهر. فقلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي. قال: فافراه في عشرة قلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي. قال: فافراه في سبع. قلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي. فأبى)) (٢).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٤ / ٩٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب: إقامة الصلاة، باب: في كم يستحب أن يقرأ القرآن ١ / ٤٢٨ حديث ١٣٤٦، وابن حبان ٣ / ٣٣ رقم ٧٥٦، والنسائي في سننه الكبرى ٥ / ٢٤ رقم ٨٠٦٤، وأحمد ٢ / ١٦٣، وقال الألباني في كتابه صحيح سنن ابن ماجه ١ / ٤٠٠ رقم

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله: "قلت لأبي: يا أبت، ما الحفاظ؟ قال: يا بني شباب كانوا عندنا من أهل خراسان وقد تفرقوا"^(١).

ولعل من أبرز الأمثلة على تميز شباب الصحابة في العلم والحفظ والإتقان والمهارة ما كان من شأن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- عندما كلف بجمع القرآن الكريم فلقد كان شاباً عاقلاً متميزاً في كتابة الوحي والحفظ والإتقان.

فَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه - وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ - قَالَ: ((أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتُلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّانِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرَّانَ "، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟» فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِي ذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلَا تَتَّهَمُكَ، «كُنْتُ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»، فَتَسَّعَ الْقُرَّانَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَنْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرَّانِ، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَعْتُ الْقُرَّانَ أَجْمَعُهُ مِنْ الرَّقَاعِ وَالْأَكْتَاكِ...))^(٢).

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠/ ٣٢٦، وابن عساكر في تاريخه ١٣/ ١١٢،

والدارمي في السنن، المقدمة، نشر دار إحياء السنة النبوية.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز

عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم» «من الرأفة»، رقم الحديث ٤٦٧٩.

فأبو بكر رضي الله عنه - استفاد من الطاقة العقلية لزيد بن ثابت رضي الله عنه - ونصّ على ذلك في قوله: "إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك" كما جاء في نص الحديث. قال ابن بطلال رحمته الله: "هذا يدل أن العقل أصل الخلال المحمودة كالأمانة والكفاية في عظيم الأمور؛ لأنه لم يصف زيداً بأكثر من العقل، وجعله سبباً لا ثمانه ورفع التهمة عنه؛ لقوله: إنك شاب عاقل ولا نتهمك" (١).

وقال القسطلاني رحمته الله: "ذكر له أربع صفات مقتضية لخصوصيته بذلك. كونه شاباً فيكون أنشط لذلك، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان كاتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له" (٢).

لقد أبان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلامه عن الصفات التي جعلته يختار زيد بن ثابت رضي الله عنه لمهمة جمع القرآن الكريم حيث قال: "إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلَا نَتَّهِمُكَ، « كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ »، فَتَبَعَ الْقُرْآنَ فَاجْمَعَهُ" (٣). ويمكن إيضاحها بما يلي:

١. إنه شاب يتوفر فيه النشاط والحماسة، فيكون أنشط لما يطلب منه، وحتى لا تفر عزيمته أثناء العمل.
٢. إنه عاقل فطن يحسن التصرف، فيكون أوعى لما يعمل، وحتى لا يقع في عمله نقص أو خلل.

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطلال، ٨ / ٢٦٤.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ١٠ / ٢٥٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: باب قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ «من الرأفة»، رقم الحديث

٣. إنه غير متهم في دينه لا يتطرق إليه تجريح أو تفسيق فلا يكون في عمله أدنى ريبة أو شك، وقد استشعر هو خطورة المهمة وضخامتها حيث قال: "قَوَّالَهُ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ" (١).

٤. إنه أحد كتبة الوحي لرسول الله ﷺ، فلديه التجربة العملية والخبرة الميدانية أمام من نزل عليه القرآن ﷺ ويكفي بها مزية (٢).

ومن أسباب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه وهو شاب لجمع القرآن شهوده العرضة الأخيرة للأخيرة للقرآن، قال أبو شامة رحمته الله "قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف رضي الله عنه" (٣).

إن مستوى الوعي عند الإنسان، يتحدّد بمستواه العلمي، فكلما ازداد علماً ازداد وعياً وفقهاً ومعرفةً، لذلك أرشد الله تعالى رسوله محمداً رضي الله عنه، إلى طلب الزيادة في العلم فقال له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٤). وهذا إرشاد للأمة كلها، وحث لها على تحصيل العلم، والاستزادة منه دائماً، وخاصة الشباب في عصرنا الحاضر الذي يعرف بعصر العلم. و"الشباب هم طلبة العلم في الغالب، فهم تلاميذ المعاهد والجامعات،

(١) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: باب قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ «من الرأفة»، رقم الحديث ٤٦٧٩.

(٢) انظر: جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة، د. علي بن سليمان العبيد، ص ٤٤.

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة، تحقيق: طيار آلي قولاج، ص ٩٦.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٤.

وهم المتخرجون وحملة الشهادات، وهم حاملو أمانة العلم، ومسؤولية تعليم الأجيال، فبمقدار علمهم يعلمون، وعلى حسب مستواهم ومعرفتهم يدرّسون ويربّون، فكلما كان المستوى العلمي لدى الشباب عالياً، كانت قدرتهم على الإعطاء أقوى وأكبر. إن المستوى العلمي للشباب قد تدنّى وهبط، وهذا ما قد يستغربه الكثيرون، وربما اعتبروه غير صحيح.. مستندين في ذلك إلى: وجود هذه الأعداد الكبيرة من المدارس والمعاهد والجامعات، على اختلاف اختصاصاتها العلمية، وإلى: الأفواج التي لا تكاد تحصى من الطلبة في بلاد المسلمين^(١).

وما من شك أن خطورة التعليم العالي في الوطن العربي تبرز بالنسبة للمستقبل القريب إذا أدركنا حجم الأعداد الهائلة التي تلتحق بالجامعات سنوياً أو تستعد للالتحاق بها. إذ إن أعداد الطلبة المسجلين في التعليم قد تزايدت في جميع البلدان العربية في العقود الأربعة الماضية، ولكن بنسب متفاوتة من بلد إلى آخر إذ ارتفع عدد الطلبة من ٨٩٥ ألف طالب عام ١٩٧٥، كما جاء في تقرير التنمية الثقافية الأول الذي أصدرته مؤسسة الفكر العربي بالتعاون مع المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا ومركز دراسات الخليج في نوفمبر ٢٠٠٨ ليصل إلى سبعة ملايين و١٦٤ ألف طالب وطالبة عام ٢٠٠٦ بزيادة نسبتها ٨٠٠%. وارتفع عدد الجامعات العربية من ٢٣٠ جامعة عام ٢٠٠٣ ليصل إلى ٣٩٥ جامعة عام ٢٠٠٨. وارتفعت نسبة الإناث في التعليم العالي من ٢٨ر٤% من مجموع الطلاب المسجلين لتصل إلى ٤٧ر٨% عام ٢٠٠٦.

ومع ذلك فالتعليم العالي في الوطن العربي لم يتمكن من استيعاب أكثر من زهاء ١٥% من الشريحة العمرية (١٨-٢٣). مضافاً أنه إذا كانت نسبة الالتحاق بالتعليم

(١) أزمات الشباب أسباب وحلول، القاضي محمد أحمد كنعان، ص ٦٤.

العالي في مصر، أكبر الأقطار العربية ٢٨% فإنها في دولة الاحتلال أكثر من ٤١% وفي الدول المتقدمة تزيد عن ٦١%. مما يعني أن العالم العربي لم يبلغ على المستوى الكمي، الحد الذي يمكن عنده اعتبار أن الفجوة المعرفية هي في طريقها إلى التقلص. والسبب الرئيسي وراء ذلك إلى تراجع قدرة الدول العربية على الاستجابة إلى الطلب المتنامي للتعليم العالي، إضافة إلى مسألة الموارد المالية والتي تعتبر العامل الأساسي المحدد لتلك القدرة. مؤكداً على أن معدل ما ينفق على التعليم العالي في مجمل الدول العربية هو ١٣% من الناتج المحلي، مع وجود تفاوت بين الدول حيث تبلغ أعلى نسبة ٣٤% في الأردن وأقل نسبة ٠.٤% في جيبوتي. إضافة إلى أن الأردن يحتل الأردن المرتبة الأولى في التعليم العام حسب تقدير البنك الدولي للعام ٢٠٠٨م (١).

ومن المناسب هنا أن نورد هذه الإحصاءات (٢):

١- أعداد الطلاب ومعدل الالتحاق من فئة العمر الجامعي في الوطن العربي:

معدل الملتحقين من فئة العمر الجامعي	أعداد الطلاب (مليون)	العام
-	١.٠	١٩٧٥
٩%	٣.١	١٩٩٦
١٥%	٣.٦	١٩٩٨
٢٠%	٧.١٦٤	٢٠٠٨

(١) انظر: محاضرة "التعليم العالي في الوطن العربي"، د صالح هاشم، الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية، والتي ألقاها بمبنى عبد الحميد شومان الثقافي ٢٢-١٢-٢٠٠٨م، تقرير مجلة الرأي بتاريخ ٢٤-١٢-٢٠٠٨م.

(٢) انظر: التعليم في الوطن العربي أمام التحديات التكنولوجية، إبراهيم عبد الله الهجري، جامعة صنعاء، اليمن، ص ١٣.

٢- أعداد الجامعات العربية:

أعداد الجامعات	العام
١٠	١٩٥٠
٣٣	١٩٧٩-١٩٧٠
٥١	١٩٩٠-١٩٨٠
٣٩٥	٢٠٠٨

إن واجب المسؤولين الاستفادة من الطاقة العقلية للشباب، ومن عددهم الكبير في سلمّ التعليم لتحقيق الرقي لأمتنا، والنهوض بها في ظل التقدم الحضاري والعلمي للدول الأخرى من حولنا حيث "إن العدد الضخم من الملتحقين بالتعليم سلاح ذو حدين فإن استطعنا أن نحقق تعليماً فعالاً ينسجم مع حاجات المجتمع ويولي طموحات خطط التنمية، ويواكب التغيرات والتطورات العالمية، فإن كل ذلك سيحدث ثورة اجتماعية واقتصادية في غضون سنوات محددة، بشرط أن لا يبقى حال التعليم في العالم العربي على وضعه الراهن، فالعالم العربي يعيش تراجعاً مستمراً في دخله القومي، ويتوقع له مزيداً من التراجع بسبب عوامل عديدة داخلية وخارجية، إذ أن خريجي التعليم على مختلف مستوياتهم سيشكلون مزيداً من العبء على المجتمع بكامله، وبدلاً من أن يقوده إلى الأمام فإنهم سيكونون قوة كابحة لتقدمه وتطوره، إن أهم ما يعيق التعليم هو ضعف الإنفاق عليه في العالم العربي، لذلك لا بد من إعادة ترتيب الأولويات في الإنفاق ووضع العملية التعليمية في المراتب الأولى حتى يصبح للتعليم دلالة قيمية إذا أصبح هو هدف الشباب في ظل الفراغ التربوي، هو الحصول على الشهادة، وبالتالي

أصبح الأسلوب السائد هو أسلوب الحفظ والتلقين، وتغيب النقاش والحوار، ومن هنا ظهرت أمية الحضارة إن لم يكن التخلف الحضاري" (١).

إننا بحاجة ماسة إلى تأكيد أهمية العلم، والأخ يحظ وافر من المعرفة، وحفز الشباب إلى مزيد من التعلم، في ظل الزخم الشديد من وسائل التواصل الاجتماعي، وغزو الفضائيات، والانفتاح على شبكة المعلومات الدولية. والعلم هو السلاح الفعال لتحسين الشباب ووقايتهم من الانزلاق وراء الدعوات الهدامة أو الافتنان ببريق الحضارة الغربية الحديثة. إن الأفكار والثقافات الغربية تتسرب إلى نفوس الشباب وعقولها فتتركها فريسة للأوهام والاعتراب، وفي حال عدم قدرة أي أمة على تحسين شبابها سيكون مصيرها التبعية وبخاصة هذا الغزو الهائل من المعلومات المضللة وانتشار وتطور الاتصالات ولا سيما الفضائية التي دخلت معظم البيوت العربية دون استئذان لتعيث فيها فساداً.

"وعلى سبيل المثال، تصدر وكالة [رويترز] يومياً أكثر من ٤٠ مليون كلمة تسوزع على أكثر من ٨٠ دولة، في حين لا توجد وسائل إعلامية فعالة في العالم العربي تستطيع بموجبهما المجاهدة أو حماية الشباب. والخوف كل الخوف أن تصبح اللغة العربية هي اللغة الثانية أو الثالثة مع مرور الزمن، كما نلاحظ أن نسبة القراء في العالم العربي منخفضة عن الدول الأخرى، ولقد أصدر مركز الدراسات الوحدة العربية ومقره [لبنان] ملفاً إحصائياً على مدى عشرين عاماً بين ١٩٦٥-١٩٨٥م، جاء فيه أن العالم العربي كان يصدر (٤٠٠٠) عنوان كتاب جديد عام ١٩٦٥م، ووصل العدد إلى (٧٠٠٠) عنوان جديد في ١٩٨٥م، ثم تراجع إلى أن وصل إلى ٢٨٠٠ عنوان، هذا بالمقارنة مع [اليابان] تصدر سنويات ٣٥.٠٠٠ كتاب، وشتان بين أنواع الكتب العربية والكتب اليابانية.

(١) شبابنا في عالم التغيير، نسرین حمزة السلطانی، ص ٦.

ونجد أيضاً أن الشباب العربي يمضي أكثر من ٤ ساعات يومياً في مشاهدة التلفزيون وقابلة للزيادة مع غزو المحطات الفضائية، وإن ٤٠-٦٠% من برامج التلفزيون العربية مستوردة وكثير منها لا يتناسب طبيعة هذه البلاد المسلمة، ويمكن القول عن هذه الحالة [بالغزو الثقافي المستورد] أي أن الإعلام العربي يستورد الغزو الثقافي عبر الأفلام والمسلسلات والبرامج والإعلانات والمستودعات إلى جانب المعلومات بمختلف صورها، كما أن البرامج التلفزيونية المحلية دون المستوى المطلوب ولا تساهم في تثقيف المواطن أو الشباب وزيادة وعيه وإدراكه^(١).

(١) الشباب بين الطموح والجروح مقالة على موقع: <http://www.holol.net>.

المطلب الثالث: توظيف الطاقة العقلية للشباب في تعليم الآخرين:

ومن منهج الإسلام في توجيه الطاقات الشباب العقلية أنه يوجههم للمشاركة المجتمعية، وإفادة المجتمع منهم من خلال القيام بعملية التعليم والتثقيف في المجتمع.

وكما أن "مرحلة الشباب قوة في التعلم، فهي قوة في التعليم أيضاً" (١). فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قال: قلنا لزيد بن أرقم رضي الله عنه: حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد)) (٢).

وقد وجه القرآن الكريم أولئك الذين نالوا قسطاً من العلم أن يقوموا بواجبهم تجاه مجتمعهم فيعلموا الجاهل، ويرشدوا الحائر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٣٢) (٣).

قال النسفي رضي الله عنه: "أي أن نفر الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة؛ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفر ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها، وليجعلوا مرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم دون الأعراض الخسيسة من التصدر والتروؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملايس، فأمرُوا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى

(١) الهدى النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن وهف القحطاني، ص ٣٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه، المقدمة، باب: التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ / ١١ حديث ٢٥، والطبراني في الكبير ٥ / ١٦٩ رقم ٤٩٧٨، وابن الجعد في مسنده رقم ٦٨، وأحمد ٤ / ٣٧٠، والطيالسي رقم ٦٧٦، وقال الكناي في مصباح الزجاجه ١ / ٨: هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١ / ٢٦ رقم ٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثراً من الجهاد بالنضال" (١).

وقال السعدي رحمته الله مبيناً دلالات هذه الآية وفوائدها: "ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصاً الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمي له. وأما اقتصار العالم على نفسه، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأبي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علماً ومنحه فهماً. وفي هذه الآية أيضاً دليل وإرشاد وتبنيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، وتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم وديانهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور" (٢).

وما يدل على أهمية توجيه الطاقة العقلية للشباب إلى تعليم الآخرين والاستفادة منها في ذلك، ما جاء عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببه متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظننا أننا اشتقنا أهلنا، وسألنا عن تركنا في أهلنا فأخبرنا، وكان رقيقاً رحيماً، فقال: ((ارجعوا إلى أهليكم فاعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ١/ ٧١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي ص ٣٥٥.

أَحَدَكُمْ، ثُمَّ لِيُؤْمَكُمُ أَكْبَرُكُمْ)) (١).

قال ابن حجر رحمته الله: "واقتصار الصحابي على ذكر سبب الأمر برجعهم بأنه الشوق إلى أهلهم دون قصد التعليم هو لما قام عنده من القرينة الدالة على ذلك ويمكن أن يكون عرف ذلك بتصريح القول منه رحمته الله وإن كان سبب تعليمهم قومهم أشرف في حقهم لكنه أخبر بالواقع ولم يتزين بما ليس فيهم ولما كانت نيتهم صادقة صادف شوقهم إلى أهلهم الحظ الكامل في الدين وهو أهلية التعليم كما قال الإمام أحمد في الحرص على طلب الحديث: حظ وافق حقاً" (٢).

ثم قال رحمته الله: "وفي الحديث أيضاً فضل المحجرة، والرحلة في طلب العلم وفضل التعليم" (٣).

وفي الحديث أن الإنسان مأمور بأن يعلم أهله ولهذا قال: ارجعوا إلى أهليكم وعلموهم، يعلموهم ما تعلموه من رسول الله رحمته الله؛ فالإنسان ينبغي له أن يعلم أهله ما يحتاجون إليه إما أن يجعل جلسة خاصة لهم أو إذا جلسوا على الطعام أو على الشراب أو في انتظار النوم أو ما أشبه ذلك يعلمهم، ولا يقتصر على التعليم فقط قال: علموهم ومروهم فيعلمهم ويأمرهم، فلا بد من تعليم الأهل ولا بد من أمرهم وتأديبهم وتوجيههم.

وإننا الآن في واقعنا الحالي، وفي ظل المتغيرات الحضارية الراهنة، والصعوبات المعرفية المتجددة، والأنشطة الإعلامية الغربية المتربصة بأبناء المسلمين وشبابهم؛ أحوج ما نكون إلى جهود الشباب وطاقاتهم العقلية؛ ليقوموا بعملية التعليم، والمشاركة المجتمعية في تعليم أبناء المسلمين وتثقيفهم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث ٦٠٠٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٢ / ١٧١.

(٣) المرجع السابق، ٢ / ١٧٢.

وتعتبر مشاركة الشباب في قضايا المجتمع من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، وتكتسب المشاركة المجتمعية أهمية متزايدة يوماً بعد يوم؛ فهناك قاعدة مُسلمٌ بها، مُفادها أن الحكومات - سواء في البلدان المتقدمة أو النامية - لم تُعد قادرة على سدّ احتياجات أفرادها ومجتمعاتها؛ فمع تعقّد الظروف الحياتية، ازدادت الاحتياجات الاجتماعية، وأصبحت في تغيّر مستمر؛ ولذلك كان لا بدّ من وجود جهة أخرى موازية للجهات الحكومية، تقوم بملاء المجال العام، وتُكمل الدور الذي تقوم به الجهات الحكومية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية، ويُطلق على هذه الجهة: "المنظمات الأهلية" وفي أحيان كثيرة يُعتبر دور المنظمات الأهلية دوراً سبّاقاً في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وليس تكميليّاً، وأصبح يضع خُططاً وبرامج تنموية، تحتذي بها الحكومات" (١).

إن الشباب دائماً لديه القوة والحيوية الفاعلة، وعندما نوجه الشباب إلى الاستفادة من قدراتهم العقلية في تعليم الآخرين فإن لهذا الأمر مردوداً إيجابياً على الشباب بإعلاء مكانتهم في المجتمع وإشعارهم بمسؤوليتهم تجاه بلدهم ووطنهم، وحثهم على بذل مزيد من الجهد والطاقة في سبيل خدمة أمتهم.

(١) مشاركة الشباب في قضايا المجتمع ودورها في الوقاية من المخدرات، محمود أحمد عبد القادر علي، مقال على موقع الألوكة رابط الموضوع:
http://www.alukah.net/publications_competitions/0/30008/#ixzzruyxRSvg6

المطلب الرابع: توظيف الطاقة العقلية للشباب في عمارة الأرض:

ومن توجيه الإسلام لطاقات الشباب العقلية حثهم على عمارة الأرض، واستخراج كنوزها، ومعرفة طرق تسخيرها وتذليلها لخدمة الإنسان. ففي الوقت الذي تعاني فيه الأمة الإسلامية من التراجع الحضاري والمعرفي أحوج ما تكون إلى طاقات شبابها العقلية لتحقيق عمارة الأرض وفق مراد الله وشريعته، ولتحقيق الريادة بين الأمم، والتمكين والاستخلاف في الأرض الذي عناه الله بقوله سبحانه: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (١).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٢).

قال القرطبي رحمته الله: "أي جعلكم عمارها وسكانها. وعن زيد بن أسلم رحمته الله: أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرس أشجار. وقيل: المعنى ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها. وقال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب" (٣).

وقال أبو زهرة رحمته الله: "أي جعلكم تعمرونها فتنشئون فيها المباني والحدائق الغناء، والسين والتاء في كلمة (استعمركم) معناهما التكليف لعباده أن يعمروها فهو سبحانه مظهرهم على ما جعلهم يسخرون السماوات والأرض بما قدره تعالى لهم" (٤).

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٦١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩ / ٥٦.

(٤) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ٧ / ٣٧٢٣.

وقال ابن عاشور رحمته الله: "والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامرينها، فالسین والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق. ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميراً للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عمر الأرض" (١).

وإذا كان بثّ الحياة في ميادين الكون بإصلاح شأنه، وتسخير ما فيه لما يخدم الإنسان ويحقق رفاهيته وسعادته هو المقصود بإعمار الكون، ممّا يقتضي وصول الإنسان إلى ذروة الكمال المادي والمعنوي عن طريق تذليل ما في الكون واستثمار ما فيه، واستشعار عظمة خالقه، فمن المفترض أن يكون ذلك وفق منهج مستقيم، ورؤية واضحة. والشريعة هي المنهج الوحيد الذي تستقيم في ظلّه الحياة، وتستقيم في ظلّه النفوس، وتجذ الفطرة في ظلّه السلام مع ذاتها، والسلام مع الكون الذي تعيش فيه وهذا ممّا تقتضيه حكمة خلق الإنسان وتكليفه، فالإنسان خلق لغايات وهو مكلف بتحقيقها حسب ما بيّن له الخالق جلّ جلاله (٢).

إن العالم الآن من حولنا يتطور في كل المجالات بصورة متسارعة متلاحقة، والأمة الإسلامية متهمّة بتراجعها الحضاري، وتأخرها العلمي، وانفصالها عن ركب التقدم المادي والعلمي والمعرفي، رغم أنّها تملك قاعدة من الشباب كبيرة حبذا لو استفادت من طاقاتهم العقلية في رقيها ونهضتها؛ وتقدم نموذج فريد لعمارة الأرض، وتسخيرها، والتمكّن من معطيات الكون وفق منهج الله سبحانه؛ فعمارة الأرض بمعناها الشامل تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارة إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهرًا لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض. "إنّ مهمته تحقيق جامعة إنسانية فعّالة في

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢ / ١٠٨.

(٢) انظر: إعمار الكون في ضوء نصوص الوحيين، د. زياد خليل الدغامين، ص ٢٥.

سبيل النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي، العمارة الكلية الشاملة لكل ما تتسع له كلمة العمارة من المعاني المادية والعلمية والاقتصادية. فهي غاية وجود الإنسان وهدفه الأعظم، ولا سبيل له إلى حياة كريمة له إلا بالقيام بعملية الإعمار في مختلف الصعد، لتظهر كمالات الإنسان واستعداداته اللامحدودة في الحياة" (١).

ولضرورة العمارة سبب آخر، وهو طبيعة الطاقة الكامنة في الإنسان، وما أودع فيه البارئ من قوى، إذا ما تيسر لها أن تسير وفق هداية السوحي، فإنها ستصنع الحارقات، وتسطر الآيات البيّنات. "فلا جدال في أن النفس البشرية طاقة عظمى من طاقات البناء والإعمار، ومصدر خصب من مصادر الحقّ والعدل والخير والجمال في هذا العالم إذا ما زكت وصفت وغدت موصولة الأسباب بفاطرها وموجدتها؛ لأنّ صلتها بالله، واستمسكها بأسباب أنواره يجعلها موضع نظره، ومن كان موضع نظر الله تعالى أفيضَ عليه من صفات جماله وكماله ما يستطيع بها أن يحق ظلام الدنيا وشروها؛ فالإعمار ضروري لإظهار هذه القوى الإنسانية الراشدة، والطاقة التعميرية الهائلة" (٢).

إن الشباب بما حباه الله من طاقات عقلية يمكنه أن يقدم لنا نموذجاً مثالياً في عمارة الأرض وتسخيرها، إذا ما وظّف طاقته في الاطلاع والعلم والمعرفة والبحث والإدراك لسنن الله في الكون واكتشافها؛ فلقد بثّ الله تعالى في الطبيعة عناصر كثيرة، يعدّ اكتشافها فرضاً على الإنسان، وتعدّ دراسة هذه العناصر ومعرفة خصائصها من الضروريات بالنسبة إلى الحياة الإنسانية، وكلها خاضعة لقوانين ثابتة منضبطة، "ومن هنا تتجلّى حكمة الله سبحانه وتعالى في صياغة نظام الكون على مستوى القوانين، وعلى مستوى الروابط المضطردة والسنن الثابتة؛ لأنّ صياغة الكون ضمن روابط

(١) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٢٦، ٢٧.

(٢) إعمار الكون في ضوء نصوص الوحيين، د. زياد خليل الدغامين، ص ٢٧.

مضطردة وعلاقات ثابتة هو الذي يجعل الإنسان يتعرّف على موضع قدميه، وعلى الوسائل التي يجب أن يسلكها في سبيل تكيف بيئته وحياته والوصول إلى إشباع حاجته. إن آيات عديدة تضع الجماعة البشرية المؤمنة في قلب العالم والطبيعة، وتدفعها إلى أن تبذل جهدها من أجل التقيب عن السنن والنواميس في أعماق التربة، وفي صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذرات، إننا بإزاء حركة حضارية شاملة تربط بين مسألة الإيمان ومسألة الإبداع والكشف، بين التلقي عن الله والتوغّل قدما في مسالك الطبيعة ومنحنياتها وغوامضها، بين تحقيق مستوى روحي عال للإنسان على الأرض وبين تسخير طاقات العالم لتحقيق الدرجة نفسها من التقدّم على المستوى المادي" (١).

إن الطاقة العقلية للشباب ينبغي أن توظف في مواجهة التحديات والمشكلات التي تواجه البشرية، وإزالة ما يعيق تقدمها، ولعل من النماذج الفريدة التي تحدث عنها القرآن في الاستفادة من الطاقة العقلية ما كان من ذي القرنين عندما استعمل عقله وما وهبه الله إياه في بناء السد عندما أخبره القوم بحاجتهم إلى ذلك لدفع الفساد من يأجوج ومأجوج، فأخذ بالأسباب، وعمل بها، واستفاد من ملكاته ومواهبه قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا لَئِنَّا الْقُرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿١٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿١٧﴾﴾ (٢).

قال السعدي رحمته الله: "أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به

(١) حول تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، ص ٧٧، ٧٨.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٩٤-٩٧.

يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل" (١).

وفي الربط بين صنيع ذي القرنين وأخذه بالأسباب، وبين ما يعود من فوائد بسبب ذلك قال الشيخ أبو زهرة: "وهكذا تتوارد أسباب العمل سبباً يتبع سبباً، أي يجيء من بعده تابعاً له، وهكذا مُكَّن في الدنيا، إذ اتخذ سبيل الحق والعدل، يسلك الأسباب الموصلة بما آتاه الله من العلم والإدراك فإذا كان عادلاً منصفاً استقر حكمه، وانتظمت الأمور، وإذا انتظمت الأمور قويت الجماعة واستقامت الأخلاق وسادت الفضيلة وانتصرت في الحروب وإذا انتصرت أنصفت، وجلبت المصالح، ودفعت المضار، وهكذا تترادف الأسباب وتستقيم الأمور، وإنه بتوافر الخير واتخاذ الأسباب المكونة لدولة قوية عادلة، سار في الأقاليم فاتحاً ناشراً لواء العدل، ولذا سار يجسوس خلال الدول فاتحاً مظلماً الجماعات بلواء العدل" (٢).

وقد ربط القاسمي رحمته الله صنيع ذي القرنين هذا وبين سن الشباب، وأشار إلى أن من الدروس المستفادة استغلال حداثة السن في تحقيق ما يصبو إليه الإنسان من الرقي والتقدم وبلوغ معالي الأمور حيث قال:

"وقد أشار نبأ ذي القرنين إلى فوائد شتى. منها: الإشارة إلى القيام بالأسباب، والجري وراء سنة الله في الكون من الجد والعمل. وأن على قدر بذل الجهد يكون الفوز والظفر ومنها: وجوب المبادرة لمعالي الأمور من الحداثة. إذ من الخطأ التسوية

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي ص ٤٨٥.

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ٩ / ٤٥٧٨.

فيه إلى الاكتهال" (١).

إن حاجتنا لتوظيف طاقات شبابنا العقلية في إعمار الأرض تأتي أهميته لأن القرآن حين دعا إلى إعمار الكون هـى في الوقت نفسه أن يكون هذا الإعمار وسيلة عبث وصدّ وإعراض عن منهج الله تعالى، وفي قوله تعالى: ﴿ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَنْبَهُونَ ﴾ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ما يدلّ على فشل الإعمار المادّي الذي لا يحقّق غايات الحياة ومقاصدها، فقد كذب هؤلاء رسولهم فهلك كلّ إعمارهم: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣١) (٣). "إنّه لما طغى إنسان هذه الحضارات في الأرض واستكبر، وعلا وتجبّر، وظلم وتكبّر، وظنّ أن لن يقدر عليه أحد، وتحدى سنن الله تعالى تحققت فيه تلك السنن العادلة التي لا تحابي أحدا، وقضت بهلاك هذه الحضارات، وما كان منها قائماً فصيره إلى هلاك وزوال، فإعمار الأرض إن لم يقم على هداية الوحي وسننه فهو إلى زوال، لأن أيّ حضارة لا تقيم بنياها على تلك الأسس فكأنما تبني حضارة يكابد إنساها بؤس العيش، وخواء الروح، وضلال الهدف والغاية، وسوء المنقلب والمصير، فهي لذلك حضارة الإفلاس على الرغم مما وصلت إليه من منجزات مادّيّة وتقنيّة" (٤).

ولتحقيق ما نصبوا إليه من تفعيل طاقات الشباب العقلية في عمارة الأرض لا بد من وجود مؤسسات داعمة لأفكار الشباب، وموجهة لعقولهم لتحقيق النفع والتقدم، وألا يترك الشباب سدى تتخطفهم أيدي الشر، وتعبث بعقولهم قوى الظلام، مسا

(١) محاسن التأويل، القاسمي، ٦٧ / ٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٨ - ١٣٠.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٣٩.

(٤) إعمار الكون في ضوء نصوص الوحيين، د. زياد خليل الدغامين، ص ٤٠.

أحوجنا إلى احتواء الأفكار والعقول، وتشجيع المواهب والملكات العقلية، وتقديم النموذج الفريد للتقدم الحضاري، لنثبت قدرتنا على مواجهة المتغيرات الحضارية، والمستجدات الفكرية، في عصر يموج بصراعات، ويمتلئ كل يوم بالجديد، ويفيض كل لحظة بالحديث والطارف في شتى مجالات المعرفة.

المطلب الخامس: استثمار الطاقة العقلية في الابتكار والإبداع الفكري:

عندما نتحدث عن الابتكار والإبداع الفكري من خلال الطاقة العقلية للشباب فلا ينبغي أن نغض الطرف عن أنه بفعل المتغيرات الحضارية الراهنة، وانتشار العولمة بكافة صورها وأشكالها، جعلت شبابنا مجرد مقلد للمنتجات الثقافية التي تفد إليه، وتقع بين يديه، وقتلت فيه روح الإبداع والابتكار والحيوية والنشاط، فكان مستهلكاً أكثر منه منتجاً، ومستقبلاً أكثر منه مرسلأ، ومفعولاً فيه أكثر منه فاعلاً، ومقوداً لا قائداً لعجلة الحياة.

ويشخص د. محمد عمارة هذه الإشكالية فيقول: "إن قمة مأزقنا الحضاري، هي: الفقر في "الإبداع" .. والإسراف في "التقليد"!! .. وإذا كان التقليد يصيب عقولنا بالكسل.. ويشيع روح "الاستهلاك" لبضاعة الآخرين، بدلاً من معاناة "الإنتاج"!! .. ويعطي ملكات الإبداع "إجازة" تكرس الذبول والموات!! .. فإن طوق نجاتنا من هذه المأساة هو: إحلال الإبداع والاجتهاد والتجديد محل الجمود والتقليد.. ولم ولن يكون هناك إبداع إلا إذا اكتشفنا خصوصيتنا الحضارية، وتميزنا الثقافي.. فالخصوصية هي داعية الإبداع.. والحاجة هي أم الاختراع!"(١).

إن من أكبر عوامل قتل الإبداع والابتكار لدى الشباب وقوعهم في التقليد بدون روية أو تأمل، حيث إنه يضعف شخصية الإنسان ويقتل مواهبه. وثمة فرق جوهري بين التقليد الأعمى وبين الاستفادة المشروعة من تجارب الآخرين، فالتقليد الذي يتأتى بصورة عشوائية يمسخ الشخصية الأصيلة للإنسان، بمعنى أن الشاب الذي يظن بأنه من خلال تقليده لبعض التقليعات الغربية إنما يطور نفسه ونمط حياته فهو واهم قطعاً، لأنه بذلك يقتل جميع الإمكانيات الفردية الأصيلة التي تكمن في داخله وتشكل شخصيته

(١) الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، د. محمد عمارة، ص ٨٠.

التي تميزه عن غيره من الناس وبذلك يكون نسخة مكررة لمئات وربما لآلاف النسخ التي لا تختلف عن غيرها من الشخصيات بأي شيء، بمعنى أن عنصر التفرد في شخصية الشاب أو الإنسان عموماً قد انتهى تماماً وهنا تكمن خطورة التقليد الأعمى.

فالتلاقح الإنساني في الفكر والتجريب الإيجابي متاح، بيد أن الأمر ينبغي أن لا يتحول إلى حالة تقليد تقتل مواهب الإنسان ومن ثم المجتمع، إذن ينبغي أن تكون هناك موازنة واضحة بين ما يمكن الاستفادة منه من الثقافات الأخرى وبين التمسك بقاعدة الأصالة التي تحمي شخصية الإنسان من المسخ وتصون قدراته الذاتية المتعددة وتحصنها من الضعف أو الانجراف في مهاوي الزلل أو السقوط في ساحة التقليد الأعمى، وهو ما يلحق ضرراً عميقاً وفادحاً بالفرد وبالتالي بالمجتمع بصورة عامة.

ولهذا نرى تلك التأكيدات المتتالية التي يقدمها المصلحون والمختصون في هذا الجانب للشباب وغيرهم والتي تنصحهم بأهمية الوعي وأهمية صيانة المواهب الفردية وقدرات الذات بالاعتماد على الثقافة الأم وليس الثقافة الوافدة، وذلك من أجل صيانة الذات من الانجراف وراء حالات التقليد العشوائي

ولكي ننجح في استثمار طاقات الشباب العقلية واستغلالها في الإبداع والابتكار يجب أن لا نغفل عن إشكالية الفراغ لدى الشباب حيث إنها من المشكلات الكبرى، والعوائق الرئيسة أمام تفعيل عملية الإبداع والابتكار لدى الشباب، وقد حذر النبي ﷺ من عدم الاستفادة من نعمة الفراغ حيث جاء في الحديث عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ الصَّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ، مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)) (١).

قال الصنعاني رحمته الله: "وفيه تعظيم شأنهما بالإجماع أولاً، والتفسير ثانياً، والمراد أن

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، و"لا عيش إلا عيش الآخرة"، رقم الحديث ٢٤٥١.

من لم يستعملهما في ما لا ينبغي فقد غبن لكونه باعهما بيخس ولم يحمد ربه في ذلك" (١).

وقال ابن بطال رحمته الله: "معناه أن من حصل له الصحة والفراغ فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ومن شكره امتثال أوامره واحتساب مناهيه فمن فرط غبن، وفيه إخبار بأن المفرط في حق هاتين نعمتين كثير السراب قليل" (٢).

ومما يستعان به على دفع الغبن: "أن يعلم العبد أن الله خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعمة الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فمنّ عليهم بصحة الأجسام، وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم وضاعف لهم الحسنات، ولم يضاعف عليهم السيئات، فمن أنعم النظر في هذا كان حرياً أن لا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه، إلا وينفقه في طاعة الله تعالى ويشكره على عظيم مواهبه" (٣).

ولا شك أن استغلال وقت الفراغ، وممارسة الفرد بطريقة ابتكارية إيجابية لوقت فراغه لها الأثر العظيم ليس على الفرد فحسب بل على المجتمع ككل، إذ فيه إبداع وانتقال من مرحلة شغل وقت الفراغ لمجرد الحفظ وعدم ضياعه إلى مرحلة استثمارية لوقت الفراغ والتعامل معه كسلعة ينتظر منها المجتمع مردوداً اقتصادياً، اجتماعياً مفيداً. فنحن من خلال النشاطات الممارسة في وقت الفراغ، ومن خلال الاعتناء بأوقات الفراغ، ومن خلال المحافظة على أوقاتها عموماً نستطيع أن ننافس الغربيين في مجال الاختراع والإبداع، فنحن أولى منهم بقيادة العالم.

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، ٣/ ٥١٠.

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ١٠/ ١٤٦.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، الصنعاني، ٣/ ٣٩٨.

"إنَّ الماديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق، يُقَوِّمُونَ الوقت بالذهب، ويستقبلون أيامهم استقبالَ الشحيح للثروة الرائعة، إنهم يأخذون أنفسهم بالمحافظة على الزمن، وضبط المواعيد، وتقديس العمل لدرجة العبادة، وإنما يعبدون دنياهم. أما العناية بأوقات الفراغ أو فترات الراحة، فقد بلغت عندهم الغاية، لولا ما يشوهها من إطلاقٍ للشهوات، وإهدارٍ للقيم الأخلاقية. بهذا استطاع القوم أن يشيدوا حضارة مادية شاهقة، بقطع النظر عن بطلان أساسها الاعتقادي. أقاموا المدن الكبرى بعمائرها الباسقة، ومرافقها المريحة الممتعة والمنسَّقة المتنوعة، كما أسَّسوا الأكاديميات والمعامل، ودور العلم، ومعاهد الأبحاث، التي تطالعا كلَّ يوم بجديدٍ في مجال العلم والاختراع والتكنولوجيا. وأنشأوا المصانع الهادرة الجبَّارة التي تُخرج الأعاجيب من معدات السِّلْم والحرب، وتغمر أسواق العالم. إنَّ القوم مع إعراضهم عن الله استغلوا ساعات وجودهم ولحظات حياتهم، واستثمروا أوقات فراغهم وراحتهم، فوفاهم القدر أعمالهم فيها"^(١).

في الوقت الذي غفلنا فيه عن توجيه طاقات شبابنا واستثمارها فأصبحنا في مؤخرة الأمم، بعيدين عن التقدم والريادة، مما جعل الآخرين يسموننا بالعلم النامي، والعالم الثالث، ونحن أولى وأحق بأن نكون العالم الأول بلا منازع.

"إنه مع تجدد الثقافات وانتشار العلوم والتقنية، اتجه بعض الشباب إلى الأخذ بزمام النتاج الثقافي الكاسد الذي يجسد ضعف الإيمان، ويهشم المبادئ، وصناعة قاتل الإبداع والعمل هو الفراغ، فهو سم الحياة، وقاتل الإبداع، ومبيد الطموح. . كيف لا يكون ذلك ونحن نشاهد ضعف واقع بعض الشباب اليوم، فهم إما على الطرق سائرون، أو على الشبكات العنكبوتية غافلون، أو عبر شاشات الفضاء غارقون، وما أقصده هو قضاء الوقت على ذلك أو غيره في غير المفيد. . إنه عندما يُفكر في القضاء

(١) الشباب والفراغ، علاء الزعترى، مقال بموقع <http://www.alzatari.net>

على الفراغ في حياة الشباب بمشاريع تحفظ أوقاتهم، وتجذب أنظارهم، وتفتق إبداعهم، يكون ذلك عوناً على المستقبل المشرق البراق الذي ينبئنا بقدم حضارة قوية تسهم في دفع عجلة التقدم والبناء، وعلى ذلك ينبغي أن يكون المستقبل يهتم بجميع فئات الشباب، فالكل يُستفاد منه، والتطلع ليس لاستثمار المبدع والموهوب فقط، بل يكون ذلك لكل شاب حتى تتنوع الطاقات ويقتل الفراغ، ومن الملاحظ أن هناك بدايات جيدة في الاهتمام بالمبدعين على حسب المجالات، لكن الذي قد يتسبب في توقف وفتور هذه النهضة، هم الشباب الذين لا اهتمام لهم، بسبب سلوكياتهم، وضعف قدراتهم. . إن المتأمل في الأنشطة المقامة، والمشاريع التي تهتم بالشباب تهمش انتماء أكثر الشباب بحجة ضعف قدراتهم، أو عدم الاستفادة منهم، وهذا يشكل خطراً على المجتمع لأنهم قد يهدمون البناء، وينشرون الفساد، ويقللون من الرُقي المنتظر^(١).

ولكي نعمل على تنمية الإبداع والابتكار لدى الشباب لا بدّ من القضاء على ظاهرة الإحباط حيث يؤكد علماء النفس بأن "ظاهرة قبول الإحباط والرضا به أكثر قوة عند الشباب، وهذا نتيجة لإفرازات الواقع الذي يعيشونه من كبت وعدم اهتمام، والمستقبل المنشود هو تخفيف المعاناة والتقليل من هذه الظاهرة، والواقع يشهد تعقيدا مركبا في حاجياته وصعوبة تحقيق متطلباته، إذ أنه من المتحتم على الحكومات والمؤسسات القضاء على مسببات هذه الظاهرة حيث أن على مقدمة ذلك البعد الديني والاستسلام لإملاءات أهل الهوى والريغ، و البطالة التي تسيطر على واقعهم، والضغط الاجتماعي الذي لا يرحم أخطاءهم ولا يقف بجانبهم في الوقاية أو العلاج في احتياجاتهم معنويا وماديا ، وغير ذلك من بذور الإحباط التي نبتت بماء الواقع البئيس في حياتهم..

(١) الشباب وتطلعات المستقبل، عبد الله بن سعيد آل يعن الله، <https://saaid.net/Doat/abdullah>

"ولا ينكر أحد الانفتاح الذي يتفاعل معه الشباب من الخطاب العاطفي الموجه له بالصوت والصورة، والتقنيات المؤثرة سلبيًا على عقولهم، حيث أنهم يتفاعلون مع معطياتها بشكل كبير لجاذبيتها وتوافق أهوائهم معها، ومن هنا ينبغي أن ننطلق في بناء الخطاب التربوي وتحديد من أجل أن يجسد متطلبات الشرع والحياة في حياة الشباب، ومن الضروري أن نتعد عن الخطاب التقليدي بكل ضروبه، لأن ذلك لا يمثل تأثيرًا في ظل هذا الكم الهائل من الثقافات المتجددة المؤثرة، والخطاب التربوي المبدع يمنع شبابنا من أن يكونوا لقمة سائغة لتيارات الفساد والانحراف. . وإننا نعجب من أموال طائلة تنفق على مواعيد طعام في حفل تكريم، أو مهرجان في ظرف ساعة، أو على مشاريع يظهر لنا منها الاسم ويذهب من جوفها المضمون، أو أي شيء ينفق في مشاريع تنتهي أهميتها بانتهاء زمنها، ومع أهمية ذلك لهم، نود أن يهتموا بالثروة الأقوى والأعظم، ويهيئوا لها ميزانيات ضخمة، تجمع الشتات الفكري والتربوي والتنموي لدى الشباب" (١).

إن الاتجاه إلى استثمار طاقات الشباب العقلية في الإبداع والابتكار إنما هو خطوة على وضع أقدامهم على طريق التميز الحضاري لأمتنا، "فإن الإيمان بخصوصية العصر هي الأخرى ذات دور تأسيسي في خلق دوافع الفاعلية وتحريك ملكات الإبداع. إن الذين لا يؤمنون بتميز حضارتهم عن الحضارات الأخرى يستعيضون عن الفاعلية والإبداع بنقل وتقليد ومحاكاة النماذج الحضارية الأخرى، ومذاهب الغير في التقدم وطرائق الآخرين في النهوض، كذلك الحال عند الذين لا يؤمنون بخصوصية عصرهم وتميز زمامهم عن عصور وأزمنة الأسلاف فسيكتفون بنماذج السلف في حل مشكلات التاريخ، وبطرائق القدماء في العيش، وبأنماطهم في التعامل مع وقائع المجتمعات السني عاشوا فيها، ومن ثم ستبدل فيهم ملكات الفاعلية وتتوارى الدوافع للإبداع. فالنماذج

(١) الشباب وتطلعات المستقبل، عبد الله بن سعيد آل يعن الله، <https://saaaid.net/Doat/abdullah>.

مسطورة في الكتب التراثية، والنقل والتقليد أكثر أمناً عند البعض، وأخف من معاناة فاعلية الإبداع" (١).

ولا يغيب عن أذهاننا عند الحديث عن الطاقة العقلية للشباب أن نغفل أثر القراءة في الإبداع والابتكار فللقراءة أهمية في حياة الفرد والمجتمع، فهي تزود الأفراد بالخبرات وتنمي مداركهم وتهيئهم لخدمة المجتمع وتدفعهم ليكونوا رواداً في مجتمعهم؛ فهي بلا شك العملية الأساسية في فهم التراث الثقافي والوطني، والاتصال بتراث الآخرين، ووسيلة للاتصال بباقي العلوم، وعن طريقها يشبع الفرد حاجاته، وينمي قدراته ويوسع آفاقه.

"ومن يتأمل واقع المجتمعات العربية ومن يتابع الدراسات والتقارير التي أجريت في السنوات الماضية عن واقع القراءة وتأثيراتها يدرك التراجع الذي تشهده القراءة بشكل رهيب في كافة البلدان العربية يضاف إليه قلة عدد المكتبات وتضاؤل أعداد دور النشر. هذه مؤشرات خطيرة على الإهمال الذي تناله القراءة في زماننا من أبناء أمة أقرأ التي هي أول كلمة خاطب بها جبريل (عليه السلام) سيدنا محمد ﷺ وفي المقابل نجد الاهتمام الكبير بالقراءة بشتى أنواعها في المجتمعات الغربية وتشجيع الفرد على اقتناء الكتب والمجلات المختلفة وهذا الاهتمام تجده عند الفرد الغربي في صور متعددة منها استغلاله لوقته في تصفح كتاب أو مجلة في كل الأماكن التي فيها انتظار: عند الطبيب وفي الطوابير المختلفة، وحتى في حالات السفر أو التنقل داخل المدينة بالمواصلات العامة؛ بل وأيضاً في أوقات الراحة والاسترخاء في الحدائق وعلى الشواطئ وغير ذلك" (٢).

(١) الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، د. محمد عمارة، ص ٨٠.

(٢) القراءة ودورها في تنمية الشخصية الإبداعية والفكرية والأخلاقية، د. أماني زكريا الرمادي،

إن الخمول والإهمال الذي يتصف به الكثير من الناس في العالم العربي تجاه القراءة يهدد الأمة بحدوث عواقب خطيرة في المستقبل كفقدان الهوية وضياع الموروث التاريخي الأصيل وضمور الأمة عن إنتاج المعرفة والوصول إلى القدرات العالية في التصنيع والإنتاج وإيجاد الأعلام الفاعلين في شتى مجالات الحياة. من هذا المنطلق "فإن غرس بذور التجديد والإصلاح وتعويض ما فات يتم من خلال بناء الشباب العربي بناء سليماً وذلك بتعليمهم مهارات وأساليب القراءة الحديثة والسعي نحو نشر المكتبات وإعطاء المثقف العربي مساحة أكبر والتركيز على دور الوالدين في توثيق الصلة بين الطفل والقراءة منذ نشأته، كما إن هذه الانطلاقة تتطلب استراتيجية شاملة تتعاقد فيها أدوار جهات متعددة هي الأسرة والمدرسة والإعلام والمراكز الثقافية والجهات الحكومية".^(١)

ومما هو جدير بالذكر أنه "لوحظ ارتفاع نسبة الاهتمام بالقراءة خارج مجال الكتب الدراسية بنسبة مئوية قدرها (٨٣.٠٢%) وتوزعُ اهتمامات الشباب الجامعي فيما يتعلق بالقراءة بين الصحف والمجلات (١٩.٥٩%)، تليها في الأهمية الكتب الدينية (١٨.٨٨%)، فالقصص والروايات (١٧.٥٥%)، ثم الكتب الثقافية (١٤.١٤%)، والكتب الأدبية (١١.٩٩%)، والكتب العلمية (١٠.٠٣%)، وتأتي قراءة الكتب السياسية في أدنى قائمة الاهتمام (٧.١٤%). وفي ضوء هذه النتائج ينبغي الاهتمام بتوفير متطلبات دعم القراءة كإحدى وسائل قضاء وقت الفراغ بين الشباب الجامعي عن طريق الاهتمام بالمكتبات العامة، والمكتبات المخصصة للطلاب بالجامعة، وتزويد هذه المكتبات بنوعيات منتقاة من الكتب في المجالات الثقافية المختلفة، والاهتمام أيضاً بتوفير الكتب الدينية ذات المحتوى الذي لا يجعل الشباب يتجهون اتجاهاً متطرفاً، بحيث يتم ذلك على أساس برنامجٍ مدروسٍ لترشيد القراءات الخاصة

(١) القراءة وعلاقتها بالتنمية الفكرية والإبداع، عبد الله صالح حامد، ص ٨١.

ولا يشكل ذلك تدخلاً في الرغبات الذاتية للشباب، وإنما ينبغي العمل على إتاحة فرص أوسع للاختيار فيما يتعلق بالقراءة^(١).

إن الدور المؤثر للشباب في إغناء المجتمع بكل ما هو جديد ومبدع لغرض دفع الأمة للحاق بالتطور العالمي من خلال رعاية أصحاب المواهب وتوجيههم نحو العمل المبدع الذي يجعل من الشباب العقل الراجح. وإن مسألة الاهتمام بتنمية الطاقات البشرية وتوجيهها من أشد المطالب الحيوية في هذا العصر.

وما من شك أن "رعاية الموهوبين والاهتمام بهم ما هو إلا تجسيد حي لاعتبار الإنسان قيمة عليا بالمجتمع له الدور الكبير في بناء الوطن والدفاع عنه. والموهوبون في كل مجتمع الطاقة الدافعة نحو التقدم والبناء فعن طريقهم يمكن أن تصل الإنسانية إلى أعلى ما تطمح فيه في حقل المخترعات التي تنقل الإنسان من حالته المتخلفة إلى الحالة المتقدمة التي نسعى جميعاً للوصول إليها. فالموهوبون هم ذخيرة الوطن ومصدر سعادته وثروته وهم عدة الحاضر وقادة المستقبل في شتى الميادين وبهم ازدهرت الحضارة وتقدمت الإنسانية واستخدم الإنسان الذرة وغزا الفضاء وتوجيه الموهوبين الشباب وإرشادهم يعكس إيماناً مطلقاً بالحق المطلق لكل فرد في إتاحة الفرصة لتنمية قدراته إلى المستوى الذي توصله إليه إمكانياته"^(٢).

وبالجملة فالشباب جماع القوة بمعانيها الشاملة والمتنوعة التي تغطي جوانب الحياة جميعاً، لما يتصفون به من صفات لا يشاركون فيها غيرهم إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان،

(١) الشباب والفراغ، علاء الدين زعتري، مقال بموقع <http://www.alzatari.net>

(٢) آفاق جديدة في دراسة الإبداع، عبدالستار إبراهيم، ص ٥٠.

والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب.

"فالشباب هم المعتمد عليهم في الإنتاج والبناء؛ لأن الشباب يمتلكون القوة بأبعادها المختلفة العقلية والجسدية والنفسية، فهم الأقدر على الإنتاج والإبداع والتغيير، فهم الذين تدير بهم العملية التعليمية والمصانع والمزارع والتكنولوجيا الحديثة، "فأوساهير" الشاب الياباني هو الذي أدخل المحرك الأوروبي في الصناعة اليابانية، مما جعل اليابان تضع قدمها على طريق التقدم الصناعي. ويتمثل الهدف العام لليونسكو للعمل مع الشباب "ضمان وتعزيز مشاركتهم الكاملة في المجتمع على قدم المساواة مع الرجال، وأن يكونوا شريكاً ذا قيمة، لا سيما في تصميم المعرفة الاجتماعية، وتمكينهم من استخدام رؤاهم الإبداعية وتطلعاتهم في خدمة المجتمع والتنمية"^(١).

ومن خلال ما سبق يكون قد استبان لنا منهج الإسلام في توظيف الطاقة العقلية للشباب من خلال العديد من الجوانب التي يجب أن تتكاتف الجهات والمؤسسات المختلفة في بلداننا إلى تحقيقها والعناية بها؛ ليتمكن الاستفادة الحقيقية الفاعلة من طاقات الشباب.

(١) شبابتنا في عالم التغيير، نسرين حمزة السلطاني، ص ٦.

المبحث الثالث

منهج الإسلام في توجيه الطاقة البدنية في ضوء المتغيرات الحضارية

مما شك فيه أن الشباب مظنة القوة، وهي أهم مرحلة من مراحل حياة الإنسان يتميز فيها بالقوة والشدة، وقد أشار الله سبحانه مبيناً هذا الأمر فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (١).

قال الرازي رحمته الله: "أي مناكم على الضعف، ثم قال تعالى: ثم جعل من بعد ضعف قوة فقوله من ضعف إشارة إلى حالة كان فيها جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومفطوما فهذه أحوال غاية الضعف، وقوله: ثم جعل من بعد ضعف قوة إشارة إلى حالة بلوغه وانتقاله وشبابه واكتهاله، وقوله: ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير. إشارة إلى ما يكون بعد الكهولة من ظهور النقصان والشيبية هي تمام الضعف، ثم بين بقوله يخلق ما يشاء أن هذا ليس طبعاً بل هو بمشيئة الله تعالى" (٢).

وقال ابن كثير رحمته الله: "بينه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالا بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظاماً ثم يكسى لحماً، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوي. ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً، ثم مراهقاً، ثم شاباً. وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة. فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة" (٣).

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٥ / ١١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٦ / ٣٢٧.

والقوة البدنية للشباب لا بد من استغلالها والاستفادة منها فيما يعود بالنفع على المجتمع؛ فإذا كانت القوة البدنية دليل سلامة الصحة؛ فإن هذه الصحة جعلها النبي ﷺ نعمة لا بد من استغلالها كما جاء في الحديث عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاحَ، نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ، مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)) (١).

قال الصنعاني: "فإن الشباب رمز النشاط وقوة الأعضاء على العبادة فليذكر سرعة زوالها وإثما نومة لا يندم إلا بعد يقظته منها. ويذكر أنه يتعقبها ضعف القوي وتخاذل الأعضاء، وأنه تعالى سيجعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة" (٢).

وفي حاشية السندي على سنن ابن ماجة: "والمقصود بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ بل يصرفونهما في غير محلهما. فيصير كل واحد منهما في حقهم وبالاً. ولو أنهم صرفوا كل واحد منهما في محله لكان خيراً لهم أي خير" (٣). وإذا كانت الطاقة البدنية للشباب بهذه الأهمية فإن منهج الإسلام في توجيهها يظهر في المطالب الآتية:

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، و"لا عيش إلا عيش

الآخرة"، رقم الحديث ٢٤٥١.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، ٢ / ٥٢٤.

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجة، نور الدين السندي، ٢ / ٥٤٢.

المطلب الأول: المحافظة على الطاقة البدنية من المهلكات:

يوجه الإسلام الناس عامة والشباب خاصة بضرورة المحافظة على الطاقة البدنية التي هي نعمة من الله تعالى فالجسم هو مستودع الطاقة البشرية، ومصدر القدرة الحركية التي تساهم في مجال الخير والبناء وإعمار الأرض وإصلاحها. فما من عمل يؤديه الإنسان - سواء أكان تعبدياً أم إصلاحياً وعمرائياً- إلا ويحتاج إلى قوة بدنية لممارسته، فالمصلي والصائم والحاج والمجاهد والكاسب والمفكر والتاجر والعامل والمزارع والعالم وطالب العلم... إلخ، كلهم يحتاجون إلى طاقة بدنية يصرفونها من أجل القيام بواجبهم وأداء دورهم، لأن الطاقة البدنية هي الأداة والوسيلة التي يحقق بها الإنسان غاياته وأهدافه.

والجسم هو مستودع هذه الطاقة ومصدر الحركة، بما يملك من أجهزة وأدوات مختلفة، كاليد والرجل والعين والأذن واللسان... إلخ. لذا كانت رعايته والحفاظ على صحته واجباً إنسانياً مقدساً حيث إن من أجل النعم وأعظمها نعمة الصحة والعافية، ولأنها بهذا الشأن فقد قال النبي ﷺ: ((من أصبح منكم معافى في جسده آمناً في سره عنده قوت يومه فكأما حيزت له الدنيا بحذافيرها)) (١).

كما أنه ﷺ كان إذا أصبح وإذا أمسى سأل ربه تبارك وتعالى العافية: ((اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي اللهم أحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك من أن أغتال من تحتي)) (٢).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: من أصبح آمناً في سره، حديث رقم ٣٠٠، وقال

الألباني: حسن، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٣١٨

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: أبواب النوم، باب: ما يقول إذا أصبح، حديث رقم

٥٠٧٤، وقال محققه الأرناؤوط: إسناده صحيح.

وإذا نظرنا إلى تشريعات الإسلام في هذا الجانب فسنجدها تحت العباد على المحافظة على الصحة والأبدان بوسائل شتى، ومنها: حل الطيبات وتحريم الخبائث فقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ (١).

وحرّم الله تعالى الخمر لأنها تذهب العقول وتضر بالأبدان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْمِنُونَ ﴿٢﴾﴾ (٢).

ويلحق بالخمير كل ما يضر صحة الإنسان من المخدرات بمختلف أشكالها وأنواعها، والتي تعتبر سموماً تبت وتنشر بين الشباب لا مجرد الإدمان فحسب بل لإهلاك قوتهم، وإضعاف صحتهم، وتوهين طاقتهم، وقد مدح الله تعالى طالوت في القرآن الكريم بأن الله أعطاه قوة في العلم، وقوة في الجسم، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۗ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ (٣).

وقد وجه النبي ﷺ أحد شباب الصحابة وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنه إلى أن يحفظ نفسه، ويحفظ دينه ويحفظ ربه؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠-٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

اللَّهُ ﷻ يَوْمًا، فَقَالَ: ((يَا غَلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحْدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ)) (١).

قال ابن رجب رحمته الله: "مَنْ حَفِظَ اللَّهَ فِي صَبَاهِ وَقُوْتِهِ: حَفِظَهُ اللَّهُ فِي حَالِ كِبَرِهِ وَضَعْفِ قُوْتِهِ، وَمَتَّعَهُ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوْتِهِ وَعَقْلِهِ، وَكَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَدْ جَاوَزَ الْمِائَةَ سَنَةً وَهُوَ مَمْتَعٌ بِقُوْتِهِ وَعَقْلِهِ، فَوُتِبَ يَوْمًا وَثْبَةً شَدِيدَةً فَعَوْتُسَبَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذِهِ جَوَارِحُ حَفِظْنَاهَا عَنِ الْمَعَاصِي فِي الصَّغَرِ فَحَفِظَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْكِبَرِ، وَعَكْسُ هَذَا: أَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ رَأَى شَيْخًا يَسْأَلُ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا ضَعِيفٌ ضَيَّعَ اللَّهُ فِي صَغَرِهِ فَضَيَّعَهُ اللَّهُ فِي كِبَرِهِ" (٢).

ومن توجيه الإسلام وتشريعاته التي جاء بها للمحافظة على صحة الإنسان أيضاً الحث على النظافة والطهارة، وذلك لما للنظافة من أثر عظيم على صحة الأفراد والمجتمعات، وسلامة الأبدان ونضارتها، فهي عنوان المؤمنين، وسمة من سمات المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٣).

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)) (٤).

ومن التوجيهات أيضاً حث الإسلام على ممارسة الرياضة المفيدة النافعة، وجعلها

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب:

منه، رقم الحديث ٢٥١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ١ / ١٨٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٤) أخرجه أحمد ١٢٣/١ برقم ١٠٠٦ والدارمي ٦٨٧ وأبو داود ٦١ و٦١٨. وقال الألباني:

حسن صحيح، المشكاة ٣١٢ و ٣١٣، الإرواء ٣٠١، صحيح أبي داود ٥٥.

أداة لتقوية الجسم؛ لأنه يريد أن يكون أبناؤه أقوياء في أجسامهم وفي عقولهم وأخلاقهم وأرواحهم، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((المؤمن القوي، خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ)) (١).

وعن أنس بن مالك، قال: ((كان أبو طلحة يتترس مع النبي ﷺ بترسٍ واحدٍ، وكان أبو طلحة حسن الرمي، فكان إذا رمى يشرف النبي ﷺ، فينظرُ إلى موضع نبله)) (٢).

وعن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: ((سأبتُ رسولَ الله ﷺ فسأبتُهُ. فلَمَّا حَمَلْتُ مِنَ اللَّحْمِ سَأَبَنِي فَسَبَنِي. فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، هَذِهِ بَيْتُكَ)) (٣).
وعن أبي عليٍّ ثَمَامَةَ بْنِ شَفِيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» (٤). أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ)) (٥).

وأكد الإسلام على حق البدن، فالبدن أمانة عند الإنسان، من واجبه أن يحافظ عليه ويلبي احتياجاته من الغذاء الكافي والنوم الكافي، والراحة والملبس اللائق النظيف

(١) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم الحديث ٢٦٦٤.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: المحن ومن يترس بترس صاحبه، رقم الحديث ٢٩٠٢.
(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد والسير، باب: في السبق على الرجل، رقم الحديث ٢٥٧٨، وقال الألباني: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي ٢٢٤/٤.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، رقم الحديث ١٩١٧.

والمسكن اللائق والأثاث المريح، والمنكح الحلال والتداوي من المرض، والتمتع بما أحل الله من الطيبات في حدود العرف الاجتماعي الذي يكون سائراً وفق شريعة الله تبارك وتعالى. قال سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) (١).

وراحة الجسم الطبيعية، وحقه الفطري في النوم يكون بالليل، فبعض الشباب قد حولوا نهارهم إلى ليل، وليلهم إلى نهار، خاصة مع زخم العصر الحديث، وكثرة الشواغل والملهيات للشباب، والتقنيات الحديثة بالجوال التي تأكل عقول الشباب، وتستهلك طاقتهم فيسهرون إلى ساعات متأخرة من الليل فقد تفوت عليهم صلاة الفجر، وقد يذهبون لأعمالهم منهكين يعانون من الضعف والإرهاق، فلا يقدمون إنتاجاً، ولا يسدون فراغاً، هم والعدم سواء، وما كان هذا إلا لأن قلة النوم تنهك الجسم وتجعله معلولاً، وهذا يؤثر على الصحة العامة للجسم.

ولقد قال الله في كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٧٧) (٢). وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٧٧) (٣). وقال جل شأنه: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١١) (٤).

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا الَيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (١١) (٥).

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٧.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦١.

(١)

وهذا الجسد: هو تلك الآلة الحركية التي تبذل جهداً وطاقة لمقاومة العالم المحيط بها حين الحركة وإنجاز الأعمال، فهي تصرف كثيراً من طاقاتها وقوتها الذاتية، فتشعر بالتعب بسبب اختلال معادلة التوازن بين قوى الجسم الذاتية، وبين القوى الطبيعية التي يتعامل معها، وشعور الجسم بالتعب يأتي من جراء البذل المتواصل للطاقة والجهد، ومن الاستهلاك الجسدي لهذه الطاقة مما يُضعف المقاومة، ويضطر الجسم إلى السكون والتوقف في مكان آمن مريح، ليعيد بناء نفسه من جديد، ويدفع عن ذاته مردودات الحركة وآثارها المرهقة، فيأوي إلى النوم.

"والنوم ليس اختراعاً بشرياً، ولا مصادفة جسدية فرضت نفسها على الإنسان، بل هو جزء من نظام الوجود المتقن الذي دبره الصانع الحكيم سبحانه، ولو لم يكن النوم جزءاً من نظام الجسم، لكان هناك نقص وقصور في نظام التكوين، والتنظيم الجسدي عند الإنسان. فالنوم آية من آيات الله يتهيأ لها الجسم بعد كل فترة زمنية، ليمارس الإنسان عملية غياب مؤقت عن الإحساس بمردودات العالم الخارجي التي ترهق الجسم وتتعبه، لإعطائه فرصة الاستراحة والبناء، واستعادة القوة التي افتقدها" (٢).

وقد حثَّ القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة على الراحة والنوم والاستكانة في الليل، والقيولة أثناء النهار، لتتم للإنسان الراحة والسعادة في الحياة ولينقذ الإنسان نفسه من الجشع والشراسة في جمع المال والسعي والجهد المرهق الذي يذهب بصحته وراحته، ويعرّضه لكثير من الأمراض العصبية والنفسية والجسدية، فتضيع سعادته

(١) سورة النبأ، الآيات: ٩-١١.

(٢) النوم في الكتاب والسنة وأوجه الإعجاز العلمي في النوم الشرعي، د. عبد المحسن زبن

ومتعته في الحياة. وحذّر الإسلام من الإسراف في النوم أو اللجوء إليه إلا بقدر ما يحتاج الإنسان منها، لئلا يتجاوز الإنسان حدّ الحاجة والاستراحة، فيستولي عليه الكسل والخمول، لأنّ الإنسان في نظر الإسلام كتلة من النشاط والإنتاج، وشحنة من عطاء الخير والإبداع، لا يجوز تعطيلها ولا العبث بها، لذا كره الإسلام الخمول والفراغ وضياع الوقت والطاقة الإنسانية بالنوم والكسل.

المطلب الثاني: توظيف الطاقة البدنية في طاعة الله سبحانه:

والواجب على الشباب أن يأخذ بأسباب السلامة والعافية، وأن يحافظ على صحته ويقوي بدنه، ويستغل صحة جسمه في طاعة الله، بدل أن يضع طاقته البدنية في اللهو المعصية، وهناك الكثير من التوجيهات الشرعية التي ترشد الشباب إلى استغلال وتوظيف طاقتهم البدنية فيما يرضي الله سبحانه، حيث قد يأتي عليهم وقت لا يستطيعون فيه القيام بأعمال الطاعات كما كانوا وقت شبابهم، والعاقل من تنبه لذلك فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)) (١).

قال ابن هبيرة رضي الله عنه: "هذا الحديث يدل على أن من المؤمنين القوي والضعيف؛ فإن في كل خير؛ إلا أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وذلك لأن المؤمن القوي ينفع نفسه وينفع غيره؛ وربما تعدت منفعته إلى أهله وقومه وإمة دهره. والمؤمن الضعيف قد يقتصر بنفعه على نفسه، وأخاف على ضعفه أيضاً أن يضعف على حفظ نفسه؛ ولأن المؤمن القوي يعرضه أن يكسر حزب الشيطان بقوله إذا قال، وبفعله إذا فعل" (٢).

وإذا كان بعض شراح الحديث (٣). فسر القوة هنا بالقوة المعنوية والنفسية والعزيمة فقط؛ فإن هذا لا يمنع أن ينضم إليها القوة البدنية أيضاً.

(١) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم الحديث ٢٦٦٤.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، ٨ / ٤٤.

(٣) انظر على سبيل المثال: شرح النووي على مسلم ٢٢/٦، وشرح محمد فؤاد عبد الباقي على مسلم، ٢١٥/١٦، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٧٦/٢، دليل الفالحين، ابن علان، ٣١٦/٢.

قال القاضي عياض رحمته الله: "القوة هنا المحمودة يحتمل أنهما في الطاعة، من شدة البدن وصلابة الأسر، فيكون أكثر عملاً، وأطول قياماً، وأكثر صياماً وجهاداً وحجاً. وقد تكون القوة هنا في المنة وعزيمة النفس، فيكون أقدم على العدو في الجهاد وأشد عزيمة في تغيير المناكر، والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير، وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها. وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة" (١).

وقال أبو العباس القرطبي - رحمه الله -: "المؤمن القويّ البدن والنفس الماضي العزيمة الذي يصلح للقيام بوظائف العبادات من الصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ما يُصيبه في ذلك، وغير ذلك مما يقوم به الدين، وتنهض به كلمة المسلمين، فهذا هو الأفضل والأكمل، وأما من لم يكن كذلك من المؤمنين، ففيه خيرٌ من حيث كان مؤمناً، قائماً بالصلوات، مكثراً لسواد المسلمين، ولذلك قال رحمته الله: "وفي كلّ خيرٍ"، لكنه قد فاته الحظ الأكبر، والمقام الأوفر" (٢).

ومن التوجيهات أيضاً في اغتنام وتوظيف الطاقة البدنية في الطاعة ما جاء عن ابن عباس، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ الصَّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ، مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)) (٣).

قال ابن حجر رحمته الله: "وأما الحياة والصحة فإنهما نعمة دنيوية ولا تكون نعمة حقيقة إلا إذا صاحبت الإيمان وحينئذ يغبن فيها كثير من الناس أي يذهب ربحهم أو

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ١٥٧ / ٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ٦ / ٦٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، و"لا عيش إلا عيش الأخرى"، رقم الحديث ٢٤٥١.

ينقص فمن استرسل مع نفسه الأمانة بالسوء الخالدة إلى الراحة فترك المحافظة على الحدود والمواظبة على الطاعة فقد غبن وكذلك إذا كان فارغاً فإن المشغول قد يكون له معذرة بخلاف الفارغ فإنه يرتفع عنه المعذرة وتقوم عليه الحجة" (١).

لقد أراد ﷺ أن يبين لنا أن من أصحَّ الله جسمه وفرغه من شواغل هذه الدنيا، فلم ينفق صحته ووقته في طاعة الله وعبادته فإنه مغبون.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "أعلم أنه قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لِلْعِبَادَةِ لاشتغاله بأسباب المعاش، وقد يكون متفرغاً من الأشغال ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعاً للعبد ثم غلب عليه الكسل عن نيل الفضائل فذاك الغبن كيف والسدنيا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أكثر" (٢).

إن صحة البدن والنفس وقوتهما، والفراغ أي خلو الإنسان من مشاغل العيش وهموم الحياة وتوفر الأمن والاطمئنان النفسي، نعمتان عظيمتان، لا يقدرهما كثير من الناس حق قدرهما، ولا ينتهزون فرصة وجودهما في الأعمال النافعة، بل يدعوهما تمر دون فائدة، حتى إذا مرت وفاتت الفرصة، وتبدلت الصحة مرضاً، والقوة ضعفاً، والفراغ شغلاً، تنبهوا من غفلتهم، وشعروا بالندم، وأدركوا أنهم قد خسروا نعمة صحتهم وفراغهم، فغبنوا، وحزنوا أشد الحزن على ما فرطوا فيه فكان مثلهم في ذلك كمثل التاجر الذي يبيع سلعته بخسارة، حتى إذا شعر بأنه قد نقص رأس ماله حزن وندم على ما وقع له بسبب غفلته. وتفريطه (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: ((إنَّ أوَّلَ ما يُسألُ العبدُ عنه يومَ

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١ / ٢٣١.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ٢ / ٤٣٧.

(٣) انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ٥ / ٢٨٨.

القيامة مِنَ النعيم، فيقول له: ألم نصحَّ لك جسمك، وتُرْوِيكَ من الماء البارد؟)) (١).

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٢). قال ابن مسعود رضي الله عنه: النعيم: الأمن والصحة (٣). وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٤). قال: النعيم: صحَّة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد: فيما استعملوها؟ وهو أعلمُ بذلك منهم (٥). وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٦).

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فُقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)) (٧).

قال المناوي رحمته الله: "قوله: (اغتنم خمسا قبل خمس) أي اعمل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء (حياتك قبل موتك) يعني اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك فإن من مات انقطع عمله وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه فاقترض منك لك (وصحتك قبل

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن تفسير سورة التكاثر، ٣٣٥٨، وقال: غريب على أن إسناده لا يزل عن رتبة الحسن؛ لذا أورده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٣٩ وقال عنه: في صحيح سنن الترمذي: صحيح.

(٢) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في " تفسيره " ١٩٤٦١، ١٠ / ٣٤٦٠.

(٤) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٥) أخرجه: الطبري في " تفسيره " ٢٩٣٢٢، والبيهقي في " شعب الإيمان " ٤٦١٣.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب: الرقاق، رقم الحديث ٧٨٤٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

سقمك) أي اغتتم العمل حال الصحة فقد يمنع مانع كمرض فتقدم المعاد بغير زاد (وفراغك قبل شغلك) أي اغتتم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر فاغتتم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان (وشبابك قبل هرمك) أي اغتتم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على ما فرطت في جنب الله (وغناك قبل فقرك) أي اغتتم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيراً في الدنيا والآخرة فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها" (١).

إن كل ما سبق يؤكد لشبابنا أهمية استغلال الطاقة البدنية التي منحها الله إياهم في الطاعة، وفيما يرضي الله فمن سنة الله في خلقه أنه ستبدل الأحوال فبعد القوة يأتي الضعف، ومن بعد الصحة يأتي المرض، ولشبابنا قدوة حسنة في نبههم فيما جاء عن عائشة رضي الله عنها: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟** قَالَ: **((أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا))** (٢).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ١٦ / ٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ﴿[الفتح: ٢]﴾، رقم الحديث ٤٨٣٧.

المطلب الثالث: استغلال الطاقة البدنية في العمل والاكتساب:

إن من الأمور المهمة لمجتمعنا إعلاء قيمة العمل والاكتساب، وترك القعود والكسل، خاصة أن الأمة الإسلامية تمر بمرحلة حرجة في اقتصادها ونموها، ولا يمكن أن تتحقق نهضة أو تقدم وريادة إلا على أيدي شبابها إذ ينبغي أن يسارعوا إلى العمل لا أن يعيشوا عالة على غيرهم.

والطاقة البدنية للشباب من المهم جداً أن تتوجه إلى تفعيل وتكثير الأيدي العاملة، وتعلم الحرف والمهن، والسعي في الأرض طلباً للرزق فمن خلال ذلك تجني الأمة ثمرات عظيمة، وفوائد كثيرة، وخيرات وفيرة.

فما قيمة قوة الأبدان وصحتها، وهي لا تكسب من يدها، وما قيمة الشباب الفتي القوي وهو يستهلك ولا ينتج، ويأخذ ولا يعطي، فيده هي السفلى، ويد غيره هي العليا.

إن التوجيهات الإسلامية في الكتاب والسنة وافرة في الحث على العمل والإنتاج والاكتساب والضرب في الأرض طلباً للرزق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشَوْا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) (١). ولم يكن القيام بالعبادة المفروضة سبباً معطلاً لشبابنا عن العمل والاكتساب قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) (٢).

وتحفيزاً للعمل والاكتساب والجد والنشاط أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ مِنْهَا يَعْنِي أَجْرًا وَمَا أَكَلَتْ الْعَوَافِي مِنْهَا - يَعْنِي الطَّيْرَ وَالسَّبَاعَ - فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ)) (٣).

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضاً مواتاً، رقم الحديث ٢٣٣٥.

والإعمار والإحياء إما بالزراع أو حفر الآبار، أو بالبناء عليها، كبناء المصانع، والشركات المنتجة لما يلزم للناس، ونحو ذلك. وقال عليه السلام: ((اليد العليا خير من اليد السفلى)) (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي)) (٢)

والعمل لكسب ما يحتاج إليه الإنسان من ربح ومال لتدور عجلة الحياة مطلب شرعي، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لأنَّ يَحْتَطَبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)) (٣).

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ". (٤). وعمل صلى الله عليه وسلم في التجارة عند خديجة رضي الله عنها.

قال ابن القيم رحمه الله: "إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: باع واشترى، وشراؤه أكثر، وآجر واستأجر، وإيجاره أكثر، وضارب وشارك وتوكل، وتوكله أكثر، وأهدى وأُهدى إليه، ووهب واستوهب، واستدان واستعار، وضمن عامًّا وخاصًّا، ووقف وشَفَع، فقَبِلَ تارةً، وردَّ أخرى، ولم يعتب ولم يَعْضِب، وحَلَفَ واستحلف، ومضى في يمينه

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غني، رقم الحديث ١٤٢٧، وأخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، رقم الحديث ١٠٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الزكاة، باب: من يعطى من الصدقة، وحد الغني، رقم الحديث ١٦٣٤، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي ٧٦/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث ٢٠٧٤. وأخرجه مسلم في الزكاة باب كراهة سؤال الناس رقم ١٠٤٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، رقم الحديث ٢٢٦٢.

وكفر أخرى، ومازح وورى ولم يقل إلا حقاً، وهو ﷺ الأُسوةُ والقدوة" (١).

وأخبر سبحانه عن داود عليه السلام بقوله جل شأنه:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيَتَّخِذَ الْغَنِيَاءُ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا شُرْعٌ لِلضَّعْفَاءِ، فَالسَّبَبُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَمَنْ طَعَنَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ طَعَنَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَسَبَ مِنْ ذَكَرْنَا إِلَى الضَّعْفِ وَعَدَمِ الْمُنَّةِ، فَالصَّنْعَةُ يَكْفِي بِهَا الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ" (٣).

قال القرطبي رحمته الله: "هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنَّة، فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس" (٣).

وأخرج البخاري عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نسي الله داود كان يأكل من عمله)) (٤).

وعن كعب بن عمرة رضي الله عنه قال: مرَّ على النبي رجل فرأى الصحابة من قوته ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: "إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعفها فهو في سبيل الله" (٥).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/١٥٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/٣٢١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث ٢٠٧٢.

(٥) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير برقم ٢٨٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير

وزياداته ١/٣٠١.

قال ابن بطال رحمته الله: "عمل الصحابة في الحرث والزرع بأيديهم، وخدمة ذلك بأنفسهم، فالامتهان في طلب المعاش للرجال والنساء: من فعل الصالحين، وأنه لا عار فيه ولا نقيصة على أهل الفضل"^(١).

إن كل ما سبق يؤكد لنا ضرورة أن تتوجه طاقات الشباب للعمل والاكتساب، حتى تكثر الأيدي العاملة في المصانع والمؤسسات، وفي شتى المجالات، فتتقدم الأمة وتنهض، ويعمها الرخاء والخير، ويساهم شبابنا في بناء أمتهم ورفعته، وتقدمها وازدهارها.

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٦/٤٩٠.

المطلب الرابع: تفعيل الطاقة البدنية في المشاركة المجتمعية:

ومن توجيه الإسلام للطاقة البدنية للشباب أن يحرصوا على مساعدة الآخرين في المجتمع من الضعفاء ممن يحتاجون إلى مساعدة ومعونة؛ فإن هذا مأمور به في الشريعة قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (١).

قال ابن كثير رحمه الله: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم" (٢).

وقال ابن عاشور رحمه الله: "أي ليعن بعضكم بعضا على البر والتقوى. وفائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خلقا للأمة. وقوله: ولا تعاونوا على الإثم والعدوان تأكيد لمضمون وتعاونوا على البر والتقوى لأن الأمر بالشيء، وإن كان يتضمن النهي عن ضده، فالاهتمام بحكم الضد يقتضي النهي عنه بخصوصه" (٣).

وقال السعدي رحمه الله: "أي: ليعن بعضكم بعضا على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق آدميين. والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك. ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾

(١) سورة المائدة: الآية: ٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ١٢ / ٢.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦ / ٨٨.

وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ويخرج. ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأمواهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه" (١).

وهذه الآية تعتبر منطلقاً للشباب ليوظفوا طاقاتهم البدنية في خدمة المجتمع ومعاونة الآخرين، فإن هذا له مردود إيجابي على الفرد والمجتمع، ويسهم في الأخذ بيد الضعفاء ومساعدتهم.

ولعل من النماذج التي يمكن أن تقدم للشباب في هذا الصدد ما كان من صنيع نبي الله موسى - عليه السلام - مع ابني الرجل الصالح عندما لم يرغب في مزاحمة الرجال في سقي الماء، مع اضطرارهما للخروج للسقي ما كان من نبي الله موسى إلا أن أعانها وكان شاباً فتيماً في مقتبل عمره حتى أهما عندما وصفاه لأبيهما وصفاه بالقوة والأمانة والقوة هنا هي المعبرة عن الطاقة البدنية موضوعنا في هذه النقطة، وقد ساق القرآن هذا الحدث؛ ليكون للشباب فيه عبرة وإفادة، وقدوة وسير على منوال الأنبياء. قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٣٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ (٢).

قال ابن عطية رحمه الله: "فلما رأى موسى عليه السلام انتراح المرأتين قال ما خَطْبُكُمَا أي ما أمركما وشأنكما، وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر فكأنه بالجملة في شر فأخبرتهما بخبرهما، وأن أباهما شيخٌ كبيرٌ فالمعنى أنه لا يستطيع لضعفه أن يياشر أمر غنمه وأهما

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي ص ٢١٩.

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الأقوياء وأن عادتهما التآني حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى، وحينئذ تردان، وقالت فرقة كانت الآبار مكشوفة وكان زحم الناس يمنعهما، فلما أراد موسى أن يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى، فعن هذا الغلب الذي كان منه، وصفته إحداهما بالقوة" (١).

وأجاد الزمخشري في بيان أهمية هذه المشاركة المجتمعية، والنجدة الفطرية، إذ من يملك القوة أعان من لا قوة له فقال: "وإنما فعل ذلك رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف والمعنى: أنه وصل إلى ذلك الماء، وقد ازدحمت عليه أمة من الناس، متكافئة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم، مع غنمهما مترقبتين لفراغهم. فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب والجوع، ولكنه رحمهما فأغاثهما، بقوة قلبه، وبقوة ساعده" (٢).

إن المرأة ضعيفة بطبعها، وبأصل تكوينها فبمجرد أن سمع موسى عذرها سارع إلى معاونتهما- شأن أصحاب النفوس الكبيرة، والفطرة السليمة، وقد عبر القرآن عن هذه المسارعة بقوله: فَسَقَى لَهُمَا. أي: فسقى لهما مواشيها سريعاً. من أجل أن يريحهما ويكفيهما عناء الانتظار "وفي هذا التعبير إشارة إلى قوته، حيث إنه استطاع وهو فرد غريب بين أمة من الناس يسقون- أن يزاحم تلك الكثرة من الناس، وأن يسقى للمرأتين الضعيفتين غنمهما. دون أن يصرفه شيء عن ذلك" (٣).

ولا تقتصر المشاركة المجتمعية على الجهود الفردية من الشباب فإن من المهم إيجاد قنوات ومؤسسات فاعلة في المجتمع تحاول الاستفادة القصوى من طاقات الشباب

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ٤ / ٢٨٣.

(٢) الكشف، الزمخشري، ٣ / ٤٠١.

(٣) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ١٠ / ٣٩٤.

البدنية وتوظيفها في خدمة المجتمع، ولعل الشباب لديه حماسة إلى المزيد من الجهد والمشاركة، ولكنه يحتاج إلى الأيدي التي تتلقفه، والجهة التي تتبناه وتوجهه.

إن العمل الاجتماعي والتنموي التطوعي من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، ويكتسب العمل الاجتماعي أهمية متزايدة يوماً بعد يوم، فهناك قاعدة مسلم بها مفادها أن الحكومات، سواء في البلدان المتقدمة أو النامية، لم تعد قادرة على سد احتياجات أفرادها ومجتمعاتها، فمع تعقد الظروف الحياتية ازدادت الاحتياجات الاجتماعية وأصبحت في تغير مستمر، ولذلك كان لا بد من وجود جهة أخرى موازية للجهات الحكومية تقوم بعملء المجال العام وتكمل الدور الذي تقوم به الجهات الحكومية في تلبية الاحتياجات الاجتماعية، ويطلق على هذه الجهة "المنظمات الأهلية". وفي أحيان كثيرة يعتبر دور المنظمات الأهلية دوراً سباقاً في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وليس تكميلياً، وأصبح يضع خططاً وبرامج تنموية تحتذي بها الحكومات" (١).

ويمكن النظر للمشاركة المجتمعية على أنها قيام الشباب بدورهم دون أن يكونوا موظفين أو معنيين بالتأثير في الخدمات الحكومية، وفي التعاون لسد الحاجات المحلية علماً بأنها تأخذ أشكالاً ومستويات مختلفة "فالمسؤولية الاجتماعية أهم المبادئ التي يركز عليها ارتباط الحقوق والواجبات لإشباع الاحتياجات وحل المشكلات حيث إن هذا الإشباع لا بد أن يرتبط بمدى مساهمة أهالي المجتمع واشتراكهم في الجهود المبذولة من ذلك أي أن نجاح جهود تنظيم المجتمع رهن بمدى مشاركة الأهالي في خطوات هذه العملية" (٢).

(١) الشباب والعمل الاجتماعي والتنموي التطوعي، جمعية تفلتواز حياة، مبادرات الشباب العربي

مقال بموقع صيد الفوائد <https://saaid.net/Anshatah/dole/٦٩.htm>

(٢) طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، سيد أبو بكر حسنين، ص ٢٩١.

إن المشاركة المجتمعية هي العملية التي يستطيع الشباب من خلالها أن يلمس له أثراً في الحياة الاجتماعية لمجتمعهم وتكون لديه الفرصة لأن يشارك في وضع الأهداف العامة وكذلك أفضل الوسائل لتحقيق وإنجاز هذه الأهداف " وهذا يعني مسؤولية الأفراد والجماعات في المساهمة في تنمية مجتمعاتهم وبالمقابل مسؤولية المجتمع في إشباع احتياجات أفرادهم. ونظراً لأهمية المشاركة المجتمعية فإن بعض الدراسين والباحثين يعدها وسيلة في ذاتها ويقدر فاعليتها بقدر ما تصحح إحدى الوسائل الرئيسة لتمكين المجتمع من أن يكون له دور قيادي في حركته نحو بلوغ أهدافه مع النمو والتقدم"^(١).

وعموماً يمكن القول إن المشاركة المجتمعية تحقق مجموعة من الأهداف أهمها:

- تزايد تماسك المجتمع .
- زيادة قدرات الشباب، وإكسابهم مهارات جديدة لتفعيل دور الإنسان وتحويله إلى قوة مؤثرة.
- نمو شخصية الشباب حيث تتجه للمحاكاة العملية التي يتعرضون لها، وللتجارب التي لها تأثير مباشر في حياتهم.
- مساهمة الشباب تدعم ترابط المجتمع وتجعله أبعد ما يكون عن التفكك والتداعي.
- مساهمة الشباب تعد تمكيناً لهم^(٢).

والمشاركة المجتمعية مفهوم أخذ في الانتشار والتداول بين رجال التخطيط والإدارة اعتباراً من النصف الثاني من القرن العشرين وذلك على المستويين القومي والعالمي والمشاركة المجتمعية هدف ووسيلة فهي هدف لأن الحياة الديمقراطية السليمة

(١) تنمية المجتمع في الدول النامية، يونس الفاروق زكي، ص ٧٠.

(٢) انظر: منهاج خدمة المجتمع، نشأته وتطوره وأساليبه وخطواته ومنظماته، محمد كامل بطريق، ص ٢٠.

ترتكز على إشراك المواطنين مسؤوليات التفكير والعمل من أجل مجتمعهم، وهي وسيلة لأنه عن طريق مجالات المشاركة يتذوق الناس أهميتها ويمارسون طرقها وأساليبها وتتأصل فيهم عاداتها وتصبح جزءاً من سلوكهم وثقافتهم^(١).

وتؤدي المشاركة المجتمعية في العملية التنموية دوراً مهماً يتمثل في المساعدة في تحديد الصعوبات والمشكلات التي تواجه حياة السكان مما يسهل في رسم السياسات لمعالجة المشكلات والصعوبات وزيادة أوجه التعاون والتنسيق بين مختلف الأطراف ذات العلاقة بالعملية التخطيطية التنموية. ومن الجدير بالذكر أن مبدأ المشاركة المجتمعية يعتبر العمود الفقري لطريقة تنظيم المجتمع وتعتمد على تكوين لجان متخصصة ذات جاذبية وفعالية تكون نواة لمشاركة أوسع من جانب المجتمع فوجود اللجان يعتبر ضرورة تملئها طبيعة المشاركة المجتمعية والذي يلعب العنصر البشري فيها دوراً مهماً بالإضافة إلى التوظيف الأمثل لهذا العنصر كذلك للموارد المختلفة للمجتمع المحلي^(٢).

إن كل ما سبق يدعونا ويؤكد لنا أهمية تفعيل المشاركة المجتمعية للاستفادة من طاقات الشباب بمختلف أنواعها خاصة البدنية: فالشباب القوي لا شك أنه مساهم وفعال ونشط، وتعتبر أيضاً تنفيذاً للشباب، وإشعاراً لهم بأثرهم الواضح في مجتمعهم، وترجمة حقيقية للدور المأمول منهم في المساهمة في نهضة أمتهم وبلدهم؛ وإشعارهم بمسؤوليتهم عن مقدرات وطنهم، ومكتسباته؛ مما ينعكس إيجاباً باحتوائهم، وعدم تركهم للتيارات والاتجاهات الفكرية المنحرفة التي تستهويهم وتجذبهم وتميل بهم ذات اليمين وذات اليسار، واستنقاذاً لهم من المتغيرات الحضارية، والموجات المتصارعة من التقنيات الحديثة التي تشغلهم، وتعوقهم عن خدمة أمتهم ووطنهم.

(١) انظر: بين الإيجابية واللامبالاة في اتجاهات الفرد نحو العمل الجماعي، كامل ملكية،

ص ٤٧.

(٢) انظر: طريقة تنظيم المجتمع، أحمد مصطفى خاطر، ص ٧٥.

المبحث الرابع

منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية في ضوء المتغيرات الحضارية
تعتبر الطاقة الجنسية من أهم وأخطر الطاقات لدى الشباب؛ لأنها مرتبطة بشهوة
داخلية تلحّ على الإنسان لتفريغها وتصريفها، والشهوة ما تدعوا النفس إليه والفعل منه
اشتهى؛ أي "توقان النفس إلى الشيء، وهي ما يغلب علي النفس محبته وهواه" (١).
والشهوات من الأمور المحببة للناس عامة والشباب خاصة قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ
حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ
وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾﴾ (٢).
قال الرّمحشري رحمته الله: "والله زينها لهم، لأننا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها،
وجعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع
بها" (٣).

وهذه الأصناف المذكورة قد زين الله حبها للناس وغرسها في قلوبهم حتى صارت
غريزة عندهم، ومن أحب شيئاً ولم يزين له يوشك أن ينفر منه، ومن أحبه وزين له
فلا يكاد يرجع عنه، ولا يقبل فيه كلاماً، ولا يرى فيه عوجاً. "ولقد عبر القرآن عن
هذه الأشياء بالشهوة مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها وإيدانا بشدة تعلق الناس بها،
وللإشارة إلى أن حبها من طبيعة الإنسان الحيوانية، فإن الشهوة من صفات البهائم حتى
يعتدل الإنسان في حبه لها. وليس ممنوعاً حب هذه الأصناف، ولكن المنوع المبالغة

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ٥٠٦/٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) الكشاف، الرّمحشري، ٣٤٢/١.

والإسراف فيها حتى تطغى على الناحية الدينية ومظاهرها" (١).

وإذا انضاف إلى الطاقة الجنسية ضعف الإنسان أمامها؛ فذلك يؤكد خطورتها قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢).

فمن أخطر الشهوات التي ركبت في الإنسان هي الشهوة والطاقة الجنسية؛ والتي لا يملك الإنسان نفسه أمامها فضلاً عن الشباب إلا بعد مجاهدة ومقاومة وفق توجيهات الشرع الحنيف.

قال السعدي رحمه الله: "ولرحمة الله التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه، وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته" (٣).

وقال القاسمي رحمه الله: "وقوله (خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) أي عاجزاً عن دفع دواعي شهواته. فناسبه التخفيف لضعف عزمه وهتمته وضعفه في نفسه. فالجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف في أحكام الشرع. قال طاووس: ضعيفاً أي في أمر النساء لا يصبر عنهن. وقال وكيع: يذهب عقله عندهن" (٤).

ومما يؤكد خطورة الطاقة الجنسية بالإضافة إلى ما سبق المتغيرات الحضارية المعاصرة التي صاحبها ازدياد المسارب التي تفتح باب الانحراف الجنسي وتهمي الأذهان

(١) التفسير الواضح، د. محمود حجازي، ١/ ٢١٢.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٢٧، ٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٧٥.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي، ٣/ ٨٥.

له، ويزداد بذلك الأثر الذي تحدثه في مجتمعا: الأزياء - السينما - دور اللهو- الفضائيات- الاختلاط العابت - الانفتاح المتسارع المحموم على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، مع سهولة الوصول لأي منتج بكل يسر، وفي أسرع وقت، وأي وقت. إنها ثورة الهوس الجنسي الذي لا يدع سفينة الشباب المسلم ترسو علي بر الفضيلة؛ بل سيجعلها تتأرجح وتضطرب أمام عصف رياح الشهوة الجنسية، وهيجان موج القنوات الفضائية، وقوة تيار العري والتحلل والانحراف.

"إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظر الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري،... كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون!! وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة، فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيّد بقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة!! وهي تكاد تكون عملية تعذيب"^(١).

وفي ضوء ما سبق يمكن لنا أن نبين منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية للشباب من خلال المطالب الآتية:

(١) أخلاقيات العوامة، د. أحمد نور، ص ٨٢.

المطلب الأول: الاعتراف بالطاقة الجنسية للشباب وعدم مصادمتها:

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة، ينظر إليه جسماً و عقلاً وروحاً، وذلك من خلال تكوينه الفطري، ثم هو ينظم حياته ويعالجه على أساس هذه النظرة. فالإسلام لم ينظر إلى الإنسان نظرة مادية لا تتعدى هيكله الجسدي ومتطلباته الغريزية شأن المذاهب المادية في حين لم يجرمه حقوقه البدنية وحاجاته العضوية.

والإسلام بناء على تصوره لطبيعة الإنسان ولاحتياجاته الفطرية ولضرورة تحقيق التوازن في إشباعاته النفسية والحسية يعتبر الغريزة الجنسية إحدى الطاقات الفطرية في تركيب الإنسان التي يجب أن يتم تصريفها والانتفاع بها في إطار الدور المحدد لها شأنها في ذلك شأن سائر الغرائز الأخرى. ولا شك أن استخراج هذه الطاقة من جسم الإنسان أمر ضروري جداً، وبالعكس فإن اختزائها فيه مضر جداً وغير طبيعي، ولكن بشرط الانتفاع بها وتحقيق مقاصدها الإنسانية. وحين يعترف الإسلام بوجود الطاقة الجنسية في الكائن البشري، فإنه يحدد لهذا الكائن الطريق السليم لتصريف هذه الطاقة وهو طريق الزواج الذي يعتبر الطريق الأوحده المؤدي إلى الإشباع الجنسي للفرد مسن غير إضرار بالمجتمع.

لقد ذم القرآنُ الرهبانية التي ابتدعها النصارى؛ لأنها تخالف الفطرة، وتعطل الحياة، وتصادم السنن، ولأنها طغيان في الميزان، ولذلك أنكر القرآنُ على الذين يجرمون زينة الله وطيباته: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢) (١).

إن حب الشهوات والميل إليها فطرةٌ جُبل عليها الإنسان، وهي تقوم بحفظ الحياة وإثرائها، فكيف تزدم وتهجر؟: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

الْمَقْتَرَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ بِحَسْبِ الْعَمَابِ ﴿١٤﴾ (١).

فالإسلام لا يعرف الكبت؛ لأنه يعترف بالشهوات والغرائز والنوازع الفطرية
عموماً، ولا يستقذرها، ولا يقوم نظامه على قهرها وإغائها، ولكنه ينظمها ويضبطها،
وينبه الإنسان على استعدادده للتسامي فوقها، والتطلع إلى ما هو أكبر من الدنيا
وأحسن، إذ أتبع تقرير تلك الحقيقة، الدعوة إلى ما هو أسمى وأكبر، فقال: ﴿ قُلْ
أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ (٢).

والقرآن في أساليبه البيانية يقابل دوماً متاع الدنيا بنعيم الآخرة، لتحقيق التوازن في
سلوك الناس حتى لا يسترسلوا في تناول شهوات الدنيا، ويستغرقوا فيها، فتشغلهم عن
ذكر الله والآخرة، وعلى ضوء هذا نفهم ما ورد في ذم الشهوات وغيبيها، فإنه لم يأت
منعاً كاملاً لها، ولكنه ذم للطغيان فيها، ولو أخذ الإنسان منها بقدر المباح لما لحقه ذم
أو عيب، قال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ (٣).

قال الطبري رحمته الله: "يعني بـ"الطيبات"، اللذيات التي تشتتها النفوس، وتميل
إليها القلوب، فتمنعوها إياها، كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرّموا على أنفسهم
النساء والمطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم،
وساح في الأرض بعضهم. يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيها المؤمنون، كما فعل

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٨٧-٨٨.

أولئك، ولا تعتدوا حدَّ الله الذي حدَّ لكم فيما أحلَّ لكم وفيما حرم عليكم" (١).

وقد روى ابن جرير أيضاً في تفسيره بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآيات أن رهطاً من الصحابة قالوا: نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كالرهبان. وعنه أيضاً أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني إذا أصبتُ من اللحم انتشرتُ وأخذتني شهوتي فحرمت اللحم؟ فأنزل الله تعالى ذكره الآية (٢).

إنَّ تعذيبَ الجسد، وتحميله ما لا يطيق ليس من مقاصد الإسلام، ولا من وسائله لبلوغ الكمال الإنساني؛ لأن المثال الذي يسعى الإسلام إلى تحقيقه، لا يخرج عن حدود الطاقة البشرية، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَّنَا بِهِ﴾ (٣).

ومن شدَّ عن هذا المنهج الوسط المعتدل عن هوى، أو خرج عنه لا يريد إلا الخير، وجب رده إليه وتقويم سيره حتى يستقيم على الطريقة، إن الإسلام يمتاز عن غيره من سائر الأديان والمذاهب في سياسته للطاقة الجنسية بأنه دين وسط بين المذاهب الإباحية التي أطلقت للغريزة العنان، وبين الرهبانية التي تتجه إلى كبت الغريزة وقهرها، فالإسلام لا يعادي الجنس ولا يستقذره، ولكن يستجيب للضرورة الجنسية عن طريق نظام الزواج وتشريعاته، وينظم العلاقة بين الرجل والمرأة، ويضع التدابير الصحية كالنظافة والاعتدال ونحوه بصراحة متناهية دون نفاق أو مواربة.

يقول علي عزت بيغوفيتش رحمه الله: "إن الإسلام لا يرفض الحياة الجنسية، لأنه

(١) جامع البيان، الطبري، ١٠/٥١٣.

(٢) المرجع السابق، ١٠/٥١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

يدعو إلى حياة طبيعية وسعادة الحب، بقدر ما يدعو إلى صحة البدن والقوة والشجاعة والجهاد وكسب المال، ولأنه يعارض الإعراض عن الدنيا كما يعارض الإسراف فيها. يطالبنا الإسلام بحجّي (الثمار السماوية) إضافة إلى (الثمار الأرضية) ويسمح للإنسان أن تمتد يده - اللتان رفعتنا إلى الله متذلة بالدعاء قبل قليل - نحو مسرات الدنيا، ولا تعلمنا الآداب الإسلامية الإلحاح في ذكر المحرمات؛ لأن الإسلام لا يسعى لإقامة جدار يحوط جميع الأنهار التي يمكنها إرواء العطش. ولا يطالب الإسلام بالقضاء على الشهوات، بل يطالب بالسيطرة عليها، ولا يسعى لقطع الشهوة الجنسية، لكنه يضع لها الضوابط والحدود" (١).

إن مطالبة الإنسان بأمر تتنافى مع طبيعته، وتخرج عن دائرة طاقته، مثل إتلاف البدن والإعراض عن الجنس وقطع الشهوة، يمكن أن تأتي بنتائج عكسية كانتشار الزنى بالطريقة التي نشاهدها في دول الغرب، فموقف النصرانية المعادي للحياة الجنسية أنشأ مشكلة الجنس، فهي في صدام أبدي مع متطلبات حياة عامة الناس.

"وفي حقيقة الأمر تكوّن المجتمع الأوربي تحت تأثير متزامن لفلسفتين متناقضتين: الفلسفة النصرانية المعادية كلياً للحياة الجنسية، والفلسفة المادية الداعية إلى التمتع بكل ما في هذه الدنيا الوحيدة، وبما أن الخيار النصراني مستحيل البلوغ في واقع الحياة - بغض النظر: اعترف هؤلاء بذلك أم لا - فإن الغلبة كانت من نصيب الفلسفة الثانية، وظل الإسلام أبداً يبحث ويجد طريق الوسطية في الحياة الجنسية شأنه في بقية أمور الحياة؛ لأن الإسلام كان وبقي فلسفة الممكن في الحياة" (٢).

وهذا الذي نبه عليه فلاسفة الغرب سبقهم إليه علماء الإسلام؛ يقول ابن الجوزي،

(١) المرأة بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي، علي عزت بيغوفيتش، ص ١٥٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠.

وهو يقرر هذه الحقيقة، أي أن الرهبانية وقطع الشهوة، يمكن أن تأتي بنتائج عكسية: "واعلم أنه إذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع: - فذكر منها النوع الأول وهو المرض بجبس الماء. ثم (النوع الثاني) وهو: الفرار إلى المتروك، - فقال: "فإن منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا وجاعوا فلامسوا النساء، ولبسوا من الدنيا أضعافاً ما فروا منه، فكانوا كمن أطل الجوع ثم أكل ما ترك في زمن الصبر. والنوع الثالث: الانحراف إلى صحبة الصبيان؛ فإن قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرء" (١).

إن أبرز ما يميز منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية للشباب هو الاعتراف بها وإقرارها مما يجعل الشاب عند إشباع هذه الطاقة متوافقاً مع فطرته، لديه راحة نفسية، وسكينة داخلية لا أن يكون متصارعاً بين الدين والفطرة؛ وإنه لا يمكن أبداً أن تتعارض الفطرة مع الإسلام لأن كليهما من عند الله سبحانه قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

(١) تلبس إبليس، ابن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، ١/٣٦١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

المطلب الثاني: تصريف الطاقة الجنسية بالطرق المشروعة:

إذا تقرر أن الإسلام لا يكبت الطاقة الجنسية لدى الشباب؛ فإنه حثّ على تصريف هذه الطاقة بالطرق المشروعة، والتي تتمثل في الزواج؛ حيث إن الزواج هو الطريق الفطري الذي يحقق للطاقة الجنسية هدفها الإنساني، فضلاً عن تحقيقه اللذة الآتية منها.

إن الإسلام يستجيب للطبيعة الجنسية، فهو يحض على الزواج، ويرغب فيه، فعن علقمة، قال: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمَنِيٍّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَخَلَوَا، فَقَالَ عُثْمَانُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ تُزَوِّجَكَ بِكَرًّا، تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ؟ فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيَّ هَذَا أَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا لَيْنُ قُلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ)) (١).

قال القاضي عياض رحمته الله: "دليل على أن معظم المطلوب من النكاح الاستمتاع، وهو من الشباب أمكن، وفيهن ألد؛ لما هن عليه من رونق الشباب ونشاط الصغر وطيب الأفواه، وما يرغب من النساء، وإظهار الرغبة في الاستمتاع الذي يتوفر عنه مساوئهن" (٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٥، وأخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم الحديث ١٤٠٠.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ٤ / ٥٢١.

فحملهم على النكاح وندبهم إليه، "وقد كانت سنة من مضي الإقبال على العبادة والانقطاع عن الأهل إلا أن محمداً ﷺ، جاء بالحنيفية السمحة فأمر بالعبادة وأذن في قضاء الشهوة حضاً على التحصين ورغبة في العفة وقطعاً للعلائق وتعرضاً لبقاء العمل إلى يوم القيامة وتحقيقاً لموعد الشارع؛ بمكاثرة الأمم يوم القيامة الأُمم يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فإن أمة محمد - ﷺ - أعظم الأمم عدداً وأرفعهم رتبة" (١).

قال ابن حجر رحمه الله: "خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبراً إذا وجد السبب في الكهول والشيوخ أيضاً" (٢).

إن الزواج هو القناة الوحيدة المشروعة التي يسمح فيها بتفريغ الطاقة الجنسية، وقد ربط الإسلام بين الزواج وبين السكن ورحمة والمودة في بيت الزوجية كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣).

قال ابن كثير رحمه الله: "من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتها لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك" (٤).

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وهذه آية ثانية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الأزواج وكيونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله

(١) القيس في شرح موطأ مالك بن أنس، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، ٢ / ٦٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٩ / ١٠٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٦ / ٣٠٩.

مرتكزا في الجبله لا يشذ عنه إلا الشذاذ" (١).

وقال السعدي رحمته الله: "فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة" (٢).

وإذا كان الإسلام جعل الزواج هو المخرج الوحيد للطاقة الجنسية؛ فإنه بذلك وقف وسطاً بين فريقين كلاهما جانبه الصواب في الموقف من الطاقة الجنسية: الفريق الأول: مَنْ يُعْرِضُ عَنِ الزَّوْجِ، ويكبت طاقته الجنسية ظناً منه أن في ذلك قربي إلى الله تعالى، وهو لا يدري أنه مخالف للفطرة، سائر في غير اتجاهها، ولا محالة فقد ضل طريق الصواب؛ وخالف هدي النبيين والمرسلين، فليس التبتل وترك الزواج من دين الإسلام في شيء.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: ((جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوبًا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأُخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (٣).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١ / ٧٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٦٣٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٣، وأخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه، رقم الحديث ١٤٠١.

فأخبر النبي ﷺ أنه مع خشيته لله وتقواه إلا أن هذا لا يتعارض أبداً مع ما فطر الله عليه البشر من الرغبة في الطاقة الجنسية، وتصريفها عن طريق الزواج، وأراد ﷺ: من ترك طريقي وأخذ بطريقة غيري فليس مني. "ولم يح ذلك إلى طريقة الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه. وطريقة النبي ﷺ الحنيفة السمحة؛ فيفطر ليقوى على الصوم، وينام ليقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل" (١).

ولم يشرع الإسلام التبتل والانقطاع وترك الزواج بدعوى أن هذه صورة من صور التقرب إلى الله تعالى فعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، يَقُولُ: ((رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونِ التَّبْتُلَ، وَلَوْ أُذِنَ لَهُ لَأَخْتَصَمْنَا)) (٢).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: شَكَا رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْعُزُوبَةَ فَقَالَ: أَلَا أَخْتَصِمِي؟ فَقَالَ: ((لَا، لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَصَمَى أَوْ اخْتَصَمَى، وَلَكِنْ صُمْ وَوَفِّرْ شَعَرَ جَسَدِكَ)) (٣). وَعَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: ائْذَنْ لَنَا فِي الْاِخْتِصَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَصَمَى وَلَا اخْتَصَمَى، إِنَّ خِصَاءَ أُمَّتِي الصِّيَامُ)) (٤).

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: "الاختصاء، واعتناق السلاسل، وما أشبه ذلك مما كانت الرهبانية تتكلفه وتبتدعه، وضعت عن هذه الأمة" (٥).

(١) البدر التمام شرح بلوغ المرام، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعي، المعروف بالمغربي ١٨ / ٧.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من التبتل والخصاء، رقم الحديث ٥٠٧٣، وأخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تافت إليه نفسه، رقم الحديث ١٤٠٢.

(٣) المعجم الكبير للطبراني برقم ١١٣٠٤ / ١١ / ١٤٤.

(٤) شرح السنة، البغوي، ٢ / ٣٧٠.

(٥) المرجع السابق، ٢ / ٣٧١.

وقال القاري رحمته الله: "وعثمان بن مظعون أرسله جماعة من أهل الصفة ليستأذن لهم في الاختصاص؛ لأنهم يشتهون النساء ولا طول لهم بذلك. يا رسول الله! ائذن لنا في الاختصاص، أي: سل الخصيتين لتزول عنا شهوة النساء، إذ من شأنها أنها تقطع عن كل خير وتجلب كل محنة وضير، ولذا قيل: ضاع العلم في أفخاذ النساء (فقال رسول الله: ليس منا)، أي: ممن يقتدي بسنتنا ويهتدي بطريقتنا (من خصي): بفتح الصاد، أي: سل خصية غيره وأخرجها (ولا اختصى)، أي: بنفسه بجذف "من" للدلالة ما قبله عليه يعني: ولا من سل خصية نفسه، وكل من هذين حرام وفي معناه إطعام دواء لغيره أو أكله إن كان يقطع الشهوة والنسل دائماً، (إن خصاء أمي الصيام): فإنه يكسر الشهوة وضررها أي: قاطع للشهوة مع ما فيه من سلامة النفس من التعذيب وقطع النسل، ومن حصول الثواب بالصيام المقتضي لرياضة النفس المؤدية إلى طاعتها لأمر مولاه" (١).

وقد دلّ ما سبق على خطأ هذا الفريق الذي يرى كبت الطاقة الجنسية وعدم تصريفها؛ لأنه يصادم الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

الفريق الثاني: من يطلق العنان لطاقته الجنسية يصرفها كيفما اتفق معه، عن طريق الزنا والبغاء، والانفلات من قيود الشرع والدين، والسير قدماً في إشباع الغريزة متى حاجت؛ فهو والبهايم سواء، والوقوع في ذلك - والعياذ بالله - من أعظم المفاسد على الأفراد والجماعات، مع ما فيه من المخاطر والأمراض والأسقام، وفوق كل هذا الوقوع في الكبائر المحرمة مما يوجب التعرض لسخط الله تعالى.

وقد حرم الإسلام الزنا حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ٢/ ٦٠٧.

سَيِّئاً ﴿٣٢﴾ (١).

والزنا فعلة قبيحة متناهية في القبح. توجب النفرة عن صاحبه، والتفرقة بين الناس وِسَاءً سَيِّئاً أي بئس طريقاً طريقه. "فإنه غصب الألبضاع المؤدي إلى اختلاف أمر الأنساب، وهيجان الفتن غضبا من غير سبب. والسبب ممكن. وهو الصهر الذي شرعه الله" (٢).

والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن: من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه خصوصاً هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه.

"ووصف الله الزنى وقبحه بأنه ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ أي: إنما يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفسد. وقوله: ﴿وَسَاءً سَيِّئاً﴾ أي: بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم" (٣).

ومما لا شك فيه أن فاحشة الزنا من أقبح الفواحش التي تؤدي إلى شيوع الفساد والأمراض الخبيثة في الأفراد والمجتمعات، وما وجدت في أمة إلا وكانت عاقبتها خسراً.

"فالزنا اشتمل على أنواع من المفسد، أولها: اختلاط الأنساب واشتباهاها، فلا يعرف الإنسان أن الولد الذي أتت به الزانية، أهو منه أو من غيره.

وثانياً: أنه إذا لم يوجد سبب شرعي لأجله يكون هذا الرجل لتلك المرأة، لم يبق

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، ٦/ ٤٥٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٤٥٧.

في حصول ذلك الاختصاص إلا التواثب والتقتاتل.

وثالثها: أن المرأة إذا باشرت الزنا، استقدرها كل طبع سليم، وحينئذ لا تحصل الألفة والمحبة، ولا يتم السكن والازدواج..

ورابعها: أنه إذا فتح باب الزنا، فحينئذ لا يبقى لرجل اختصاص بامرأة، وحينئذ لا يبقى بين نوع الإنسان، وبين سائر البهائم فرق في هذا الباب.

وخامسها: أنه ليس المقصود من المرأة قضاء الشهوة، بل أن تصير شريكة للرجل في ترتيب المنزل وإعداد مهماته.. وهذه المهمات لا تتم إلا إذا كانت مقصورة المهمة على هذا الرجل الواحد، منقطعة الطمع عن سائر الرجال، وذلك لا يحصل إلا بتحرим الزنا... فثبت بما ذكرنا أن العقول السليمة تقضى على الزنا بالقبح" (١).

ولخطورة الزنا وحرمة حرص النبي - ﷺ على الإقناع العقلي لهذا الشاب الذي فارت غريزته، واشتدت طاقته، وطلب من النبي ﷺ السماح له في الزنا فأقنعه بأن هذا طريق غير مشروع لإشباع الرغبة الجنسية.

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((إِنَّ فَتًى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَاءِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ائْذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لَأُمَّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأَخَوَاتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٠/١٩٨.

ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)) (١).

إن الإسلام في منهجه في توجيه الطاقة الجنسية للشباب جعل الطريق المشروع لتصريف هذه الغريزة هي الزواج الشرعي، وهذا يتطلب منا الآن في واقعنا المعاصر أن نيسر أمر الزواج للشباب، ولا نلهث وراء متطلبات الحضارة الحديثة، ونكلف الشباب ما لا يطيقون فيصبح طلب الزواج والعفة هما لا يطاق، وعلقنا مرّ المذاق، يعاني فيه الشباب ارتفاع التكاليف، ومشقة النفقات، وعندئذ نعطل الطريق المشروع تحت أوهم كاذبة، وتصورات باطلة، فنجعل الكماليات في بيت الزوجية فروض أعيان مما يضطر شبابنا لأن يقعوا فريسة الانحراف، ويخوضوا في الباطل ويتلبسوا به، لأننا بقصد أو بدون قصد صددناهم وأغلقنا أمامهم طريق الحق، خاصة وأن الوصول إلى الحرام والطرق غير المشروعة أبوابها مفتحة، وطرقها معبدة مذلة، ومنافذ الفتن تطرق أبواب الشباب، ولا ملجأ ولا ملاذ إلا الاعتصام بالله والتمسك بحبله، وسؤاله النجاة من الفتن.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم ٢٢٢١١، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال

المطلب الثالث: البعد بالطاقة الجنسية عن المثيرات والمحفزات:

ومن منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية للشباب أن أمر بالبعد عن المثيرات والمحفزات التي تهيح الطاقة الجنسية وتثيرها، فيصبح إشباع الجنس هو الشغل الشاغل للشباب، ولقد أتى الإسلام ببعض التوجيهات التي تساعد على البعد عن المثيرات والمحفزات المختلفة، ومن ذلك الأمر بغض البصر قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (١).

قال ابن كثير رحمه الله: "هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغيضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغيضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعا" (٢).

وقال القاسمي رحمه الله: "وغيض البصر من أجل الأدوية لعلاج أمراض القلوب. وفيه حسم لمادتها قبل حصولها. فإن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس. ومن أطلق لحظاته، دامت حسراته" (٣).

وما من شك أن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، "ومن غض بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٦ / ٤١.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، ٧ / ٣٧١.

أبلغ، ولهذا سماه الله حفظاً، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم يتحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في بلايا ومحن" (١).

قال ابن عاشور رحمته الله: "وفي هذا الأمر بالغض أدب شرعي عظيم في مباحة النفس عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها في الحرام أو ما عسى أن يكلفها صبراً شديداً عليها، والأمر بحفظ الفروج عقب الأمر بالغض من الأبصار لأن النظر رائد الزنى. فلما كان ذريعة له قصد المتذرع إليه بالحفظ تنبيهاً على المبالغة في غض الأبصار في محاسن النساء. فالمراد بحفظ الفروج حفظها من أن تباشر غير ما أباحه الدين" (٢).

وفي ضوء المتغيرات الحضارية الآن يدخل في هذا الباب الأمر بغض البصر عن مشاهدة الأفلام الإباحية، والمقاطع الفاضحة التي تنشر الخنا والرذيلة، وتؤجج الشهوة، وتروج للفاحشة، وتقتل الشباب في فكرهم، وتفسد عقولهم فيناموا ويصبحوا ولا هم لهم إلا إجابة داعي الشهوة، والسير وراء الملهيات، وإشباع النهم الجنسي، والاعتراف مما يظنونهم مهذباً لأعصابهم، ومرحاً لأبدانهم، وما وقع هذا إلا من البعد عن توجيه الإسلام بحفظ الطاقة الجنسية مما يثيرها ويحفزها. إن داعي الشيطان قريب من الإنسان، وكلما استسلم شبابنا لهواجس الشر، وخطرات النفس، وتزيين الشياطين من الإنس والجن، كلما وقعوا فريسة سهلة لداعي الهوى والشهوة.

فاستدامة النظر إلى العورات والمحرمات مما تعج به التقنية الحديثة، وينتشر عبر الوسائل المختلفة بكل سهولة بين يدي شبابنا فتلتهب فيهم الشهوات، وتدعوهم للوقوع في المحرمات، وإجابة منادي الجنس بأي وسيلة، وأي طريق؛ ولذا كان من

(١) تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي، ص ٥٦٦.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨ / ٢٠٤.

توجيه النبي ﷺ أن لا يتمادى الإنسان في النظر إلى المحرمات فعن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: ((يا علي لا تُتبع النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَىٰ وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ)) (١).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري)) (٢).

ما أحوج الشباب إلى مثل هذه النصيحة، والتأكيد عليها لاجتماع شهواتهم وكثرة الفتن في هذا الزمان، وإذا كان الشاب غير متزوج، كانت الحاجة أشد، لما في النظر عليه من الخطر.

قال ابن القيم رحمه الله: "والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان. فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة حازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع. وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده" (٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في نظر الفجأة رقم ٢٧٧٧ وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٠٨ رقم ٢٧٧٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الآداب، باب: نظر الفجأة، رقم الحديث ٢١٥٩.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، ص ١٣٤.

المطلب الرابع: الاستعانة بالله على مغريات الطاقة الجنسية:

تلتقي الطاقة الجنسية عموماً، ولدى الشباب خصوصاً مع هوى النفس الأمارة بالسوء، والرغبة القلبية للإشباع والاستمتاع، والطواعية والاستجابة لوساوس الشيطان وهواجسه، ومن ثم فإن الشباب يتعرضون لمغريات عنيفة لضبط الطاقة الجنسية وحفظها عن الوقوع فيما حرم الله تعالى، وعندئذ فإن التوجيهِ الإسلامي في ذلك هو الاستعانة بالله تعالى، وطلب الثبات والعصمة حتى لا يتزلزل الشاب في مستنقع الرذيلة ووحل الخطيئة.

وقد عرض القرآن الكريم نماذج وصوراً لفضل الاستعانة بالله، واستحضار خشيته والخوف منه سبحانه؛ ففي قصة يوسف عليه السلام دروساً مستفادة للشباب عند تعرضهم للمغريات والفتن كيف يكون اللجوء إلى الله هو المنقذ من الوقوع في الهاوية، وقد صور القرآن الكريم ما حدث بين نبي الله يوسف عليه السلام وامرأة العزيز أبلغ تصوير وأحسنه قال الله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأَبْتَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَصَوَّفَ عَنْهُ الشَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (١).

قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فحاولته على نفسه، ودعته إليها، وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجمالها وحسنه وبهائه، فحملها ذلك على أن تحمِلَ له، وغلقت عليه الأبواب، ودعته إلى نفسها، فامتنع من ذلك أشد الامتناع" (٢).

لقد صبر يوسف عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه - وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله - ما أوجب له البعد

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ٤ / ٣٧٩.

والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، "وجعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله، واختصهم لنفسه" (١).

إن الشباب المسلم الحق الذي إذا جاءه هاجس الشيطان استعان بالله واستغاث به وحده قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ (٢).

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة شاب نشأ في عبادة ربه، وأيضاً من تعرض لموقف فيه إغراء ودعوة لترغيات الشيطان، وتصريف للطاقة الجنسية في غير موضعها الشرعي وامتنع من ذلك خوفاً من الله وإجلالاً له سبحانه، واستحضاراً لعظمته، ووقوفاً عند أمره ونهيه.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّبَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) (٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي، ص ٣٩٦.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٢٠٠-٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد،

رقم الحديث ٦٦٠، وأخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، رقم

الحديث ١٠٣١.

وقد أخبر نبينا ﷺ أن من يطلب العفة يبلغه الله إياها فعن أبي سعيد الخدري رضي عنه: إن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، فقال: ((مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)) (١).

إن شبابنا الآن أحوج ما يكونوا إلى الاستعانة بالله والاعتصام بحبله، والتمسك بهدي نبيه، في ظل ما يموج به العصر الحديث من فتن، وما تكثر فيه المغريات، وما تتعدد فيه السبل الداعية إلى الرغبات والتزوات، والشهوات والملذات، فيعصم الله من لجأ إليه واستعان به سبحانه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، رقم الحديث ١٤٦٩، وأخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر، رقم الحديث ١٠٥٣.

المبحث الخامس

منهج الإسلام في توجيه الطاقة النفسية في ضوء المتغيرات الحضارية

إن الشباب نظراً لطبيعة المرحلة التي يعيشون فيها يمتلكون طاقات نفسية هائلة، تحتاج إلى استخراجها واستكشافها فيهم، وتحتاج كذلك إلى توظيف سديد لها حتى تؤتي الثمرة المرجوة منها، وقبل كل ذلك تحتاج إلى توجيه وإرشاد في ظل المتغيرات الحضارية المتسارعة التي تعبت بأفكار الشباب، والانفتاح الثقافي والمعرفي، والعولمة بضغوطها وتقنياتها المتقلبة والمتغيرة بين الحين والآخر، مما قد يساهم في التوظيف الخاطئ لهذه الطاقات، أو كبتها، وعدم اكتشافها، مما يعني حرمان الوطن من طاقات شبابه.

"ويتصف الشباب بصفات مختلفة منها الطاقة والحيوية الدافقة والاندفاع والسرعة والقلق وعدم الرضا والحماس، وهذه الصفات تزداد حدة في العصر الحديث بوجه عام، وفي المجتمعات النامية بوجه خاص فلا ينبغي أن نعتبر هذه الصفات ضارة؛ بل يجب الاستفادة منها بأقصى حد ممكن بشرط أن يتوافر الوعي بالطريق الذي يجب أن ينطلق منه الشباب، وهذا يلقي مسؤولية على المؤسسات المعنية بالشباب في إنماء الوعي بالحياة دون القضاء على القيم والمعاني المختلفة"^(١).

ويمكن لنا أن نستوضح منهج الإسلام في توظيف وتوجيه الطاقات النفسية للشباب من خلال المطالب الآتية:

(١) العولمة والشباب من منظور اجتماعي، محمد سيد فهمي، ص ١٠٣.

المطلب الأول: الاستفادة من الطاقة النفسية بالتحفيز والترغيب:

إن النفس البشرية تميل إلى الترغيب والتشجيع والتحفيز، مما يجعل الشاب يعطي كل ما عنده، ويستخرج مكنون طاقته، ويستجمع كل إمكانياته لئيل المرغوب، والحصول على التحفيز المطلوب، ولقد كان من منهج الإسلام التحفيز الصادق والترغيب الحقيقي لدفع الشباب لإنجاز ما يطلب منهم.

إن مدح الشاب وتحفيزه لا يكلف شيئاً، ولكن له مفعول قوي في تنفيذ المطلوب والإقبال والعمل، ومن النماذج التطبيقية الدالة على ذلك ما كان من النبي - ﷺ في غزوة خيبر عندما أخبر أنه سيعطي الراية غداً لشخص يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ولم يقل سأعطيها لفلان مباشرة، فإن الجانب النفسي والتهيؤ والتطلع إلى معالي الأمور قبل التكليف بالمهام أمر في غاية الأهمية فعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه))، قال: فبات الناس يذوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب». فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: «فأرسلوا إليه فأتوني به». فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاها الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكوئوا مثلنا؟ فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

إن النبي ﷺ حرص على التحفيز والتشجيع ليستجمع الشباب قوتهم ويقبلوا على المطلوب منهم بحماس حتى كان من عمر - رضي الله عنه - أنه تطلع لهذا الأمر

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي

الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، رقم الحديث ٣٧٠١.

كما جاء في رواية مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ((قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ - قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءً أَنْ أُدْعَى لَهَا)) (١). قال القاضي عياض رحمه الله: "قوله: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، بمعنى: تطاولت، وفي الرواية الأخرى: أي حرصت على ذلك حتى أظهرت وجهي وتصديت لذلك؛ ليتذكر مكاني فأعطاها، كما قال: "رجاء أن أدعى لها". وكما قال: "فما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ؛ وذلك للوصف الذي وصف به من يعطاها من حبه الله ورسوله وحبهما له" (٢).

إذا لا بد من استفراغ الطاقات النفسية ببراعة التحفيز، وقوة الترغيب، وحسن التهيئة، حتى تهضم النفوس والعقول أهمية العمل، وضرورته، وأثره في الحياة، وبعد الممات. إننا كثيراً ما نظلم الشباب عندما نطلب منهم أموراً، ولا نصحبها ببعض معاني التحفيز، بل أحياناً نعمل على هدم الشباب وقتل معنوياتهم، وإخبات طاقاتهم. لقد حرص النبي ﷺ في مواقف كثيرة من سيرته العطرة أن يرتقي بالشباب محفزاً لهم على أعمال الخير والبر، ومشعلاً لحماس طاقاتهم فلما أراد من أصحابه رضي الله عنهم البذل والإنفاق ربط ذلك بالمحفزات المختلفة؛ فعن زيد بن خالد رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا)) (٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الحديث ٢٤٠٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ٧/ ٤١٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، رقم الحديث ٢٨٤٣، أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم الحديث ١٨٩٥.

وقال ﷺ: ((مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ)) (١).

إلى غير ذلك من التوجيهات التي يظهر فيها منهج الإسلام باستغلال طاقة الشباب النفسية من خلال الترغيب والتحفيز للأعمال الصالحة النافعة؛ فإن من طبيعة النفس البشرية أنها تحب المدح والثناء والوعد بالخير، وانتظار المرغوب، عندئذ تسارع إلى فعل المطلوب، وتتمام المقصود.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: إذا وقف أرضاً أو بئراً، واشترط لنفسه مثل دلاء

المسلمين، رقم الحديث ٢٧٧٨.

المطلب الثاني: بث الهمة العالية في نفوس الشباب:

إن الأمم جميعها تحتاج إلى أصحاب الهمم والطموح، فهم صناع الحياة، وقيادات المستقبل في أي أمة من الأمم في القدم والحديث، فلا يمكن أن يتحقق النهوض والتقدم والريادة إلا بالهمة العالية، والنفوس الطموحة، الوثابة، والأمة الإسلامية تحتاج إلى بث الهمة العالية في نفوس الشباب لتعظم الاستفادة منهم، ومن طاقاتهم.

وفي القرآن الكريم ما يدل على فضل أصحاب الهمم العالية ففضل الله أصحاب الهمم العالية والطموح والمثابرة على غيرهم وإن كانوا مسلمين من أصحاب الحسنی قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسِرَاءَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾﴾ (١).

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: ((كُنْتُ أُبَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» (٢)). وهذا يبين همة هذا الصحابي، وعلو طموحه، وشدة رغبته في مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن حسين بن علي رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا)) (٣).

قال الجرجاني رحمته الله: "والهمة: توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق، لحصوله الكمال له أو لغيره" (٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه، رقم الحديث ٤٨٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٢٨٢٦ وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته ١٨٩٠ / ١ / ٣٩٠.

(٤) التعريفات، الجرجاني، ص ٣٢٠.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "وما تقف همة إلا لحساستها، وإلا فمتى علت الهمة فلا تقنع بالدون، وقد عُرف بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُتَّتْ سارت، ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم، أو كسلاً فسل الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، فمن الذي أقبل عليه ولم ير كل مراد؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة؟ أو حظي بغرض من أغراضه؟" (١).

والسبب الذي يجعل كثيراً من الناس يطلبون الأدنى من الأمور، ويقصدون ما لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً -فساد العلم، وكثرة الجهل، وضعف الهمة، فكلما صحَّ العلم، وانتفى الجهل، وصحَّت العزيمة، وعظمت الهمة؛ طلب الإنسان معالي الأمور، فبعض الناس همُّه لقمة يسدُّ بها جوعته، وشربة روية تذهب ظمأه، ولباس يوارى سوأته، ومن الناس من يكون مطلبه التمتع بمتاع الحياة الدنيا كحال طرفة بن العبد، فقد قيل له: ما أطيب عيش الدنيا؟ فقال: "مطعمٌ شهِيٌّ، وملبسٌ دنيٌّ، ومركبٌ وطِيٌّ" (٢).

إن الإنسان إذا علت همته علا اهتمامه وسمت تطلعاته، وبمقدار ذلك يسمو على الأهواء والشهوات والملذات الخاطئة، ويتعالى عن العبثية، ويأبى أن يعيش حياة الفراغ واللهو المطلق. وأمة يكون أبنائها كذلك تستحق الحياة بجدارة، وتسير في طريق السعادة.

قال ابن القيم رحمه الله: "علو الهمة: أن لا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلا منه ولا تتبع حظها من الله وقربه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج به، بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهمم: كالطائر العالي على الطيور، لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل

(١) لفظة الكبد إلى نصيحة الولد، ابن الجوزي، ص ١٠.

(٢) انظر: علو الهمة، محمد بن إسماعيل المقدم، ص ٢٠.

إليهم، فإن "الهمة" كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها وكلما نزلت قصدها الآفات من كل مكان فإن الآفات قواطع وجوازب، وهي لا تعلق إلى المكان العالي فتجتذب منه، وإنما تجتذب من المكان السافل، فعلو همت المرء: عنوان فلاحه، وسفول همته: عنوان حرمانه" (١).

ولما كان الشباب في مستقبل أعمارهم ومسيرة حياتهم فهم الأجدر أن يحققوا ذلك في نفوسهم، فمع السعي لتحقيق العبودية الكاملة لله يسعون لاختيار هدف صحيح في حياتهم ويسعون لتحقيقه بجد واهتمام ليكونوا ذوي رسالة وأثر في هذه الحياة بما يرضي الله.

"ومن كان ذا همة كان له أهدافه العالية والسامية وسعيه الحثيث لتحقيقها، ومن يكن ذا همة واهتمام، يرتفع فوق سفاسف الأمور وتفاهاتها. ومن يكن ذا همة، يسمو على المعصية ووسوسة الشيطان. ومن يكن ذا همة، تكن قضايا أمته المصيرية وهموم مجتمعه وواجب وطنه عليه حاضرا في وعيه وحركته، فطبيعة النفس الإنسانية إن لم تذب، أمارة بالسوء، تشد الإنسان إلى سفاسف الأمور وذيئها، لما أنها مخالطة للجسد الذي أصله من طين من حمأ مسنون، بينما الروح في الإنسان ذات أصل علوي رباني تشد الإنسان نحو المعالي والخير والقمم السامية، فكان من أهم واجبات المرء كيف يسمو إلى تطلعات الروح وعلياتها، ويتحرر من قيود النفس وشهواتها وسطوتها ودعواتها المتدانية" (٢).

إن ما مضى كله يؤكد أهمية الارتفاع بالهمة، والعلو بالاهتمامات لدى الشباب عناية خاصة. فكلما استطعنا أن نبث هذه الروح في شبابنا كنا أقدر على تقويمهم

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ١٧٢/٣.

(٢) صناعة الشباب، محمد سعيد حوى، ص ٢٠.

والارتقاء بهم والاستفادة من طاقاتهم، وكان ذلك عوناً لهم للارتقاء بأنفسهم وتحقيق كل خير لهم في حياتهم، وهذا ما تنبه إليه الربون والمؤدبون من قبل.

إن الشباب طاقة متجددة، وحيوية مفعمة بضروب النشاط والحركة؛ فضلاً عن العزيمة النفسية، والطاقة الروحية لديهم؛ فالواجب استثمارها، وتوظيفها وتوجيهها إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد، ولقد كان من دعاء النبي ﷺ أنه كان يستعيز بربه من أسباب الضعف والعجز، فيقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)) (١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يتعوذ من الجبن، رقم الحديث ٢٨٢٣، وأخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره رقم الحديث ٢٧٠٦.

المطلب الثالث: توظيف الطاقة النفسية في الإيجابية والفاعلية:

إن الإيجابية والفاعلية في المجتمع من أهم الأمور التي نحتاجها الآن، في ظل انشغال كل إنسان بنفسه، والتعبير عن شخصيته خلف العالم الافتراضي وجسدان وسائل التواصل الاجتماعي، وإن الشباب بما يملك من طاقة نفسية لديه القدرة على تحقيق الإيجابية، والمشاركة بفاعلية، لا أن يكون ريشة في مهب الريح يسير خلف كل ركب، وينعق وراء كل ناعق، ويهرف بما لا يعرف.

إن الطاقة النفسية لدى الشباب يجب أن تولد فيهم البعد عن الأنا والمسؤولية عن الذات فحسب؛ بل يجب أن يكون المسلم مهتماً بكل صغيرة وكبيرة في بلده ووطنه، حريصاً على فعل الصواب والدعوة إليه، والتنبيه إلى الخطأ، والتحذير منه. لقد نهى النبي ﷺ عن السلوك السليبي المقلد الذي لا يتخذ موقفاً؛ فعن حُدَيْفَةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسَ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطُّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسَ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا)) (١).

إن شأن المجتمع المتحضر أن يكون أفراده إيجابيين يشاركون في بنائه بالرأي والعمل، "ففي النفس البشرية استعدادان متقابلان: السلبية والإيجابية، وهما اتجاهان متعارضان، ولكنهما موجودان جنباً إلى جنب في هذا الكيان الإنساني العجيب الذي خلقه الله على غير مثال. وكثيراً ما يؤتى البشر من سوء توجيههم في أحد هذين الاتجاهين أو في كليهما. ولقد نفذ الإسلام إلى هذين الخطين المتقابلين فصحح معيارهما بهمة فريدة تضع كل شيء في نصابه الحق، فتبدو الأمور طبيعية منطقية لا عوج فيها ولا انحراف" (٢).

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو، ٤/٣٦٤، رقم

٢٠٠٧. وضعه الألباني ضعيف الجامع الصغير ٦٢٧١.

(٢) الإسلام والطاقات المعطلة، الشيخ محمد الغزالي، ص ٣٢.

وإن من أعظم السبل التي تولد الإيجابية والفاعلية لدى الشباب الثبات على منهج واضح لا يتبدل بتبدل الزمان والمكان، "فالمسلم لا يصدق في مكان ويكذب في مكان آخر، ولا يعدل مع أناس ويظلم غيرهم، والستر والحشمة في اللباس شيء ثابت وفي كل مناخ. إن أموراً مثل الغش والخداع وغياب الإلتقان، والنفور من النظام لا يمكن أن تأتي بنتائج إيجابية، بل تفسد الحياة اليومية، وتجعل الإنسان معطوباً في بنيته الأخلاقية ووجوده الاجتماعي، ويجب الثبات على المبادئ والتمسك بها؛ لأنها تعطي المسلم الشجاعة والثقة في النفس والاحترام من الغير" (١).

ومن الإيجابية والفاعلية مشاركة المجتمع والآخرين ما يقومون به لا أن يكون الشاب منفصلاً منفصلاً عن قضايا مجتمعه وبيئته "فربما يقوم شاب بعمل ما ويكون قادراً على إنجازها، ولكنه إذا قام بهذا العمل مع شخص آخر أو أشخاص آخرين فإن الإنجاز سيكون أكبر والاستفادة أعم، وسيصبح العمل أكثر فاعلية. فالشخص التعاوني يقيم علاقاته مع الآخرين على أساس التكامل وتبادل التأثير والتأثير، والتعاونية مفهوم أكثر نضجاً وتقدماً من الاستقلالية، وعلى كل حال فهو خيار لا يقدر عليه إلا الأشخاص المستقلون" (٢).

ومن الإيجابية لدى الشباب تصويب الأخطاء والممارسات المجتمعية، والنقد البناء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق الضوابط الشرعية، ومن الإيجابية والفاعلية الشعور بالمسؤولية المجتمعية تجاه قضايا الأمة، ومحاولة تصويب وتصحيح الأخطاء بالحسنى، بل والمسؤولية عن هداية وإصلاح أخطاء الآخرين.

إن الحياة تتطلب من الإنسان أن يكون كريماً معطاءً لكي يكون إيجابياً فاعلاً مؤثراً فيما حوله، ولكن عندما يتطلب الموقف كرمًا أو تصدقًا في مال أو علم، أو سعيًا في

(١) الفاعلية، د. محمد العبد، ص ١١.

(٢) العادات السبع، ستيفن كوفي، ص ٤٥.

حاجة ملهوف ما، أو إغاثة لمنكوب، أو تنفيساً لكرب مكروب إلخ...، يظهر جانب الشحّ والتقتير في النفس الإنسانية، ويدعو هذا الجانب الإنسان إلى البخل وعدم العطاء، ويزين له الشيطان ذلك من الخارج، لكن المسلم يتغلب على هذه العوامل بما يملك من تعظيم لله، وخضوع له، وحب للآخرة، "وتتطلب الحياة من الإنسان أن يمتلك الشجاعة الأدبية التي تدفعه إلى قول الحق والصدع به، حتى يكون فاعلاً ومؤثراً وإيجابياً، وتتولد الشجاعة الأدبية عند المسلم من الغنى النفسي الذي يمتلكه والذي يتمثل في تعظيم الله والخضوع له والخوف منه، فهو عندما يواجه موقفاً يتطلب جرأة وكلمة حق يتنازعه هاجسان: الأول: يطلب منه أن يقول الحق إرضاءً لله، وخوفاً من عقابه إن لم يصدع بذلك الحق راجياً منه العون، الثاني: الخوف من غضب الناس، وانفضاضهم من حوله، وتأثر مصالحه الدنيوية؛ لكن المسلم يُغلب الهاجس الأول بسبب الغنى النفسي الذي يملأ قلبه وعقله. إن الامتلاء النفسي الذي يولده الإيمان بكل شعبه وفروعه هو الأصل في الغنى النفسي، والدافع للمسلم إلى الإيجابية والفاعلية والتأثير، لذلك نستطيع أن نؤكد بأنه عندما تكون هناك نفس غنية بالإيمان سيكون هناك إيجابية وفاعلية وتأثير في مختلف دوائر الحياة"^(١).

إن واجبنا يفرض علينا أن نتوجه إلى الشباب، ونعطيهم مزيداً من العناية والرعاية لاستخراج طاقاتهم النفسية الداخلية، وتوظيفها توظيفاً صحيحاً يعود بالخير على شبابنا، وعلى مجتمعاتنا؛ فإن المؤثرات المعاصرة تشد شبابنا إلى القعود والخمول، والكسل والركود، وانشغال كل فرد بنفسه، والسلبية تجاه كل شيء من حولنا، مما جلب لأمتنا التأخر الحضاري، والتراجع الفكري.

(١) كيف تكون إيجابياً فاعلاً مؤثراً، غازي التوبة، ص ٣٥.

المطلب الرابع: تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي:

إن الطاقة النفسية لدى الشباب تولد لديهم السكينة والطمأنينة، التي تأتي من الارتباط بالله سبحانه، والتعلق به، والانشغال بذكره، وهذا ما يهدف منهج الإسلام أن يحققه في نفوس الشباب فمع التقنية الحديثة، والتقدم العلمي، والازدهار الحضاري طغت الماديات على تصرفات الناس، وبدأ الشباب يعيشون في عزلة، يقتلهم القلق والاضطراب، و ينتشر بينهم الانتحار، في حين أن الطاقة النفسية في المنهج الإسلامي تمنحهم ما يحتاجون إليه من أمن نفسي، وسكينة ورضا.

وكما قال ابن القيم رحمه الله: "ففي القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته. وفيه حزن لا يذهب إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته. وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه. وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه. وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا" (١).

إن حياة الإنسان لا تسير على وتيرة واحدة، ولا تمضي على نمط واحد، بل هي خليط من التجارب المتنوعة والانفعالات والعواطف المختلفة، فالإنسان قد يشعر بالحب حيناً، وبالكره حيناً آخر، ويشعر بالخوف والقلق تارة وبالأمن والطمأنينة وسكينة النفس تارة أخرى، ويشعر بالفرح والسرور بعض الوقت وبالحزن والكآبة في بعض الأحيان، وهكذا تمضي حياة الإنسان في تغير مستمر وتقلب دائم، ويعد القلق من الأحاسيس المؤلمة وأساس المتاعب النفسية التي يعاني منها الإنسان المعاصر، حتى أصبح خاصية عامة وعالمية، ففي تقرير لمنظمة الصحة العالمية، أثبت «أن ٢٥ % من

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ٣/ ١٥٦.

سكان العالم يشعرون بالتوتر والخوف والإحباط، وتوقع السوء، وحدوث ما يهدد حياتهم" (١).

إن الإسلام يوجه الشباب إلى الإقبال على الله تعالى، والبعد عن المعاصي، والانشغال بذكره وطاعته فعندئذ تتحقق لهم السكينة النفسية، والطمأنينة القلبية.

قال ابن القيم رحمه الله "كلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل أثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها. ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينسب إلى الله ويحبت إليه، ويتعلق به تعلق الحب المضطر إلى محبوبه، الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به، فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف. فذكره قوته وغذاؤه ومحبتة، والشوق إليه حياته ونعيمه ولذته وسروره، والاتفات إلى غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه، فإذا حصل له ربه سكن إليه واطمأن به وزال ذلك الاضطراب والقلق، وانسدت تلك الفاقة" (٢).

وما من شك أن المواد المرئية والإعلامية عبر شبكة المعلومات الدولية، ومن خلال الوسائط المختلفة فيها الكثير من الأشياء التي تبث اليأس والقنوط والإحباط في نفوس الشباب، وتهوي بنفوسهم إلى دركات بعيدة من العزلة، والخوف من المستقبل، واستشعار القلق، والتوجس من الغد، وضياع الهدف، وظلامية الحياة.

في حين لا أنه لا يخفى ما تحدته الطاقة النفسية في المنهج الإسلامي من السكينة والطمأنينة والتسامي، والتفاؤل، والأمل، والرغبة في صناعة المستقبل، والتطلع إليه

(١) القلق قيود من الوهم، د. عبدالستار إبراهيم، ص ١٣.

(٢) إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ١ / ٧١.

بنفس مشرقة يملؤها الإيمان، وتحوطها عناية الرحمن كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَآلَتْهُم بِلَيْسُوا ءِيمَانُهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَأَمْنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (١). وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ءَأَلَّهِ ءَأَلْبَدِ كَرِ ءَأَلَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢).

ومن خلال ما سبق يكون قد اتضح منهج الإسلام في توجيه وإرشاد الطاقة النفسية للشباب لتؤتي أكلها، وتنتج ثمرتها، في وقت تحتاج فيه الأمة لكل طاقات شبابها، في ظل الطوفان الإعلامي، والتحديث التقني كل يوم، وكل لحظة، الذي يفتن الشباب، ويشدهم إليه، وما تزال حاجتنا ماسة للوعي بطاقات الشباب واستكشافها، والأهم من ذلك كله توظيفها التوظيف الصحيح الذي لا يخرج عن حدود الشرع، ويفيد المجتمع بأكمله، والأمة بأسرها، ويصون شبابها من الزيغ والانحراف، والضلال والفساد، ويكون شبابها أداة بناء لا معول هدم، وعامل استقرار غير مدفوع للفوضى والاختلاف، ويحافظ على مقدرات وطنه ومكتسباته، ويجتهد في بنائه ورقه وازدهاره.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله، ويجعلنا أهلاً لنعمائه، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،، فإن من نعم الله العظيمة أن أعان على إتمام هذا البحث وإنجازه فله الحمد الأولى في الأولى والآخرة، على تيسيره وتوفيقه، وإعانتته وتسديده، ولقد خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات أوردتها فيما يلي:

أولاً: النتائج:

١/ أهمية مرحلة الشباب، حيث إن فيها من السمات والخصائص ما لا يتوفر في غيرها من مراحل عمر الإنسان، الأمر الذي يفرض ضرورة وأهمية العناية بهذه المرحلة العمرية إرشاداً وتوجيهاً، ونصحاً وتقويماً.

٢/ موج العصر الحديث بجملة من المتغيرات الحضارية الفاعلة والمؤثرة في تصرفات الشباب، في ظل التقدم العلمي والتقني المتسارع، وازدياد ارتباط الشباب بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وشبكات التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص، وهذا يستدعي القيام بعملية التحصين والتوجيه لفئة الشباب، والحفاظ على طاقاتهم.

٣/ إن الشباب لديه العديد من الطاقات الفاعلة والمؤثرة كالطاقة الإيمانية، والطاقة العقلية، والطاقة البدنية، والطاقة الجنسية، والطاقة النفسية، وكل هذه الطاقات يمكن توظيفها في خدمة المجتمع، والرقي بالأمة، والمشاركة في ازدهارها الحضاري؛ لو تم توجيهها توجيهاً صحيحاً، وتم تحصين الشباب وحمائتهم مما يستهلك طاقاتهم.

٤/ تميز منهج الإسلام في توجيه الطاقة الإيمانية لدى الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية، حيث أمر بالحفاظ على الطاقة الإيمانية من الملوثات الفكرية، وحث على

توظيف الطاقة الإيمانية في الدعوة إلى الله تعالى، مع ضرورة الابتعاد بالطاقة الإيمانية عن مزالق الغلو والتشدد، الذي يؤدي بدوره - عند الوقوع فيه- إلى عواقب وخيمة من التكفير والتفجير والتخريب، والعنف وعدم التعايش، وإراقة الدماء، وهذا ما يحذر منه الإسلام ولا يرضاه لشبابه. وكل ذلك في وقت تستغل فيه الجماعات المتطرفة الحماس الإيماني لدى الشباب لتحقيق مآربهم وأغراضهم.

٥/ كان منهج الإسلام في توجيه الطاقة العقلية لدى الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية واضحاً من خلال التأكيد على أهمية حماية الطاقة العقلية لدى الشباب من المهلكات والمفسدات، والحث على الاستفادة من الطاقة العقلية في العلم، ولكي يكون الشاب نافعاً لنفسه ولغيره؛ فقد كان توجيه الإسلام للشباب بتوظيف الطاقة العقلية في تعليم الآخرين؛ لتحقيق الفاعلية والمشاركة.

٦/ نظراً لأن الأمة الإسلامية تمر بمرحلة ضعف وتراجع فكري وحضاري، فقد كان توجيه الإسلام للطاقة العقلية للشباب بضرورة توظيف هذه الطاقة في عمارة الأرض وتسخيرها، واستثمارها في الابتكار والإبداع الفكري؛ أملاً في تحقيق التقدم الحضاري من خلال سواعد الشباب وعقولهم وأفكارهم وإبداعهم.

٧/ جاء منهج الإسلام في توجيه الطاقة البدنية للشباب في ضوء المتغيرات الحضارية؛ ليؤكد على أهمية المحافظة على الطاقة البدنية من المهلكات، وأن يتعدى الشباب عن كل ما بضر بصحتهم وأبدانهم، في وقت يراهن فيه أعداء الأمة على إفساد الشباب وإهلاكهم بالسموم المختلفة التي يحاولون الترويج لها باستمرار.

٨/ إن ارتباط الشباب بالله من خلال العبادة والطاعة أمر في غاية الأهمية، ومن ثم كان من توجيه الإسلام للشباب استغلال طاقاتهم البدنية في الطاعة والعبادة، والانشغال بمروضة الله ليؤدوا شكر نعمة الصحة التي أنعم الله بها عليهم.

٩/ العمل والإنتاج هو سبيل النهوض لأي أمة من الأمم، ولذا فمن صور توجيه

الطاقة البدنية الانصراف إلى العمل والاكْتساب ليكون الشباب منتجاً، لديه القدرة على الاكْتساب، وكذا أهمية تفعيل الطاقة البدنية في المشاركة المجتمعية، ليتعود الشباب على خدمة الآخرين وتقدم العون للمحتاجين والمساهمة في بناء الوطن بسواعدهم الفتية.

١٠ / يشهد العصر الحديث في ضوء متغيراته التقنية ازدياداً واضحاً، وانتشاراً واسعاً لكل ما يلهب الجنس، ويحرك العواطف، ويهيج المشاعر والغرائز، ويستخرج الطاقات المكبوتة المدفونة، مع سهولة الوصول إليها مما يرهق الشباب من أمرهم عسراً، ويؤجج لديهم المشكلة الجنسية، ولذا كان من منهج الإسلام في توجيه الطاقة الجنسية في ضوء هذه المتغيرات الحضارية هو الاعتراف بالطاقة الجنسية للشباب وعدم مصادمتها، ووجوب تصريف الطاقة الجنسية بالطرق المشروعة.

١١ / حث الإسلام الشباب على ضرورة البعد بالطاقة الجنسية عن المثيرات والمحفزات، حتى لا يزداد توترهم، وتتبدد طاقتهم، مع الاستعانة بالله على مغريات الطاقة الجنسية.

١٢ / في ضوء التغير الحضاري المتلاحق كان لا بد أيضاً من توجيه الشباب للاستفادة من طاقتهم النفسية، من خلال التحفيز والترغيب، وبث الهمة العالية في نفوس الشباب، مع ضرورة توظيف الطاقة النفسية في الإيجابية والفاعلية، وصولاً للسعادة والصحة النفسية، والطمأنينة القلبية، والأمن النفسي.

ثانياً: التوصيات:

١/ يوصي الباحث بضرورة وأهمية العناية والرعاية لمرحلة الشباب، والاقتراب منهم، حتى لا يقعوا فريسة لتيارات الشرّ، وقوى الظلام، التي تريد تخريب السديار والبلاد بأيدي الشباب وسواعدهم.

٢/ يوصي الباحث بتكثيف المحاضرات التوعوية الموجهة إلى الشباب عبر تنظيم وتنسيق بين الجهات المختصة، ويقوم بذلك العلماء والدعاة وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات، والمختصون كل في مجاله.

٣/ يوصي الباحث أن تعني الجهات المعنية بالبحث العلمي بتوجيه المختصين للكتابة حول موضوعات وقضايا الشباب، حيث إن الدراسات المتخصصة حول قضايا الشباب ما زالت تحتاج إلى مزيد.

٤/ يوصي الباحث بعقد العديد من المؤتمرات والندوات والملتقيات والفعاليات التي تعالج وتناقش قضايا ومشاكل الشباب، واستكتاب المختصين في شتى المجالات، للمساهمة في زيادة درجة الوعي بأهمية قضايا الشباب ومعالجتها.

٥/ يوصي الباحث بإنشاء المزيد من المؤسسات الرسمية المحلية والدولية التي تستقطب الشباب تحت رعاية الدولة، وتعمل على توجيههم، والاستفادة من طاقاتهم، وتحفيزهم إلى الالتصاق بالمجتمع، والمشاركة والفاعلية المجتمعية، ليكونوا جزءاً من نسيج الوطن. مع ضرورة الحوار المباشر وغير المباشر مع فئة الشباب، للتعرف على احتياجاتهم، وسبل استفراغ طاقاتهم في ضوء تعاليم الشريعة.

٦/ يوصي الباحث بالاستفادة من التقنية الحديثة، وعمل برامج تقنية موجهة لتوعية الشباب، والأخذ بأيديهم إلى سبل الرشاد، ومساعدتهم على تصريف طاقاتهم واستخراجها بالطرق المشروعة، وتوظيف طاقاتهم المختلفة في خدمة دينهم وأوطانهم.

٧/ يوصي الباحث بإنشاء مؤسسات معنية بتيسير الزواج للشباب، ومعاونتهم

ودعمهم، مع حث المجتمع على تخفيض المهور، وتخفيف متطلبات الزواج، لإشباع الطاقة الجنسية للشباب الأمر الذي يحقق الاستقرار النفسي، وتحمل المسؤولية، والوقاية من الانحرافات السلوكية والخلقية.

٨/ يوصي الباحث بالتوسع في إنشاء النوادي في كل حي سكني، وكل قرية من القرى؛ وتحت رعاية الدولة، تكون مهمتها استقطاب وجذب الشباب، مع دعم هذه الأندية بالأنشطة والبرامج الموجهة لرعاية الشباب، واستفراغ طاقتهم، وتوعيتهم فتكون هذه الأندية متنفساً للشباب، ومكاناً آمناً لممارسة الأنشطة الفكرية والاجتماعية والثقافية.

وختاماً:

فإن الشباب هم أمل الأمة، وسواعدها الفتية، وهم رجال المستقبل، وإن أعداء الإسلام يتربصون بشبابنا عبر الوسائل المختلفة، مما يوجب علينا الانتباه لشبابنا ووقايتهم وتحسينهم، والاستفادة من طاقتهم، وربطهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم، والاعتزاز بدينهم والتمسك به.

حفظ الله شبابنا وأمتنا من كل سوء، وجعلنا أهلاً لحمل دينه ونشر دعوته إنه ولي

ذلك والقادر عليه

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، د. محمد عمارة، ط/ نهضة مصر، القاهرة.
٢. أثر الإيمان في تحصيل الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبدالرحمن الجربوع، ط/١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٣. أثر المخدرات على الأمة وسبل الوقاية منها، د. أحمد عطية بن علي الغامدي، ط/ مطابع الثقافة، الرياض: ١٤٠٧هـ.
٤. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٥. أخلاقيات العولمة، د. أحمد أنور، ط/١، مركز المحروسة للنشر، ٢٠٠٤م.
٦. آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير، عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، ط/١، دار الأوراق الثقافية: ١٤٣٥هـ.
٧. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالمملك القسطلاني، ط/ المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.
٨. أزمت الشباب أسباب وحلول، القاضي محمد أحمد كنعان، دار البشائر، بيروت: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الجزري، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٠. الإسلام والطاقات المعطلة، الشيخ: محمد الغزالي، ط/١، دار نهضة مصر.
١١. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥ هـ.
١٢. إعمار الكون في ضوء نصوص الوحيين، د. زياد خليل الدغامين، "بحث منشور في مجلة إسلامية المعرفة التي يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي" العدد ٥٤، السنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
١٣. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ مكتبة المعارف، الرياض.
١٤. آفاق جديدة في دراسة الإبداع، عبدالستار إبراهيم، وكالة المطبوعات، الكويت: ١٩٧٨م.
١٥. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط/ دار الوطن، الرياض: ١٤١٧هـ.
١٦. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
١٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى، تحقيق: د. يُحْيَى إِسْمَاعِيل، ط/١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٨. الإنسان المهدور "دراسة تحليلية نفسية اجتماعية"، مصطفى حجازي، ط/٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: ٢٠٠٦م.
١٩. بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهادا ويحكم... أفيقوا يا شباب، عبدالمحسن بن حمد العباد البدر، ط/١، مطبعة سفير، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٠. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٢٠ هـ.
٢١. البدر التمام شرح بلوغ المرام، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعي، المعروف بالمعري، تحقيق: علي بن عبد الله الزين، ط/١، دار هجر: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٢. بين الإيجابية واللامبالاة في اتجاهات الفرد نحو العمل الجماعي، كامل ملكية، ط/ مصر: ١٩٨٩م.
٢٣. تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق: بشار عواد معروف، ط/ دار الغرب الإسلامي: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٢٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ هـ.
٢٥. التربية الإسلامية للشباب، عبدالرحمن بله علي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: ربيع الآخر، رمضان ١٤٠١ هـ.
٢٦. التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحرافات، سعيد فالح المغامسي، ط/١، دار العلوم والحكمة، سوريا: ١٤٢٤هـ.
٢٧. تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبد الله الدويش، الرياض: ٢٠٠١م.
٢٨. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط/١، دار الكتب العلمية بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢٩. التعليم في الوطن العربي أمام التحديات التكنولوجية، إبراهيم عبد الله الهجري، ط/ جامعة صنعاء، اليمن.
٣٠. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط/٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية: ١٤١٩هـ.

٣١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/ ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٣٢. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.
٣٣. التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ط/ ١٠، دار الجيل الجديد، بيروت: ١٤١٣هـ.
٣٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، ط/ ١، دار نهضة مصر، القاهرة: ١٩٩٧م.
٣٥. تلبس إبليس، ابن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، ط/ ١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٣٦. تنمية المجتمع في الدول النامية، يونس الفاروق زكي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة: ١٩٦٤م.
٣٧. التَّوْبِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني، الكحلاني ثم الصنعاني، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط/ ١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
٣٨. تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، محمد علي بن حسين المكي، تحقيق: خليل المنصور، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٣٩. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ط/ ١، دار النوادر، دمشق: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤٠. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، ط/١، عالم الكتب، القاهرة: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٤١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٤٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٤٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، ط/٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٤٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد السردوني، وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٤٥. جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة، د. علي بن سليمان العبيد، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢١هـ.
٤٦. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، ط/ مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٩٢هـ.
٤٧. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، ط/ دار الجيل، بيروت.
٤٨. الحضارة العربية الإسلامية، د. طه خضر عبيد، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٤٩. حول تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، ط/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة: ١٩٩١م.
٥٠. دليل الفالخين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ط/٤، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٥١. دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة، أحمد علي كنعان، ط/ كلية التربية، جامعة دمشق: ٢٠٠٤م.
٥٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٥٣. زهر العريش في تحريم الحشيش، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، تحقيق: د. أحمد فرج، ط/٢، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٥٤. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ط/ دار الفكر العربي.
٥٥. زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط/ ١، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٥٦. سكان العالم العربي حاضراً ومستقبلاً، عبد الرحيم عمران، ط/ صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية، نيويورك.
٥٧. سكان الوطن العربي "دراسة تحليلية"، منصور الراوي، ط/ بيت الحكمة، بغداد: ٢٠٠٢م.
٥٨. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط/١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٥٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ المكتبة العصرية، بيروت.
٦٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٦١. سوسولوجيا الشباب المغربي، عبد الرحيم العطري، ط/ دار النشر طوبس بريس، الرباط: ٢٠٠٤م.
٦٢. السياسة الشرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤١٨هـ.
٦٣. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر: ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
٦٤. الشباب العربي ومشكلاته، عزت حجازي، "سلسلة عالم المعرفة"، الطبعة الأولى العدد ٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
٦٥. الشباب المسلم في مواجهة التحديات، عبد الله ناصح علوان، ط/١، دار السلام، القاهرة: ٢٠٠٦م.
٦٦. الشباب في البادية الأردنية، د. محمود قطام السرحان، ط/ الأردن.
٦٧. شباننا في عالم التغيير، نسرین حمزة عباس السلطاني، ط/ مكتبة جامعة بابل، العراق: ٢٠١٣م.
٦٨. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٩. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط/٢، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٧٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٧١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.
٧٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٣. صناعة الشباب، محمد سعيد حوى، ط/١، دار السلام للطباعة، القاهرة: ٢٠٠٧م.
٧٤. طريق البناء التربوي الإسلامي، د. عقيل قاسم النشمي، ط/٢، دار الدعوة، الكويت: ١٤١٢هـ.
٧٥. طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، سيد أبو بكر حسانين، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م.
٧٦. طريقة تنظيم المجتمع، أحمد مصطفى خاطر، ط/ المكتب الجامعي: ١٩٨٤م.
٧٧. العادات السبع، ستيفين كوفي، ط/ مكتبة جرير، الرياض: ٢٠١١م.
٧٨. علم النفس النمو، عادل عز الدين الأشول، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة: ١٩٨٢م.
٧٩. علو الهمة، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ط/ دار الإيمان، الإسكندرية: ٢٠٠٤م.

٨٠. العولمة والشباب من منظور اجتماعي، محمد سيد فهمي، ط/ دار الوفاء، مصر: ٢٠٠٧م.
٨١. الفاعلية وعوامل تنميتها، د. محمد العبد، سلسلة دروب النهضة، ط/ دار الصفوة: ٢٠٠٥م.
٨٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.
٨٣. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قسيم الجوزية، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م.
٨٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٥٦ هـ.
٨٥. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط/٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٨٦. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي، تحقيق: د. محمد عبد الله ولد كريم، ط/١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٢م.
٨٧. القراءة ودورها في تنمية الشخصية الإبداعية والفكرية والأخلاقية، د. أماني زكريا الرمادي، "مقال بالمدونة الرسمية لقسم المكتبات والمعلومات"، جامعة الإسكندرية فبراير ٢٠١٢ م.
٨٨. القراءة وعلاقتها بالتنمية الفكرية والإبداع، عبد الله صالح حامد، حولية الكتب والمكتبات والمعلومات في دولة الإمارات، ٢٠٠١م، العدد: ٤.
٨٩. قصة الحضارة، وول ديورانت، ترجمة: سهل محمد ديب، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ٢٠٠٥م.

٩٠. قضايا الشباب في المجتمع المعاصر، د. محمد عباس نور الدين، ط/ مطبعة فضالة، بدون تاريخ.
٩١. القلق قيود من الوهم، د. عبدالستار إبراهيم، ط/ دار الهلال، القاهرة.
٩٢. الكشاف عن حقائق غوامض التزئيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٧ هـ.
٩٣. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، ط/ دار الوطن، الرياض.
٩٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القرظي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.
٩٥. كيف تكون إيجابياً فاعلاً مؤثراً، غازي التوبة، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة الكويت (العدد: ٥٣٢) ٢٠١٠م.
٩٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، ط/٣، دار صادر، بيروت: ١٤١٤ هـ.
٩٧. لفظة الكبد إلى نصيحة الولد، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود أبو محمد، ط/ مكتبة الإمام البخاري: ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.
٩٨. مجلة الجندي المسلم، السنة الرابعة عشر، العدد ٤٦ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ.
٩٩. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، إصدار جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد ١٩، العدد: ٣٨، رجب ١٤٢٥ هـ أغسطس ٢٠٠٤م.
١٠٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م.

١٠١. مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر، ط/وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.
 ١٠٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ

١٠٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ.

١٠٤. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط/٥، المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠٥. المخدرات في الفقه الإسلامي د. عبد الله الطيار، ط/١، مكتبة التوبة، الرياض: ١٤٢١هـ.

١٠٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٠٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط/١، دار الكلم الطيب، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٠٨. المرأة بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي، علي عزت بيغوفيتش، مقال بمجلة المجتمع، العدد ١١٠٩.

١٠٩. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو القاسم شهاب السدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، تحقيق: طيار آلي قولاج، ط/ دار صادر، بيروت: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
١١٠. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي بن سلطان محمد الهروي القاري، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
١١١. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
١١٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: أ. د. عبد الله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
١١٣. مشكلات الشباب "الخلول المطروحة والحلّ الإسلامي"، عباس محجوب، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، دولسة قطر، ربيع الأوّل، ١٤٠٦هـ العدد: ١١.
١١٤. مشكلات الشباب، أحمد حنفي، ط/١، دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١١٥. المصباح المنير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.
١١٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط/ مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م.
١١٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط/١، عالم الكتب، بيروت: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١١٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار، ط/ إحياء التراث العربي، بيروت.
١١٩. معجم لغة الفقهاء، د. محمد رواس قلعجي، ط/٢، دار النفائس، بيروت: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٢٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١٢١. مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٠م.
١٢٢. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ط/ دار ابن كثير، بيروت.
١٢٣. مفهوم الحضارة كما يصورها القرآن، سيف صفاء عبد الكريم الدوري، ط/١، العراق: ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.
١٢٤. مقدّمه ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ط/ دار الجيل، بيروت.
١٢٥. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، ط/ مكتبة دار البيان، دمشق: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٢٦. مناهج البحث في العلوم الطبيعية وعلاقتها بالحضارة الإسلامية، السيد محمد السيد علي، ط/١، مجموعة النيل العربية، ٢٠١٠م.
١٢٧. مناهج الدعوة وأساليها، د. علي جريشة، ط/١، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر: ١٤٠٧هـ.
١٢٨. المنذرات في عقوبة المخدرات، د. محمد بن فهد الودعان، ط/ الجمعية الخيرية الوطنية للوقاية من المخدرات، الرياض: ١٤٢٨هـ.

١٢٩. منهاج خدمة المجتمع "نشأته وتطوره وأساليبه وخطواته ومنظماته"، محمد كامل بطريق، ط/ مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة: ١٩٦٨م.
١٣٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.
١٣١. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، ط/ دار الفكر، دمشق: ١٩٨٢م.
١٣٢. المنهج النبوي في التربية الإيمانية للشباب، د. سليمان بن قاسم العيد، ط/١، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.
١٣٣. مواجهة خطر المخدرات د. محمد المدني بوساق، ط/ رابطة العالم الإسلامي، "بحث مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة العاشر" مكة المكرمة: ١٤٣٠/١٢/٦-٤هـ.
١٣٤. الموسوعة الفلسفية، د. عبدالمنعم الحفني، ط/١، مكتبة مدبولي، القاهرة.
١٣٥. الموسوعة الميسرة، مجموعة من العلماء، ط/ وزارة الأوقاف الكويتية.
١٣٦. النظرية الإسلامية لمكافحة المخدرات، د. محمد بن جمعة بن سالم، ط/ دار الحمدي للنشر: ١٩٩٥م.
١٣٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١٣٨. النوم في الكتاب والسنة وأوجه الإعجاز العلمي في النوم الشرعي، د. عبدالحسن زين المطيري، بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، يصدرها مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت المجلد: ٢٣ العدد: ٧٢ عام ٢٠٠٨م.
١٣٩. اهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط/ مطبعة سفير، الرياض.

١٤٠. وقفات مع أحاديث تربية النبي لصحابته، د. عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ.

● المواقع الإلكترونية:

١. الشباب والعمل الاجتماعي والتنموي التطوعي، جمعية تفلتواز حياة، مبادرات الشباب العربي مقال بموقع صيد الفوائد
<https://saaid.net/Anshatah/dole/٦٩.htm>
٢. الشباب والفراغ، علاء الزعتري، مقال بموقع <http://www.alzatari.net>
٣. الشباب وتطلعات المستقبل، عبد الله بن سعيد آل يعن الله، مقال
<https://saaid.net/Doat/abdullah>
٤. البنك الدولي: تقرير التنمية في العالم لعام ٢٠٠٧: التنمية والجيل التالي،
<http://wbln.١٨.worldbank.org/MNA/ArabicWeb.nsf>
٥. الشباب بين الطموح والجروح <http://www.holol.net>
٦. مشاركة الشباب في قضايا المجتمع ودورها في الوقاية من المخدرات، محمود أحمد عبدالقادر علي، مقال على موقع الألوكة رابط الموضوع:
http://www.alukah.net/publications_competitions
٧. موقع (إنترنت وورلد ستاتس). <http://www.internetworldstats.com>

فهرس الموضوعات

الصفحة	الباحث	الموضوع
٧		قواعد النشر
٩		مقدمة العدد
١١	د. عبدالله بن ناصر بن محمد العطني	١ / جهود الدعاة في إصلاح ذات البين
٦٧	د. لولوة بنت سليمان بن محمد الغنام	٢ / منهج الإعلام الدعوي في تعزيز منهج الوسطية
١١٩	د. طالب بن أحمد سالم الممامي د. عبدالحافظ أحمد طه	٣ / التحولات الفكرية وأثرها في المجال الدعوي "الأسباب، الآثار، العلاج"
١٨٩	د. لولوة بنت سليمان بن محمد الغنام	٤ / أسس الاحتساب الشرعي والقانوني على الانحراف الفكري وتطبيقاته المعاصرة
٢٧٣	د. فاطمة بنت سعود بن سعد الكحيل	٥ / منهج الإسلام في توجيه طاقات الشباب في ضوء المتغيرات الحضارية
٤٣٩		فهرس الموضوعات



<https://dawa.center>



الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

الرؤية :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

الرسالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

الأهداف :

- تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-
- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.